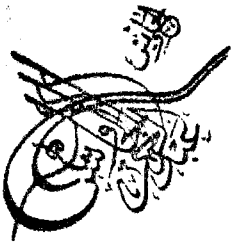

جامعة عدن
كلية الآداب
قسم التاريخ

# التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة

قُدِمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الدكتوراه

في التاريخ القديم

إعداد:
هشام عبد العزيز ناشر

الإشراف العلمي:
أ.د.واثق إسماعيل الصالحي

٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن هذه الرسالة قد أنجزت بإشرافي بمراحلها كافة، وأرشحها للمناقشة.

المشرف العلمي: أ.د. واثق إسماعيل الصالحي.

التوقيع:

التاريخ:

بناءًا على توصية المشرف العلمي ترشح الرسالة للمناقشة.

النائب الأكاديمي لعميد الكلية: رئيس القسم:

نوقشت هذه الرسالة الموسومة [التجارة وتطورها في ممالك اليمن القديمة] المقدمة

من الباحث/ هشام عبدالعزيز ناشر وأجيزت بتاريخ:

## رئيس وأعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم | | التوقيع |
|---|---|---|
| ١ـ أ.د.واثق إسماعيل الصالحي | المشرف العلمي- رئيسًا | ---------- |
| ٢ـ أ.د.عبدالله حسن الشيبة | عضوًا | ---------- |
| ٣ـ أ.مشارك.د.أحمد بن أحمد باطايع | عضوًا | ---------- |

بسم الله الرحمن الرحيم

* إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ *

صدق الله العظيم

# الإهـــــــــداء

إليهنّ... الرائعات الثلاث:

أم عبد العزيز.....حُبًا.

أم يوسف.....ودًا.

عدن.. أمي أنا ..... اعتزازًا ووفاء.

# شـــــكر وتقـــدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة، والسلام على الصادق الأمين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جزيل الشكر والتقدير لقيادة جامعة عدن، وعميد كلية الآداب، والنائب الأكاديمي فيها؛ على كل الدعم المقدم في سبيل إتمام الأطروحة.

خالص الامتنان والعرفان لأستاذي القدير د.واثق إسماعيل الصالحي؛ الذي شرّفني بقبول الإشراف على الأطروحة، ووهبني الثمين من وقته، والرحيق من علمه، وكان خير مرشدٍ وخير مُعلّم؛ بما زودني من توجيهات ومعلومات ومراجع؛ ظهرت أثارها واضحة في الدراسة.

الشكر والتقدير للدكتور نصر سالم هادي رئيس قسم التاريخ لتعاونه المشهود والمعهود دومًا، ومن خلاله لكل أساتذتي الأفاضل؛ أعضاء القسم؛ لنصحهم ودعمهم الدائم.

شكر خاص لشخصيتين واكبتاني- لحظةً بلحظة- طيلة رحلة البحث والدراسة علميًا وإنسانيًا؛ أستاذتي العزيزة د. اسمهان عقلان العلس؛ إذ شملتني برعاية خاصة دائمة، وغمرتني كرمًا وعلمًا وتهذيبًا، وأستاذي الفاضل د.جمال الدين أدريس؛ إذ أحاطني برعاية العالم، وطوّقني بجميل الكريم الزاهد؛ فكان السند والعضد؛ والمثل المرجع.

فائق التقدير والاحترام للأفاضل: د.أحمد بن أحمد باطايع، ود.عبدالله حسن الشيبة، د. أسمهان سعيد الجرو، ثلاثتهم معين العلم الذي لاينضب؛ إذ كلما وقفت في حضرتهم؛ أرتويت من سلسبيل علمهم فكرهم.

كما أتوجه بالشكر والتقدير للدكتور مازن أحمد شمسان لكرم أخلاقه، وروعة تواضعه؛ إذ أحسن تقديم كل العون والمساعدة لي في المراحل الصعبة من الدراسة، كما أشكر في هذا المقام الأستاذة العزيزة أسيا سعيد أحمد؛ التي لم تدخر جهدًا في سبيل تذليل العديد من الصعاب والعقبات

جزيل الشكر والعرفان للصديق العزيز/الأستاذ/ سامي أمين، إذ جعلني أدرك أن للصداقة معان أخرى لم أعرفها من قبل؛ إذ رافقني أخًا مخلصًا، صادقًا، ناكرًا لذاته في سبيل صديقه، وعبره الشكر موصول للصديقين د.محمد حسن الشعبي، ود. مبارك سالمين.

كما أتقدم بشكري العميق للصديق العزيز محمد عبيد، الذي لازلت عند رأيي بأنه (عنوان العطاء محبة)، وجزيل الشكر كذلك للأخ/ لطفي شهاب على مواقفه الرجولية الدائمة.

امتناني وشكري لكل الأوفياء من الأصدقاء؛ على قلقهم المستمر، ودعمهم لي اللا محدود، وكذلك إلى كل موظفي المكتبات في جامعة عدن، وصنعاء.

المحبة والتقدير والاعتزاز لإخوتي منصور، وعصام، ومحمد، لكل فرد من أفراد أسرتي، لمتابعتهم لي، وتوفيرهم لكل الدعم المادي والمعنوي، منذ البداية حتى أتممت الأطروحة بحمد الله، وعهدًا على الوفاء باق.

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الإهداء** | و |
| **الشكر** | هـ |
| **الفهرس** | ط |
| **قائمة الاختصارات** | م |
| **المقدمة** | ١ |
| **التمهيد** | ٦ |
| **أهمية البيئة الجغرافية في تجارة ممالك اليمن القديمة** | ٦ |
| ١-التباين الطبغرافي | ٧ |
| أ.السهول الساحلية | ٧ |
| ب.المرتفعات | ٩ |
| ٢-التنوع المناخي | ١٥ |
| ٣-الموقع | ١٧ |
| **الفصل الأول** | |
| **نشأة التجارة وتطورها** | ٢٤ |
| **المبحث الأول: نشأة التجارة وتطورها في التاريخ القديم** | ٢٧ |
| أولا: التجارة قبل ظهور الزراعة | ٣٤ |
| ثانيا: مرحلة التجارة بعد الزراعة | ٣٦ |
| **المبحث الثاني: نشأة التجارة وتطورها في جنوب شبه الجزيرة العربية** | ٤٢ |
| أولا: مرحلة التجارة قبل الزراعة | ٤٧ |
| ثانيا: مرحلة التجارة بعد الزراعة | ٥٢ |
| **الفصل الثاني:** | |
| **التجارة ونشأة ممالك اليمن القديمة** | ٥٩ |
| **المبحث الأول: الجذور الحضارية لممالك اليمن القديمة** | ٦٠ |
| **المبحث الثاني: التجارة وزمن نشأة ممالك اليمن القديمة.** | ٦٦ |

| | |
|---|---|
| أولا: شاهد ثقافي- حضاري. | ٦٦ |
| ثانيا: شاهدان سياسيان | ٦٧ |
| ١-الحروب في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. | ٦٧ |
| ٢-النصوص الأشورية | ٦٩ |
| ثالثا: شواهد اقتصادية | ٧٠ |
| ١-حجم الثروات. | ٧٠ |
| ٢-قيام التجارة البرية | ٧١ |
| أ.معرفة شعوب الشرق الأدنى القديم للبخور | ٧١ |
| ب.استخدام الجمل كوسيلة لنقل السلع والبضائع | ٧٤ |
| ج.توقف ملوك مصر (الفراعنة) عن إرسال البعثات إلى بلاد بونت | ٧٦ |
| ٣-زيارة ملكة سبأ لمملكة سليمان | ٨٢ |
| **المبحث الثالث: التجارة وأسس قيام ممالك اليمن القديمة** | ٩١ |
| **الفصل الثالث:** | |
| **التجارة وازدهار ممالك اليمن القديمة.** | ١٠٢ |
| **المبحث الأول: تأثير التجارة على الوضع السياسي بين الممالك.** | ١٠٤ |
| أ. التجارة والعلاقة السلمية بين الممالك. | ١٠٦ |
| ب.التجارة وعلاقات الصراع والحرب بين الممالك. | ١٠٧ |
| **المبحث الثاني: تأثير التجارة على أوضاع الممالك الاقتصادية** | ١١٥ |
| **- تأثير التجارة على النشاط الزراعي** | ١١٥ |
| تأثير التجارة على الأنشطة الاقتصادية الأخرى | ١١٧ |
| أ.التأثير المباشر للتجارة. | ١١٧ |
| أ-١- مهن وأنشطة ارتبطت بظهور نظام القافلة. | ١١٧ |
| أ-٢-مهن وأنشطة ارتبطت بظهور الموانئ وازدهارها | ١١٩ |
| أ-٣- مهن وأنشطة ارتبطت بالمراكز التجارية والأسواق | ١٢١ |
| ب.التأثير غير المباشر للتجارة | ١٢٣ |
| ب-١-في المجال الحرفي | ١٢٤ |
| ب-٢-في مجال تربية الحيوان | ١٢٥ |
| ب-٣-في مجال الضرائب | ١٢٦ |

| | |
|---|---|
| **المبحث الثالث: تأثير التجارة على أوضاع الممالك الاجتماعية** | ١٢٩ |
| ١-التعايش بين سكان الممالك. | ١٢٩ |
| ٢- التواصل الاجتماعي بين الجاليات في الخارج ومجتمعاتها المحلية | ١٣١ |
| ٣-الوضع الاجتماعي للمرأة | ١٣٢ |
| أ.المرأة في تشريعات الممالك | ١٣٤ |
| ب.المرأة سياسيًا وإداريًا | ١٣٤ |
| ج.المرأة اقتصاديًا | ١٣٥ |
| د.المرأة في الجانب الدينيز | ١٣٥ |
| **المبحث الرابع: تأثير التجارة على الوضع الديني في المملك.** | ١٣٧ |
| **المبحث الخامس: دور الممالك في تقديم النشاط التجاري وازدهاره.** | ١٤٢ |
| ١-إصدار القوانين المنظمة للنشاط التجاري في الأسواق. | ١٤٢ |
| أ. قانون قتبان التجاري. | ١٤٢ |
| ب.قانون بيع وشراء الحيوانات في صرواح | ١٤٣ |
| ج.قانون يمنع بيع أو تأجير الأحرار | ١٤٣ |
| د.قانون بيع الحبوب في مدينة نشق | ١٤٤ |
| ٢-بناء الأسواق ومنشأتها. | ١٤٤ |
| ٣- تعبيد الطرق وشق الممرات. | ١٤٤ |
| ٣- استخدام النقود وسكها | ١٤٦ |
| ٤-علاقات الممالك الخارجية وتوظيفها في إدارة النشاط التجاري. | ١٤٨ |
| **الفصل الرابع:** | ١٥٢ |
| **التجارة وسقوط ممالك اليمن القديمة.** | ١٥٢ |
| **المبحث الأول: انتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة البرية.** | ١٥٣ |
| ١- الصراعات الدولية من أجل السيطرة على طرق التجارة. | ١٥٣ |
| **أهداف القوى الغربية.** | ١٥٤ |
| **أهداف قوى الشرق** | ١٥٤ |
| **أ. الصراع الدولي ومحاولات اليونانيين تحقيق تطلعاتهم في الشرق.** | ١٥٦ |
| **أ-١- محاولة الإسكندر السيطرة على الهند.** | ١٥٨ |
| **أ-٢- ترتيبات الإسكندر للحملة على شبه الجزيرة العربية.** | ١٥٩ |

| | |
|---|---|
| ب.الصراع الدولي ومحاولات الرومانيون تحقيق طموحاتهم في الشرق | ١٦٣ |
| ٢- تعرّف الغربيين على أسرار الملاحة في المحيط الهندي. | ١٦٩ |
| المبحث الثاني: العلاقة بين الممالك وموقفها من الوضع الدولي بعد الإسكندر الأكبر | ١٧٢ |
| ١.وضع الممالك في القرون الثلاثة السابقة للميلاد. | ١٧٢ |
| ٢.وضع الممالك في العهد الميلادي. | ١٧٨ |
| أ.تبدّل دور الأعراب من المدني إلى العسكري | ١٧٨ |
| ب.الصراعات والحروب بين الممالك. | ١٨١ |
| ج.التدخل الأجنبي | ١٨٢ |
| **الخاتمة** | ١٨٨ |
| المصادر والمراجع | ١٩٣ |
| الجداول والخرائط | ٢١٢ |
| الملخص باللغة الإنجليزية | ٢٢١ |

## قائمة الاختصارات:

- ب ت = بدون تاريخ.
- ب د ن = بدون دار نشر.
- جنوب بلاد العرب = جنوب شبه الجزيرة العربية.
- جنوب شبه الجزيرة العربية = الأرض التي شغلتها ممالك اليمن القديمة في شبه الجزيرة العربية؛ بما في ذلك إقليم ظفار ( سأكلن)، (في عمان اليوم).
- سورية = الأرض الممتدة بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط غربًا حتى حدود العراق شرقًا، وجنوب تركيا شمالاً؛ حتى شمال شبه الجزيرة العربية جنوبًا.

CIAS ( Corpus des Inscriptions et Anttiquites Sub-Arabes.

CIH : ( Inscriptionum Semiticarum, Para quatra: Tnscriptions Himyariticus et Sabeas).

Ed: ( Editing)

Fa: ( Inscriptions discovered by A. Fakhry.

GL: ( Inscriptions from E. Glaser Collection).

Hal: ( Inscriptions from Healvy Collection).

Ja: ( Inscription Published by A. jamme)

M: ( Inscriptions Published in Iscrizioni Sub-Arsbiche Vol,1,Iscrizioni Minee)

MAFRAY: ( Mission Archeologique Francaise en Repablique du Yemen.

Qutra: ( Inscription From Qutra)

RB: ( Inscriptions From the temple of Raybun.

RES: (Répertoire d'Epigraphie Sémitique)

Sh : ( Inscriptions Published by H.Sharfalden.

Tr: ( Translation).

VL:( مجموعة نقوش فان لسن)

YM : ( Yemen Museum)

## مقـــــدمة

فيما كانت شمس الممالك تشرق؛ معلنة دخول المنطقة فجرَ عصر جديدٍ؛ كانت التجارة قد بلغت العنان؛ كالأشعة التي تشق الأفق؛ صاعدةً إلى السماء؛ لتبدد سواد الليل قبل طلوع الشمس.

حينما بدأت شعوب جنوب الجزيرة العربية وقبائلها تتقارب؛ لتشكل اتحاداتها؛ على طريق قيام الممالك، وجدت في التجارة المطية المثلى التي نهضت بها؛ وانطلقت في رحلة إثبات الذات بين أممٍ لم تسبقها ظهورًا فحسب؛ بل وحضارةً وتقدمًا؛ فما كان من التجارة إلا أن شقت بالممالك الصفوف نحو المقدمة، ووضعت لها أسس بقائها بين الحضارات المتقدمة؛ فمالبثت أن وضعها التاريخ تحت دائرة أضوائه البراقة؛ وراحت الأبصار تشخص نحوها أملا وطمعًا، أملاً بالبقاء تحت رايةِ تجارتها الخفاقة، وطمعًا في السيطرة على مصادر ثرواتها الدفاقة.

ظهر تأثير التجارة على ممالك اليمن القديمة منذُ نشأتها الأولى؛ إذ شكلت أساسًا مهمًا لقيامها، ورافقت نموها وازدهارها، وكانت سببًا في ثرائها وتعدد مصادرها، ليس هذا فحسب؛ بل أدّت دورًا مهمًا في تحديد شكل العلاقة التي نشأت بين الممالك في زمن قوتها وازدهارها؛ فمن أجل التجارة كانت الممالك تتعايش بسلام، وبسبب التجارة كانت تضطر خوض الحرب.

تتناول الدراسة موضوع علاقة التجارة بممالك اليمن القديمة في تسلسل تاريخي؛ يبدأ منذ قيام الممالك حتى سقوطها وأفول حضارتها قبيل دخول الإسلام جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)؛ غير أن الضرورة دعت إلى التطرق إلى نشأة التجارة في العالم القديم، وكذا نشأتها في جنوب شبه الجزيرة العربية، وذلك لمعرفة الأسباب الحقيقة التي جعلت من التجارة أساسًا مهمًا لقيام الممالك في هذه المنطقة، بينما قامت الممالك في مناطق العالم القديم الأخرى على أسس مغايرة.

إن اختيار الباحث لهذا الموضوع جاء من عمق إدراكه بأهمية التجارة ومكانتها في صياغة تاريخ الممالك اليمنية القديمة؛ كونها كانت سبب ازدهارها وشهرتها، كما أن التجارة مفتاح سر العلاقات التي نشأت بين الممالك من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت

سببًا للعلاقات بينها وبين العالم الخارجي، بالإضافة إلى أن المكتبة اليمنية بحاجة إلى دراسات أكاديمية متخصصة؛ تتناول الموضوعات الحضارية في التاريخ اليمني القديم؛ بعد أن امتلاءت رفوفها بالدراسات التي تتناول الموضوعات السياسية.

طبيعة الدراسة فرضت على الباحث أن يستعين بمنهج البحث التاريخي؛ اجتهد من خلاله في ترتيب الفصول ومباحثها ترتيبًا تاريخيًا؛ تناول فيها الأحداث ضمن سياقها الزمني صعودًا من الأقدم فالأحدث، كما استعان بعدد آخر من المناهج كالمنهج المقارن، لاسيما في الفصل الأول، حيث تطلب البحث عقد مقارنات في التطورات الحضارية بين مناطق الهلال الخصيب وجنوب شبه الجزيرة العربية؛ علاوة على ذلك وظف الباحث مجموعة من الأدوات كالتحليل والتركيب؛ حيث حلل مجموعة من النقوش ثم استنبط العديد من الأفكار الجديدة من خلال دراسة وبحث ما تضمنته تلك النقوش من موضوعات تتعلق بسياق البحث.

لم يقف الباحث على دراسات أكاديمية متخصصة؛ تناولت الموضوع بالعنوان ذاته؛ أو بالإشكاليات ذاتها؛ التي تحاول هذه الدراسة البحث فيها؛ إلا أن العديد من الدراسات والمؤلفات تناولت التجارة أو بعض اشكالياتها ضمن دراسات عامة لتاريخ العرب أو اليمن في التاريخ القديم لعل أهمها:

١ـالمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي.

٢ـ أفول الحضارة اليمنية القديمةـملاحظات أوليةـ،للدكتور عبدالله حسن الشيبة.

٣ـدراسات في التاريخ الحضاري لليمن، الدكتورة أسمهان سعيد الجرو.

٤ـتاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، كلاوس سيبمان، ترجمات د.فاروق إسماعيل.

٥ـ الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، جواد أحمد مطر.

٦ـالوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية (القرن الثالث قبل الميلادـالقرن الثالث الميلادي)، نورة عبدالله النعيم.

٧ـ مجموعة أبحاث تضمنها الكتاب الثاني لندوة تاريخ الجزيرة العربية الموسوم بـ(الجزيرة العربية قبل الإسلام) الصادر في الرياض عام ١٩٧٦م، أهمها:

أ- دليل البحر الإرتيري وتجارة الجزيرة العربية وجنوبها القديم (باللغة
أبي مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، احمد حسين
شرف الدين.

ج- تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني
والروماني، مصطفى كمال عبدالعليم.

كما أن هناك مجموعة من الدراسات الأجنبية التي تناولت وصف السلع التجارية
المتبادلة، وكذا طرق التجارة ومراكزها وموانئها ، لعل أهمها :


1-Albright.F.p: The American Archaeological Expedition in Dhofar.

2-Groom, Nigel : Frankincense and Myrrh, Astudy of The Arabian Trade.

3-Muller, W: Notes On The Use of Frankincense In South Arabia.

4- Muller, W: Arabian Frankincense In Antiquity According To classical Sources.

5-Strabo : The Geography.

6-Pliny: Natural History.

7-The Periplus of The Erythraean Sea.

8-Van Beek, Gus .W: Frankincense and Myrrh.

9-Reade,Julian : The Indian Ocean in Antiquity.

10-Daum, Werner: YEMEN, 3000 Years of Art and Civilization In Arabia Felix.


يمكن العودة إلى ملحق المراجع لمعرفة الدراسات التي تمت الاستعانة بها في الدراسة.

لتسهيل دراسة الموضوع تم وضع خطة بحث مكونة من تمهيد، وأربعة فصول على النحو التالي:

* **تمهيد:** أهمية البيئة الجغرافية في تجارة ممالك اليمن القديمة، فيه تمّ التطرق إلى ما قدمته البيئة الجغرافية بخصائصها المختلفة؛ من إمكانيات طبيعية ساعدت على قيام التجارة في جنوب شبة الجزيرة العربية، ثم ما هيأته لممالك اليمن القديم من ظروف جعلتها تضطلع بدور ريادي في التجارة الدولية.

* **الفصل الأول:** نشأة التجارة وتطورها، تمت دراسته في مبحثين: الأول: تناول نشأة التجارة وتطورها في التاريخ القديم؛ بحيث تم فيه البحث عن بدايات التجارة في مناطق الهلال الخصيب- أولى مناطق الزراعة في التاريخ-، أما المبحث الثاني: فقد تطرق إلى نشأة التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ وصولا إلى مرحلة نضجها مع نهاية عصر البرونز.

* **الفصل الثاني:** التجارة ونشأة ممالك اليمن القديم، تمّ تقسيمه إلى ثلاثة مباحث؛ خُصص أولها لمعرفة الجذور الحضارية التي نشأت عليها ممالك اليمن القديمة، وثانيها: تضمن محاولة لاستنتاج الزمن الذي ظهرت فيه الممالك؛ بينما ثالثها ناقش أسس قيام الممالك، ودور التجارة وأهميتها في نشأتها.

* **الفصل الثالث:** التجارة وازدهار ممالك اليمن القديمة، تمّ تقسيمه إلى خمسة مباحث؛ تناولت تأثيرات التجارة على أوضاع الممالك على النحو التالي:المبحث الأول: ناقش تأثير التجارة على العلاقة السياسية التي نشأت بين الممالك؛ بينما المبحث الثاني تناول تأثير التجارة على الأنشطة الاقتصادية في الممالك مؤكدًا ريادية النشاط التجاري في ازدهارها، أما المبحث الثالث فقد تطرق للتأثيرات التي ظهرت على الوضع الاجتماعي في الممالك؛ جراء ازدهار التجارة، تكفلت أحدى نقاطه بالحديث عن وضع المرأة ومكانتها في ظل ذلك الازدهار، وفي المبحث الرابع؛ كان الدين حاضرًا بغرض معرفة تأثير التجارة عليه. أما آخر مباحث هذا الفصل فقد تمّ تخصيصه للحديث عن دور الممالك في تقدم التجارة وازدهارها.

* **الفصل الرابع: التجارة وسقوط ممالك اليمن القديمة، درس عوامل سقوط الممالك؛ التي لم تبتعد عن النشاط التجاري، وتمّ تناولها في مبحثين: الأول تطرق للعامل الخارجي؛ متناولا انتعاش التجارة وتراجع التجارة على الطرق البرية، في حين تناول المبحث الأخير**

العامل الداخلي مناقشًا موقف الممالك من الصراع الدولي بين قوى الشرق والغرب، وكذا الصراعات الداخلية التي تفجرت بينهما؛ فكانت أحدى الأسباب التي جلبت التدخلات الأجنبية.

كانت رحلة بحثٍ شائقة، وشاقة -في الوقت ذاته- حاول الباحث خلالها تلمّس طريقه رغم الصعوبات والعقبات، مستعينًا -في سبيل تذليلها- بالجادّين من أساتذته وزملائه؛ فتغلب على بعضها، وأضناه بعضها الأخر، لعلّ أهمها : خلو السجل الأثري من النقوش التي تتحدث عن النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة، والفشل في محاولة السفر إلى بريطانيا للإطلاع على المؤلفات والدراسات المتعلقة بالموضوع بسبب رفض السفارة منح الباحث تأشيرة الدخول، صعوبة الترجمة من اللغات الألمانية والفرنسية والروسية.

وبعد؛ الثقة تملى الباحث؛ أن هذا الجهد المتواضع سيجد أساتذة متميزين؛ يولونه فائق عنايتهم؛ يقوّمون ما أعوجّ منه، ويصوّبون الأخطاء فيه، ويقدّرون الجهد، والله ولي التوفيق.

# تمهيـــد

# أهمية البيئة الجغرافية

# في تجارة ممالك اليمن القديمة

أدّت البيئة الجغرافية دورًا مهمًا في نشوء الحضارات، ورسم ملامحها، وتحديد طبيعة الأنشطة الإنسانية فيها؛ بل تعدى ذلك إلى إسهامها الفاعل في استمرارية هذه الأنشطة وتطورها؛ لذا أهمية الخوض في البيئة الجغرافية يكمن في أنه يقود إلى معرفة "روح المكان"، وتحديد شخصيته[1]، الأمر الذي يوفر أرضية جيدة لبث الحيوية المطلوبة التي تحتاجها دراسة الجوانب الحضارية؛ لاسيما الجانب الاقتصادي.

تهيأت لأرض ممالك اليمن القديمة - جنوب شبه الجزيرة العربية- خصائص جغرافية مميزة ساهمت – دون شك – في بلورة مقوماتها الحضارية، وأدّت دورًا متميزًا في الدفع بها إلى مواقع الصدارة في التجارة الدولية منذُ وقت مبكر من تاريخها الحضاري؛ ليصبح النشاط التجاري أحد الركائز الرئيسة في اقتصادها آنذاك.

ومن أجل معرفة المميزات التي وفرتها الخصائص الجغرافية لممالك اليمن القديمة، وساعدت في خلق البيئة الملائمة لنشاطها التجاري؛ يُعرض الآتي:

## ١- التباين الطبغرافي:

تتكون منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية من تراكيب تضاريسية متنوعة، تتمثل بالسهول الساحلية، والمرتفعات، والهضاب، والصحاري[2]. كل تركيبة تضاريسية أثرت - بشكل أو بآخر- تأثيرًا كبيرًا في الحضارة اليمنية القديمة؛ من حيث توفير الشروط الملائمة لقيام النشاط التجاري.

أ- <u>السهول الساحلية:</u> تتوزع السهول الساحلية في اتجاهين؛ الجنوب والغرب، السهول الساحلية الجنوبية تمتدت حتى ظفار- في عمان اليوم-، وتستقبل أودية مهمة، تقطع مناطق واسعة في أراضي جنوب شبه الجزيرة العربية، وهي تلك

---

[1] - للمزيد من الإيضاح حول روح المكان وشخصيته يُنظر: حمدان، جمال: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، دار الهلال، القاهرة (ب ت)، ص ١١- ١٨.

[2] - للمزيد حول طبغرافية وتضاريس اليمن يُنظر: بالفقية، عبدروس علوي: جغرافية الجمهورية اليمنية، سلسلة الكتاب الجامعي (٣)، الطبعة الأولى، جامعة عدن، عدن ١٩٩٧م، ص ٤٣- ٦٠.

الأودية التي قامت على امتدادها أنشطة زراعية؛ وفرت عوامل الاستقرار، وقامت على حوافها بعض المدنيات التي كان لها دورًا في التجارة حينها - ميفعة على سبيل المثال-[1]، و أهمها: (تبن)، (بنا)،(أحور)،(ميفعة)،(حجر)،(المسيلة)،و(جزع)[2].

قامت على السهول الساحلية الجنوبية موانئ تاريخية؛ أدّت دورًا بارزًا في عبور التجارات بين الشرق والغرب؛ حيث شكلت بدايات للطرق التجارية البرية التي تقطع شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال، ثم أصبحت محطات تجارية كبرى وأسواق رائجة، ومخازن تتجمع فيهما مختلف أنواع البضائع والسلع[3]. كما أنها تُعد البوابات الأولى للعلاقات المختلفة التي نشأت بين اليمن والأقاليم المجاورة وراء البحار؛ كنتيجة للنشاط التجاري باعتباره الممر التي عبرت من خلاله علاقات اليمن المختلفة مع العالم الخارجي، أهم تلك الموانئ في هذا السهل الساحلي هي: (عدن) و(قنا) و(سمهر/سمهرم)- خور روري اليوم-[4].

أما السهول الساحلية الغربية، فهي منطقة ساحلية؛ تتخللها أراضٍ صالحة للزراعة؛ تهيأت بفعل عمليات الإرساب الطيني والرملي الذي تحدث بسبب السيول والمجاري المائية المنحدرة من المرتفعات الغربية[5]، حيث تسيل باتجاهها أودية تاريخية مهمة هي: مور، سردود،سهام، رماع، زبيد،نخلة، رسيان، موزع[6]، كما

---

[1] - الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن (إربد) ١٩٩٦، ص ١٢٣-١٢٤.

[2] - بافقيه: جغرافية ...، ص ٤٩.

[3] - الشرجبي، عبدالله حسين: أقول الحضارة اليمنية (ملاحظات أولية)، مجلة بحوث جامعة تعز، العدد الثاني، تعز ١٩٩٨، ص ٦- ٧. كتلك عبدالتقي، محمد السيد: شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ١٨١- ١٨٢.

[4] -The Periplus of The Erytrean Sea, Translated and Annotated by Schloff, W. H., Distribated by Munshiram Manoharlaal Publishers Pvt.Ltd, Second Edition, New Delhi 1974,See 26,27,32.

[5] - بافقيه: المرجع نفسه ، ص ١٨٧.

[6] - بافقيه: المرجع نفسه، ص ٥٠. كتلك أبو العلا، محمود طه: جغرافية شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٨٨، ص ٤١.

ظهر عليها واحد من أهم الموانئ القديمة؛ هو: ميناء موزع (موشج)[1]؛ الذي ازداد نشاطه التجاري مع ارتفاع وتيرة التجارة البحرية في العهد الروماني[2].

ب- المرتفعات: تشغل المرتفعات أجزاء واسعة من أرض اليمن، وتمتد في اتجاهات مختلفة؛ فالمرتفعات الغربية تنتصب موازية لساحل البحر الأحمر الشرقي، بينما المرتفعات الجنوبية تمتد من أقصى الجنوب الغربي باتجاه الشرق وتوازي بحر العرب[3]. أما النطاق الجبلي الأوسط (الجبال الوسطى) فيرتفع من صعدة شمالا حتى الضالع جنوبًا، و به أعلى مرتفعات اليمن . بينما الجبال الشرقية لليمن تمتد من الشمال إلى الجنوب، يحدها من الشرق صحراء رملة السبعتين، ومن الغرب سلسلة الجبال الوسطى، وهي عبارة عن جبال وعرة تنحدر تدريجيًا نحو الشرق باتجاه الربع الخالي[4].

أهمية هذه المرتفعات تبرز في تأثيرها على عدد من الظواهر الجغرافية التي تميزت بها اليمن، والتي انعكست نتائجها على حياة الناس، وأنشطتهم المختلفة؛ بما في ذلك النشاط التجاري، ويمكن الوقوف على هذا التأثير من خلال الأتي:

١- تتلقى معظم جبال اليمن كميات كافية من الأمطار[5]؛ تتراوح ما بين ٣٠٠-

---

[1]- The Periplus : 21.

كذلك ينظر نيقولا، زيادة: " دليل البحر الأرثيري، تجارة الجزيرة العربية "، في كتاب تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٤، ص٢٧٠.

[2] - نيقولا، زيادة: ذاته. كذلك عبدالغني: شبه الجزيرة العربية ومصر...، ص١٤٦-١٤٧

[3] -جودة، حسين جودة: شبه الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥، ص١٥٢.كذلك عبدالله،يوسف محمد: "مدخل" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي،مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي(باريس)، ودار الأهالي (دمشق)١٩٩٩، ص ١٥.

[4] -للمزيد من التفصيل حول المرتفعات ينظر بلفقيه: جغرافية الجمهورية...، ص ٥١ - ٥٥.

[5] - أبو العلا: جغرافية شبه ...، ص ١١. كذلك ويلكنسن، ت.ج (وآخران)؛ " آثار المرتفعات اليمنية (تسلسل زمني تمهيدي) "، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ترجمة د.ياسين محمود القاسمي، صنعاء ٢٠٠١، ص ١٣٧.

١٠٠٠ملم[١]؛ لاسيما في موسمي الأمطار الرئيسيين (يوليو- سبتمبر) و (مارس - مايو)[٢]؛ بتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية؛ التي تصطدم بالمرتفعات مفرغة ما تحمله من أمطار عليها، وللحفاظ على هذه المياه، وتوجيهها، وتخزينها اتجه الإنسان إلى بناء الحواجز، والسدود، والصهاريج؛ فتطلب الأمر توفُّر سلطة موجهة، وموارد مادية، كما وجب عليهم التحلّي بروح التعاون والعمل الجماعي.

٢- تنساب السيول من هذه المرتفعات في اتجاهات مختلفة[٣]، مكوّنة أودية مهمة ساهمت في قيام ما يعرف بالزراعة المروية من ناحية، وكذلك قيام الحضارة العمرانية لممالك اليمن القديمة على امتداد بعضها من ناحية أخرى، بدليل تمركز حواضرها وأهم مدنها على حواف أهم الأودية التاريخية: مأرب على وادي (ذنه)، تمنع على وادي (بيحان)، شبوة على وادي (عرمة)، قرناو على وادي (مذاب)[٤]، ومسور على وادي (مرخة)[٥].

نزول الأمطار بكثافة على المرتفعات يؤدي إلى انحدار السيول بقوة حاملة معها تربة بنوعية خاصة (بركانية خصبة) تستقر في واحات الوديان والمنخفضات[٦]، وبوجود الماء والتربة الخصبة قامت زراعة متميزة في هذه المناطق؛ رفدت النشاط التجاري بالكثير من المواد المتداولة في العملية التجارية.

٣- تتخلل المرتفعات والقمم الجبلية والوديان- لاسيما في النطاق الجبلي الأوسط- مجموعة من الأحواض الواسعة؛ التي تُعد من أخصب مناطق جنوب شبه الجزيرة

---

[١] - إيدينز، كريستوفر و ويلكنسن، ت.ج.: " جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسين): الاكتشافات الأثرية الأخيرة"، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ترجمة ديانسين محمود الخالصي، صنعاء ٢٠٠١م، ص ٤.

[٢] - أبو العلا: جغرافية شبه ...، ص ٥٨. كذلك بافقيه: جغرافية الجمهورية...، ص ٨٤.

[٣] - بافقيه: ، المرجع ذاته، ص ١٠٢ .

[٤] - عبدالله، يوسف محمد: " في صفة بلاد اليمن " في كتاب أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠، ص ١٥.

[٥] - الجرو: موجز ...، ص ١٦٩.

[٦] - الشرجبي: المول ...، ص ٤.

العربية، ذات تربة صلصالية غنية ، وغنية- أيضًا- بمياه الأمطار،والمياه الجوفية[1] ؛ مما يجعلها صالحة للزراعة طوال العام.

٤- رغم أن الإنسان ابن بيئته؛ إلا أنه- الإنسان- في المرتفعات الوسطى والغربية تمكن من تحويل طبيعتها الجبلية إلى مسطحات زراعية على هيئة مدرجات منبسطة على جوانبها، محتفظًا فيها بجزء من الأمطار الساقطة على المرتفعات،ومحافظًا على التربة من الانجراف؛ خالقًا بذلك بيئة زراعية جديدة؛ فزادت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة[2] ؛ في عملية ينذر أن تجد لها نظير في مناطق العالم القديم.

٥- طبيعة البيئة الجبلية دفعت الفكر الإنساني هناك إلى الابتكار، والمثابرة للسيطرة على هذه البيئة، والتعايش معها، والإفادة منها من خلال إقامة الحواجز الترابية للسيطرة على مياه الأمطار، والسيول وتوزيعها، وبناء السدود في المناطق الضيقة بين الجبال التي تمر بها الوديان، مستفيدًا من ارتفاع مستوى المياه لتوزيعها عبر قنوات للري بهدف الاقتصاد والتوفير[3].

كما عرفت بعض مرتفعات اليمن بناء خزانات الماء، وهي ما تعرف اصطلاحًا بالصهاريج- مفردها صهريج-، أشارت لها النقوش في صيغة الجمع (كريفت)؛ إذ جاءت في السطر الثالث من نقش (J 2867)، وفي صيغة المفرد (كريف)؛ و ظهرت في السطر الثاني من نقش (C 230)، وفي السطر السادس من نقش (C 291)[4].

تنفرد الصهاريج- كآثار- بميزة فريدة؛ قلما تجدها في الآثار الثابتة الأخرى، تتمثل في إمكانية إعادة تأهيلها للعمل اليوم؛ فهي آثار قابلة لاستعادة الحياة مع قليل من الجهد والبذل؛ لتعطي صورة حية تساعد الباحثين في كتابة التاريخ من ناحية،

---

[1] - بافقيه: جغرافية الجمهورية...، ص ٣٠.

[2] - ويلكنسن (وآخران): آثار المرتفعات...، ص١٣٧.

[3] - الذبية: المرجع...، ص٠. عثمان عبدالله، يوسف؛ أبدال...، ص١٧.

[4] - ريكمانس، ا. فند ل (وآخرون): المعجم المسند، مكتبة لبنان ودار نشريات بيترز لوفان الجديدة، بيروت ١٩٨٢، ص٧٩.

ومن ناحية أخرى يمكن الاستفادة منها كمنشأة حيوية تحتاجها المناطق الزراعية في المرتفعات بالذات.

شهدت ممالك اليمن القديمة بناء الصهاريج؛ لاسيما حضرموت وقتبان وأوسان[1]، إلا أن دوافع تشييدها، وكذلك الوظائف التي تقوم بها اختلفت من منطقة إلى أخرى؛ بسبب اختلاف طبيعة المنطقة ذاتها، واختلاف نشاطها الاقتصادي، حيث أن المرتفعات التي شهدت نشاطًا زراعيًا، تأخذ وظيفة الصهاريج فيها شكل جمع مياه الأمطار وحفظها، ومن ثم تسريبها- عند الحاجة- إلى المناطق الزراعية كوسيلة للري. بينما المدن ذات النشاط التجاري المحاطة بالجبال كان لصهاريجها وظيفة مختلفة؛ فبعد تجميع المياه وحفظها تقوم قنوات محكمة التشييد بتزويد قطاعات المدينة بالمياه اللازمة للاستهلاك اليومي، وكذلك تزويد الجهات ذات العلاقة بالتجارة- قوافل أو مراكب- بما يلزمها من مياه أثناء بقائها في المدينة، أو ما تحتاجه خلال رحلاتها الطويلة حتى ترد موقعًا أو محطة أخرى تجد فيها حاجتها من الماء - عدن وصهاريجها تمثل أنموذجًا جيدًا لمثل هذه المدن والمحطات[2]-.

٦- شكلت المرتفعات الوسطى والغربية، وما يتخللها من منخفضات الملاذ الآمن لسكان المناطق الشرقيةالجافة؛ بعد تراجع النشاط التجاري للطريق البري، وازدهار التجارة عبر الطريق البحري؛ إذ وجدوا فيها الأمن، والأرض الصالحة للزراعة التي فقدوهما؛ بفقدانهم السيطرة على التجارة البرية، وتعرضهم لضغط القبائل البدوية[3]، وما صاحب ذلك وتلاه من ضعف، وخروب طاحنة، وعدم استقرار سياسي، وانهيار لممالك الصحراء ، وانتشار أعمال السلب والنهب[4].

---

[1] - الحمد، جواد مطر: الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية في اليمن القديم، الطبعة الأولى، جامعة عدن (عدن)، ودار الثقافة العربية (الشارقة) ٢٠٠٢، ص ٣٢٤-٣٢٦. كذلك محيرز، عبدالله أحمد: صهاريج عدن، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن١٩٨٧، ص ٧٦-٧٩.

[2] - محيرز: صهاريج عدن، ص٧٨.

[3] - ويلكنسن: آثار المرتفعات...، ص١٣٦. كذلك روبان،اريستيان جوليان: " الممالك المعارية "، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبا، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩، ص١٨٠.

[4] - الشيبة: أقول...، ص٧-٨.

أن حدوث هذا الانتقال تؤيده نتائج المسح والتنقيب الأثري؛ اللذان بدأت بهما بعثة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو منذ عام ١٩٩٤م؛ في المرتفعات الوسطى بهدف دراسة زراعة المدرجات القديمة في المرتفعات اليمنية[1]، فقد تمّ التوصل إلى بعض الأدلة الأثرية الداعمة لفكرة الانتقال، إذ عثرت البعثة على آثار فخارية تعود للقرن الأول قبل الميلاد وبعده بقليل؛ ظهرت فجاءة في تلك المرتفعات، وتشابه نمط الفخار الذي عرفته المناطق الشرقية والجنوبية، كما وجدت كتابات في تلك المرتفعات على بعض الأحجار والفخار، مكتوبة بالخط الذي عُرف في نقوش ممالك الصحراء. إلا أن ما أثار دهشتهم أكثر؛ هو عثورهم على بقايا معمارية ومنحوتات ذات تأثيرات هيلينستية؛ دفعتهم في النهاية إلى الخروج بفرضية ترى أن بزوغ نجم حمير على حساب ممالك الصحراء- سبأ وقتبان بالذات- أدى إلى اندماجها في الأنظمة التجارية والاقتصادية السائدة في العالمين الهيلينستي؛ ثم الروماني، الأمر الذي سمح بدخول حضارة مادية طارئة عن طريق وصول عدد من الناس من هذين العالمين إلى هذه المرتفعات[2].

بالوقوف على هذه الفرضية يجد الباحث ذاته على نقيض منها؛ إذ يرى أن البقايا الأثرية ذات التأثيرات الهيلينستية في هذه المرتفعات ما هي إلا دليل آخر يؤيد ويدعم فكرة انتقال الناس- آنذاك- من المراكز الحضارية الشرقية إلى تلك المرتفعات؛ فهناك الكثير من الشواهد التاريخية التي تسمح بقبول هذا الرأي، وفي ذات الوقت تمنح فرصة التأني قبل القبول بفرضية هذه البعثة:

١- باستثناء بعض الأدلة الأثرية في مناطق المرتفعات الوسطى والغربية؛ التي أتت إلى الاعتقاد بوجود صلات تجارية محدودة بمراكز حضارية خارجية؛ تمثلت بتجارة المواد الخام؛ كخام الأبسيديان (السبج)[3]؛ مما يظهر علاقات مباشرة ليست

---

[1] - ويلكنسن(وآخران): آثار المرتفعات...، ص٩٨.

[2] - ويلكنسن(وآخران)، المرجع ذاته، ص١٣٦-١٣٨.

[3] - إدريس، جمال الدين محمد: "قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى"، مجلة حولية الآداب، كلية الآداب، جامعة عدن، العدد الرابع، عدن يوليو ٢٠٠٧، ص٢٨٨-٢٨٩.

واسعة مع المناطق البعيدة ، إلا أنه لا يُستبعد أن هذه المرتفعات - ربما -عاشت عزلة طويلة امتدت حتى بداية العصر الحميري[1] - ربما بسبب إنتاجها مواد زراعية متنوعة وكافية-[2]؛ ومن ثمّ من غير المعقول أن يحدث هذا الاندماج المفاجئ بالأنظمة الاقتصادية والتجارية للعالمين الهيلينستي والروماني في هذا الوقت المبكر من زمن الدولة الحميرية - القرن الأول قبل الميلاد، وبعده بقليل-.

٢- عدم الاستقرار السياسي، والوضع المضطرب في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ بملامحه المتمثلة بالحروب الطاحنة، وانتشار أعمال السلب والنهب، وفقدان الأمن[3]، بما يمكن تسميته زمن بداية احتضار الممالك القديمة، لن يساعد حمير التي كانت في طور النشأة على إقامة مثل هذا الاندماج مع هذين العالمين.

٣- بعد فشل الحملة الرومانية بقيادة إليوس جالوس (Aelius Gallus) مع بداية الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد[4]، صرف الرومان النظر عن تكرار هذه المحاولة مرة أخرى، مما يسمح باستبعاد دخول عدد من الناس من العالم الروماني إلى هذه المرتفعات- بما قد يحملوه من تأثيرات حضارية- من خلال هذا المنفذ.

٤- تحول التجارة من البر إلى البحر مكن الرومان من الحصول على المنتجات والبضائع التي يحتاجونها في منابعها، أو على الأقل في أسواقها الأولى- الموانئ- دون الحاجة إلى وسيط تجاري، وعليه- دون شك- أقام الرومان علاقات معينة مع موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية؛ بما يحقق مصالحهم التجارية، إلا أن الدافع لديهم لإقامة اندماج اقتصادي وتجاري مع مناطق المرتفعات لا مبرر له في هذا الوقت.

لكل ما جاء أعلاه؛ فأن التأثيرات الهيلينستية-الرومانية التي عثر عليها في البقايا الأثرية ربما لم تكن قد وصلت من عالميهما بشكل مباشر إلى المرتفعات؛

---

[1] - ويلكنسن: مرجع سابق، ص١٣٥-١٣٦.

[2] -إدريس: مرجع سابق، ص٢٨٩.

[3] - الشيبة: أقول ...، ص٨. كذلك روبان: " الممالك المحاربة " ، ص١٨٠.

[4] - Strabo: The Geography of Strabo, the English translation by Horace Leonard Jones,Harvard University Press,London,BK 16,ch 4,Sec 24,P 361.

وإنما عن طريق الناس الذين أجبرتهم الظروف السابق ذكرها على الانتقال من شرق الهضبة اليمنية إلى هناك؛ لا سيما وأن النشاط التجاري البري لممالك اليمن القديمة مع المناطق التي تقع إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية - سورية بالذات- طيلة الألف الأول قبل الميلاد أدى دوراً كبيراً في ظهور صلات وعلاقات متعددة؛ تحت مسألة التبادل التجاري، فأفرزت تأثيرات حضارية وفنية خارجية تم الكشف عنهما في البقايا الأثرية التي وجدت في مناطق متفرقة من الأراضي التابعة لهذه الممالك، وبما أن سورية تُعد الممر الذي مرت من خلاله ثقافات وحضارات متنوعة باتجاه الجنوب[1]؛ فإن مهارات وفنون سورية الهيلينستية، وفنون العالم الكلاسيكي عموماً ظهرت في العديد من الأعمال الفنية التي خلفتها تلك الممالك؛ لعل أبرزها تجلى في التماثيل والمنحوتات والرسومات والفخار، وفنون العمارة وزخرفتها، وكذلك فيما أبدعه الفنان على النقود، وأعمدة النقوش، وغيرها من إبداعات وفنون إنسان ممالك اليمن القديمة[2].

وهكذا؛ فإنه مع انتقال الناس من المناطق الشرقية للسكن والاستقرار في المرتفعات الوسطى والغربية؛ لابد وأنهم نقلوا معهم ماتعلموه، وخبروه، ومارسوه مما أدى إلى ظهور تلك التأثيرات- الهيلينستية/الرومانية- في هذه المرتفعات آنذاك.

## ٢- التنوع المناخي:

يتصف مناخ اليمن بشكل عام بأنه مناخ مداري- موسمي؛ فبعض المناطق تصنف ضمن نطاق مناخ الصحارى المدارية الحارة، وبعضها الآخر يشوب طبيعتها المناخية بعض مظاهر المناخ الموسمي؛ لتأثره بهبوب الرياح الموسمية[3].

---

[1] - فان بيك: " تاريخ العربية الجنوبية وآثارها "، ترجمة رضا جواد الهاشمي، مجلة التراث، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المجلد الثاني، العدد الثاني، عدن مايو ١٩٧٨، ص١٠٤.

[2] - للمزيد من التفاصيل حول التأثيرات الثقافية القادمة من سورية يُنظر: هشام عبد العزيز: التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠٠٢، ص١٨٠-١٩٣؛ وانظر أيضاً: كمال حداد: شبه الجزيرة العربية، ص١١٥ وص١٥٩.

[3] - للمقارنة: جغرافية سورية - الجزء الأول: كمال حداد: شبه الجزيرة العربية، ص١١٥ وص١٥٩.

تتأثر ظاهرات المناخ وعناصره في جنوب شبه الجزيرة العربية، من حرارة ومطر ورطوبة ورياح وغيرها بخصائص البيئة الجغرافية الأخرى، كالموقع الفلكي والمسطحات المائية والتضاريس[1]، هذا التأثير أفرز واقع مناخي متعدد و متنوع - بحسب خصائص هذه المنطقة أو تلك -؛ لذا تمّ تقسيمه إلى عدد من الأقاليم المناخية - مع تميّز كل إقليم بصفة مناخية خاصة به -؛ على النحو التالي:

١- إقليم السهول الساحلية ٢- إقليم المرتفعات ٣- إقليم الهضبة الشرقية (هضبة حضرموت) ٤- الإقليم الصحراوي[2].

المناخ –عمومًا- وكذا تنوعه وتعدد أقاليمه كان ذا أهمية بالغة، وتأثير قوي على مختلف مناشط الحياة التي عاشتها ممالك اليمن القديمة، وفيما يخص هذه الدراسة فإن أهمية هذا التميّز المناخي تنطلق من كونه يُعد سببًا مهمًا – مع التضاريس – في توزيع و تنوع النباتات الطبيعية[3]، تلك النباتات التي شكلت بعضها سلعًا مهمة في تجارة الممالك؛ كاللبان والمر، لما يحتاجه كل نوع من أنواع النباتات من ظروف مناخية معينة للنمو والإثمار، ليس هذا فحسب؛ بل أنه أدى إلى تنوع المحاصيل التي زرعها الإنسان حتى في إطار المنطقة التضاريسية الواحدة - المرتفعات أنموذجًا- مما أتاح- بالضرورة- مجالاً رحبًا للعملية التجارية في أن تنشط داخليًا في إطار تلبية حاجة المناطق للمحاصيل التي لا تنتجها من ناحية، وخارجيًا بما وفرته من منتجات زراعية ذات صفة تجارية على الصعيد الدولي من ناحية أخرى.

إذا كان للرياح دورًا موسميًا مهمًا في السطح اليابس الذي شغلته ممالك اليمن القديمة فيما يتعلق بنزول الأمطار وفصولها ؛ فإن دورها على المسطحات المائية المحيطة بهذا السطح لا يقل أهمية بالنسبة للنشاط التجاري البحري، إذ استغل ملاحو هذه الممالك معرفتهم باتجاهات الرياح وأوقاتها في تسيير السفن في البحر الأحمر وبحر العرب وشمال المحيط الهندي منذ وقت مبكر؛ بل واحتفظوا لأنفسهم بأسرار

---

[1] - للمزيد من التفصيل حول تأثير البيئة الجغرافية على عناصر المناخ يُنظر بالفقيه:جغرافية الجمهورية... ،ص٦١-٩٠

[2] - للمزيد من التفصيل حول طبيعة الأقاليم المناخية وصفاتها يُنظر بالفقيه: المرجع ذاته ، ص٩٠-٩٩.

[3] - بالفقيه: المرجع ذاته، ص١٢٣

حركة تلك الرياح زمنًا طويلاً[1]، الأمر الذي مكّنهم- دون شك- من احتكار تجارة البحر – لاسيما مع الهند وشرق أفريقيا حتّى تمّ اكتشافها من قبل الملاح الإغريقي ( هيبالوس ) في القرن الأول قبل الميلا -[2]*.

**٣- الموقع:**

تموقعت ممالك اليمن القديمة على رقعة جغرافية غاية في الأهمية ليس فقط بالنسبة للتجارة؛ بل وسائر العلاقات التي قامت فيما بينها من ناحية ، وكذا علاقاتهم مع المحيط الخارجي من ناحية أخرى.

إن عناق الماء بسطح اليابس - بأشكاله التضاريسية المختلفة- في هذا الموقع ما هو إلا تجسيد نادر ونموذج مصغر لماهية الأرض، وأهميتها بالنسبة للإنسان.

فالموقع وعلاقته بخصائص البيئة الجغرافية في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية أثّر تأثيرًا مباشرًا في ممالك اليمن القديمة[3]؛ بل منذ الاستقرار الأول واختيار هذا الموقع؛ كمكان مناسب للعيش؛ بما وفره من إمكانيات للسكن والاستيطان؛ باعتباره موقع جذب[4]- بغض النظر عن الهجرات التي خرجت فيما بعد؛ إذ كان لها أسبابها المختلفة-.

مع ظهور الثقافات الأولى والحضارات في عصور قبل التاريخ كان للموقع فعله المؤثر في اتجاهين متناقضين :

---

[1] - الشيبة، عبدالله حسن: ترجمات يمانية، القسم الأول (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، الطبعة الأولى، منشورات دار الكتاب الجامعي، صنعاء ٢٠٠٨م، ص ٣٣. كذلك الشيبة: أقول...، ص٦. يُنظر أيضًا عبد الغني: شبه الجزيرة العربية ومصر...، ص١٤٧-١٤٩.

[2]- The Periplus: 57.

* - هناك من يرى بأن أول من وصل من الملاحين الإغريق إلى الهند عن طريق البحر الأحمر هو(يودوكسوس)؛ بتكليف من الملك بطليموس يوارجيتيس الثاني في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، عبد الغني: شبه الجزيرة العربية ومصر...، ص ٤٣، وص ١٤٨.

[3] - الشيبة: أقول...، ص١٩.

[4] - إدريس: " قراءة..."، مجلة الآداب، ص٢٨٢ . كذلك إدريس، جمال الدين محمد: " جذور العلاقات التاريخية بين العربية الجنوبية الغربية (اليمن) والقرن الإفريقي، أدلة أثرية "، مجلة سبأ، أقسام التاريخ والآثار- جامعة عدن، العدد (١٤-١٥)، عدن يوليو ٢٠٠٧، ص١٨.

١- بُعد المنطقة عن مراكز الحضارات التي قامت إلى الشمال من امتدادها البري - العراق وسورية بالإضافة إلى مصر- ربما ساهم في تأخر دخولها العصور التاريخية في ظل الافتقار لوسائل الاتصال والمواصلات المناسبة آنذاك[1]. وهنا يمكن – بشيء من الجرأة- الافتراض أن التجارة ساهمت مساهمة فاعلة في ظهور العصر التاريخي في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية؛ من خلال ما وفرته من إمكانيات الاحتكاك بمواطن المدنيات في تلك المناطق، وكذلك من خلال ما نقلته من تأثيرات مختلفة؛ على اعتبار أن الطريق التجاري لا ينقل فقط السلع والبضائع؛ و إنما ينقل كذلك الأفكار والتأثيرات الحضارية.

٢- إطلالة مستوطنات عصر البرونز التي تموضعت على ساحل تهامة في منطقة تمتد من مستوطنة (سيحي[2]) حتى سواحل عدن الشرقية عند ضاحية صبر؛ وهي المستوطنات التي عرفت ثقافة واحدة في هذا العصر؛ أطلق عليها (ثقافة صبر)، إطلالها على البحر؛ وهي تشخص صوب البر الأفريقي بجهته الشرقية جعلها تتجه نحو ذلك البر، وقد تجسد ذلك في أسلوب وتقنية صناعة الفخار والدمى الطينية الصغيرة؛ المتماثل بين هذه المستوطنات ومناطق كثيرة في الحبشة والشاطئ الإرتيري، وكذلك في بلاد النوبة وشرق السودان، إلى جانب تبادل هذه المناطق للمواد الأولية والبضائع كالسبج والعاج ؛ وربما بعض النباتات والحيوانات[3].

مع بداية الألفية الأولى السابقة للميلاد شهد جنوب شبه الجزيرة العربية تحولات غاية في الأهمية، ظهرت مؤشراتها فيما طرأ في هذه المنطقة من تطورات طالت كل مناحي الحياة بأبعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية؛ إذ

---

[1] - سيادة الجمل كوسيلة للنقل في بلاد العرب لا يبعد عن مطلع الألف الأول قبل الميلاد؛ إذ يرجَّح أن بداية استئناسه كان مطلع الألف الثانية قبل الميلاد، للمزيد يُنظر الهاشمي، رضا جواد : " تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم " في كتاب تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، بغداد ١٩٨٤م، ص١٠.

[2] - موقع أثري قريب من جيزان عند الحدود السعودية اليوم.

[3] - فوكت، بوركهارد و سيدوف، اكسندر: ثقافة صبر على الشاطئ اليمني، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص٤٢-٤٤. كذلك إدريس: " جذور..."، مجلة سبأ ، ص٣٧ وص٤٢.

النتظم -منذ ذلك- انتقال قوافل الحبر منها وإليها؛ محملة بأنواع السلع والبضائع[1]، فانفتح اقتصادها انفتاحًا واسعًا على التجارة، حتى أضحت تشكل ركيزة أساس في اقتصاد هذه المنطقة، هذا التطور الاقتصادي تطلب -بالمقابل- تطورًا سياسيًا موازيًا؛ بما يساعد على الحفاظ عليه وتنظيمه وتنميته، بمعنى آخر تطلب -بالضرورة- ظهور سلطة سياسية منظمة؛ فكان ظهورها على هيئة ممالك[2] ما لبثت أن تطورت وازدهرت ملبية متطلبات هذا النمو الاقتصادي الكبير؛ سيما وأن هذا العصر شهد تثبت دخول المنطقة في العصر التاريخي - عصر الكتابة-؛ بما يمكن اعتباره نقلة فكرية وتطور ثقافي مهم حينذاك[3].

كان للموقع حينها- أيضًا- أثرًا مباشرًا في تلك التطورات التي حدث في المنطقة، فمن ناحية؛ أدى الشريط الساحلي الطويل الممتد في جهتين منها- بما فيه من موانئ طبيعية- دورًا عظيمًا في التجارة الدولية بين الشرق والغرب؛ فالبحر الأحمر، وبحر العرب شكلا معبرين؛ نشأت من خلالهما العلاقات التجارية لممالك اليمن القديمة مع الهند[4] وشرق أفريقيا[5] ومصر[6]، فسيطروا على تجارة موانئ المحيط الهندي شرقًا وغربًا زمنًا أمتد في التاريخ طويلا[7]؛ مما أسفر عن احتكاكهم

---

[1] - الشيبة: أقول...، ص١٥.

[2] - الطي، صالح أحمد: محاضرات في تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨م، ص ١٨.

[3] - الشيبة: المرجع السابق، ص ١٥.

[4] - الطي: المرجع السابق، ص٣٦-٣٧. كذلك دلو، برهان الدين: جزيرة العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٩م، ص١٢٥. كذلك سحّاب، فكتور: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، الطبعة الأولى، كمبيو نشر، والمركز الثقافي العربي، بيروت مايو ١٩٩٢م، ص٢٦٧.

[5] - علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثامن، الطبعة الثانية، العلم للملايين (بيروت)، ومكتبة النهضة (بغداد) ١٩٧٦م، ص٩٦. كذلك الشيبة، عبدالله حسن: دراسات في تاريخ اليمن القديم، الطبعة الأولى، مكتبة الوعي الثوري للطباعة والنشر والتوزيع، تعز ١٩٩٩م، ص١٦٨. كذلك سحّاب: المرجع السابق، ص٢٧٠.

[6] - شيبمان: تاريخ الممالك...، ص١٢١-١٢٣. كذلك محمود، عزة محمود: العرب قبل الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة مارس ٢٠٠٢، ص٣٤٦-٣٤٩.

[7] - الطي: محاضرات في تاريخ العرب، ص١٨.

بالمدنيات القديمة- تأثرًا وتأثيرًا-، تجلى تأثيرهم- بشكل واضح- من خلال إسهام عرب الجنوب في قيام مملكة أكسوم وتطورها- فيما بعد- على سبيل المثال[1].

ومن ناحية أخرى؛ خوض القوافل غمار الصحراوات وقفارها؛ وصولاً إلى مدنيات الشمال فتح المجال رحبًا لإقامة علاقات تجارية، ثم حضارية مع ممالك العراق وسورية، بالإضافة إلى تنمية العلاقات التجارية مع مصر عن طريق البر، وهنا لا يمكن إغفال أن الاتصال التجاري مع المناطق الفينيقية والفلسطينية ساعد على نشوء العلاقات التجارية مع شعوب شمال حوض البحر المتوسط ( اليونان و الرومان)؛ وهو ما أدّى- لاحقًا- إلى ظهور أشكال أخرى من العلاقات بينهم - كما سيأتي لاحقًا - .

وهكذا، فالموقع المهم لجنوب شبه الجزيرة العربية؛ جعل منه جسرًا بين الشرق والغرب؛ فهو يتوسط- مع امتداده في شمال - قارات العالم القديم، ويجاور أهم حضارته وأعرقها؛ كالحضارة الهندية،والحضارات في إيران، والعراق، وسورية، والحضارة المصرية، وكذلك موانئ ومراكز التجارة في شرق أفريقيا، بالإضافة إلى العلاقات مع الحضارتين اليونانية ثم الرومانية، كل ذلك أهّل ممالك اليمن القديمة القيام بدور بارز في التبادل التجاري والحضاري؛ مستغلة تباين تلك الحضارات، وحاجة بعضها إلى بعض؛ فكانت - فعليًا- حلقة تبادل تجاري، وتواصل ثقافي على مدى قرون بين تلك الحضارات[2].

لا ريب أن هذا الموقع المتميّز وتنوع البيئة الجغرافية فيه يعكس- يقينًا- عبقرية المكان الفريدة، غير أن الموقع ثابت، وهو- حقيقة- هبة الخالق وعبقريته[3]؛ بينما المواضع التي اختارتها الممالك لإقامة عواصمها عليها وأهم مدنها - وهي متغيّرة بطبيعة الحال[4]-؛ تظهر- بيقينية أكثر- عبقرية الإنسان هناك؛ فبالنظر إلى المواضع

---

[1] - لمزيد من التفصيل حول هذا الإسهام يُنظر الشيبة: دراسات...، ص١٦٨- ١٨٨ .

[2] - الشامي، صلاح الدين علي: الواقع الاقتصادي العربي قبل الإسلام، سلسلة الكتب الجغرافية (٦٣)، منشأة المعارف، الإسكندرية مايو ١٩٨٣م، ص ١٥. كذلك شيبان: تاريخ الممالك...، ص١٢٣.

[3] - عبقرية الخالق هنا تتجلى عندما يستفيد الإنسان من هذه الهبة ويستغلها استغلالاً صحيحًا، وهو ما حدث فعليًا في هذا الموقع وكذلك

[4] - تحول عاصمة مملكة سبأ من صرواح إلى مأرب أنموذجًا، كما أن العواصم يمكن أن تزول وتنتهي.

التي قامت عليها عواصم ممالك اليمن القديمة يُلاحظ بأن اختيارها جاء مواكبًا طبيعة التطور الاقتصادي في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ فتسارع خطى النشاط التجاري فرض على الممالك أن تضع ثقلها السياسي؛ ممثلًا بالعواصم على مفاصل الطرق التجارية[1]؛ بغرض المشاركة الفاعلة فيه؛ بما يضمن حسن إدارته وحمايته، والاستفادة منه الاستفادة المثلى؛ و من ثمّ فإن اصطفاء هذه المواضع لإقامة العواصم كان- على الأرجح - قد تمّ بتأثير مباشر من التجارة بعد أن بزغ نجمها حينذاك، والملاحظات التالية حول طبيعة المواضع التي قامت عليها تلك العواصم يمكنها أن تعزز هذا الاعتقاد؛ وهي كالتالي:

١- تشكل مواضع العواصم مسارًا لطريق من الجنوب إلى الشمال- والعكس-؛ بما يحتاجه الطريق من تجنّبٍ للعوائق والصعوبات؛ عبر الالتفاف والميل والاختصار وأحيانًا الإطالة.

٢- قامت العواصم في مواضع متقاربة بعضها من بعض على الرغم من المساحات الشاسعة التي كانت تقع تحت سلطان كل مملكة؛ إذ لم يتجه تفكير أيٍّ من تلك الممالك نحو إقامة العاصمة في منطقة بعيدة عن عواصم الممالك الأخرى- لضمان الابتعاد مسافة كافية؛ تحقيقًا لأمنها، ودرأً لمخاطر جيرانها مثلًا -؛ بل حرصت هذه الممالك على تأسيس عواصمها ضمن هذا النطاق بالذات؛ تلبية لشرط من شروط بقائها وديمومتها.

٣- صحيح أن العواصم والمدن المهمة في هذه الممالك قامت على ضفاف في الأودية؛ إلا أن بعضها لم تقم على الأراضي الأكثر خصوبة فيها، بدليل أن شبوة عاصمة مملكة حضرموت تقع على مرتفع (هضبة) يغلب على أرضه الملح[2]؛ رغم أن هذه المملكة تمتلك مناطق أخرى أكثر خصوبة في وادي حضرموت.

---

[1] - عبد الله، يوسف؛ أوراق...، ص٢٢٠.

[2] - بريدون، جان فرانسوا؛ "شبوة: المواقع والمدينة" في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزه علي حائل، جان فرانسوا بريدون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م، ص٤٠.

٤- قامت العواصم على أراض تقع بين الجبال غربًا والصحراء (مفازة صيهد) شرقًا، وهو نطاق يُعد ملائمًا تمامًا لسير الجمل- وسيلة نقل التجارات حينها-.

٥- اختيار موضع العاصمة - في كل زمان و مكان – يتم من خلال استشراف مستقبل المنطقة؛ وذلك بوجود مؤشرات حاضرة، ولم تكن مؤشرات حاضر هذه المنطقة- موضوع الدراسة- لاختيار مواضع لعواصم تلك الممالك الناشئة سوى القراءة الجيدة لمستقبل التجارة فيها.

إن القراءة المتأنية للملاحظات أعلاه لن تقود إلى تأكيد أن التجارة كانت وراء اختيار مواضع العواصم فحسب؛ بل وإلى ترجيح الاعتقاد بأن ممالك اليمن القديمة قامت على أساس النشاط التجاري باعتبار الآتي:

- طريق تجاري مطروق ولكنه غير مفعّل بعد، قامت على جنباته عواصم ومدن مهمة؛ ساهمت- دون ريب- في تنشيطه وازدهاره؛ بفعل نضوج العوامل الذاتية والموضوعية في المنطقة لحدوث تلك الطفرة الاقتصادية المتمثلة بالتجارة.

- اشتراك الممالك في إدارة النشاط التجاري كان أحد الشروط الأساسية لنجاحها؛ بل ولاستمرارها وازدهارها، بدليل تغيير عاصمة مملكة سبأ من صرواح إلى مأرب التي تحتل موقع ممتاز على طريق التجارة.

- استقرار إنسان جنوب شبه الجزيرة العربية، واختياره لمواضع المستوطنات التي أنشأ فيها مجتمعات مستقرة؛ بدءًا من العصر الحجري الحديث، مرورًا بعصر البرونز؛ التي تطورت إلى قرى، وبعضها إلى مدن فيما بعد؛ اعتمد في الأساس على مدى تحكم الموضع بمساحة الأرض الزراعية- ناهيك عن قربه من مصادر مواد البناء، وحصانته من الناحية الدفاعية-[1]، بمعنى أن الزراعة كانت مهمة للاستقرار، ونشوء المجتمعات الاستيطانية؛ بينما قيام الممالك واختيارها لمواضع عواصمها اعتمد بالأساس على مدى التحكم بالطريق التجاري، ومدى السيطرة على النشاط التجاري هناك، أي أن التجارة كانت أساس نشوء ممالك اليمن القديمة وقيامها. لا يعني ذلك- بأي حال من الأحوال- إغفال أهمية الزراعة؛ إذ أن أهميتها تكمن في

---

[1] - إدريس: قراءة...، مجلة حولية الآداب، ص٢٨٥.

أنها وفرت شروط الاستقرار، والاستقرار- بحد ذاته- ضروري لقيام النشاط التجاري، كما أنها وفرت- في جزء منها- مواد احتلت ركن أساسي في تجارة ممالك اليمن القديم، والسؤال التالي يمكن أن يساعد على فهم حقيقة قيام تلك الممالك على اكتاف التجارة وهو: لماذا لم تقم مثل تلك الممالك القوية عندما كانت الزراعة- لوحدها- هي أساس الاقتصاد في جنوب شبه الجزيرة العربية ؟!! مع العلم أن المناطق المجاورة في الشمال قامت فيها الممالك والدول قبل وقت مبكر من قيامها في هذه المنطقة.

إذًا كلاهما: الموقع (Location) والموضع (Site)[1] كان لهما أثرًا قويًا في نشؤ التجارة وازدهارها ، ومن ثمّ نشؤ ممالك اليمن القديمة وازدهارها.

أخيرًا، لابد من الإشارة- مرة أخرى- إلى أن الخصائص الجغرافية لجنوب شبه الجزيرة العربية وتنويعاتها لم تكن لتشكّل علامة فارقة ضمن مجموعة العوامل الحاسمة التي وفرت أسباب ذلك الازدهار الحضاري في هذه المنطقة؛ لولا الدور المهم الذي قام به الإنسان هناك؛ إذ أنه استغل عناصر البيئة الجغرافية الملائمة استغلالاً مثاليًا، كما أنه طوّع عناصرها غير الملائمة وجعلها صالحة لنشاطاته المختلفة، فهو ألبسَ الجبلَ ثوبه الأخضر باختراعه للمدرجات الزراعية، وتحكم بضبط المياه تخزينًا، وتصريفًا، وتقنينًا بابتكاره للسدود، والصهاريج، والقنوات. وهو من مهد الطرق التجارية تعبيدًا، ورصفًا، وشقًا، واختيارًا لمواضع العواصم والمدن، وتأسيسًا لمحطات التجارة وأسواقها.

[1] - للمزيد حول أهمية الموقع والموضع ينظر الشبيلي، الوليد، ص٤٠-٥٠.

# الفصل الأول

# نشأة التجـــارة وتطـــورها

## المبحث الأول: نشأة التجارة وتطورها في التاريخ القديم.

## المبحث الثاني: نشأة التجارة وتطورها في جنوب شبه الجزيرة العربية.

تعددت التعريفات التي جاءت في قواميس اللغة العربية- قديمها وحديثها- فيما يخص معنى كلمة التجارة، غير أن بعضها اتفق على أن التجارة مصدر تَجَرَ؛ أي مارس البيع والشراء[1] بقصد الربح[2]، والتجارة تقليب المال لغرض الربح[3]، بينما كتب ابن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨ هـ)[4] الفصل التاسع في الباب الخامس من الكتاب الأول الموسوم ( مُقدمة ابن خلدون) يقول في معنى التجارة :" اعلم أنّ التّجارة محاولة الكَسْب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيّا ما كانت السّلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش. وذلك القدر النامي يسمى ربحًا.فالمحاول لذلك الرّبح إمّا أنْ يختزن السّلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه، وإمّا بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السّلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه. ولذلك قال بعض الشيوخ من التّجار لطلب الكشف عن حقيقة التّجارة: أنا أعلّمُها لك في كلمتين: اشتراءُ الرخيص وبيعُ الغالي؛ فقد حصلت التجارة، إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قررناه . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التّوفيق لا ربّ سواه"[5].

في هذا السياق كان الهمداني (٢٨٠-٣٦٠ هـ) (٨٩٢-٩٧٠م)[6] في إكليله قد تحدث عن التجارة ؛ موضحًا أسبابها وأهميتها ومفلسفًا ضرورتها ، ليس ذلك فحسب؛ بل أنه بين السطور يمكن قراءة رأيه حول أن العلاقات التجارية شكلت أساسًا قامت عليه الكثير من أشكال العلاقات الأخرى بين الناس، وكذلك بين المجتمعات؛ إذ يقول:

---

[1] - مَجْمَع اللغة العربية: المعجم الوجيز،القاهرة ١٩٨٩م، ص٧٢.

[2] - باشا، محمد: الكافي، معجم عربي حديث، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت ١٩٩٢م، ص٢٣٩.

[3] - البستاني،الشيخ عبدالله: الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، مكتبة لبنان،بيروت ١٩٩٠م،ص٥٩، التاجر هو الذي يبيع ويشتري، وهو بائع الخمر،والحاذق بالأمر، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة التراث، الطبعة الثانية،مؤسسة الرسالة،بيروت ١٩٨٧م،ص ٤٥٤.

[4] - ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد: مُقدمة ابن خلدون، تقديم وتحقيق إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٦م،ص ص ٢٠٢، ٨٠٢.

[5] - ابن خلدون: المرجع ذاته،ص ٤١٣.

[6] - خوري، إبراهيم: الهمداني، صفة جزيرة العرب، سلسلة ينابيع الجغرافية العربية في القرون الوسطى (٢)، طبعة أولى، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣م،ص ١٥.

" لولا أن الله ﷻ خصّ بلطفه كل بلدٍ من البلدان، وأعطى كل إقليمٍ من الأقاليم شيئـًا منعه غيره؛ لبطلت التجارات وذهبت الصناعات؛ ولما تغرّب أحد، ولاسافر رجل، ولتركوا التهادي، وذهب الشراء والبيع والأخذ والعطاء، إلاّ أن الله أعطى كل صقعٍ في كل حين نوعًا من الخيرات ومنع الأخرين؛ ليسافر هذا إلى بلد هذا، ويستمتع قوم بأمتعةِ قومٍ ليعتدل القسم وينتظم التدبير"[1].

[1] الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، الجزء الثامن، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع، مكتبة الكاتب العربي، الرياض، دمشق، ١٩٧٩م، ص ١٢٠.

## المبحث الأول: نشأة التجارة وتطورها في التاريخ القديم.

التجارة نشاط إنساني موغل في القدم، إلا أنه ليس من الصعوبة فقط؛ بل ومن المستحيل الوقوف على حدث معين أو تاريخ محدد يمكن أن يؤدي إلى معرفة متى نشأت التجارة، وفي أيّ منطقة من مناطق العالم القديم كانت البداية، ومع ذلك لا مناص من القول أن التجارة اعتمدت في ظهورها- في الأساس- على عوز الإنسان لمواد لم تتوفر في منطقته، ويبدو أن الأصل في ذلك يكمن في الطبيعة المتنوعة لبيئة العالم القديم؛ وما يتبع ذلك من توفر مواد في منطقة أو مناطق، وعدم توفرها في مناطق أخرى؛ لاسيما وأن أولى المواد التي جلبها الإنسان من مناطق أخرى بعيدة عن منطقته هي تلك المواد الخام التي صنع منها بعض آلاته وأدواته، ويأتي الصوان (Flint) وكذلك السبج ( الأوبسيديان) (Obsidian)[1]،والصدف[2] في مقدمة تلك المواد، وعلى الأرجح أن البداية لهذا النشاط كانت مبكرة نسبيًا وسابقة لظهور الزراعة؛ إذ أن بعض مناطق الاستقرار والاستيطان الأولى في نطاق الهلال الخصيب (Fertile Crescent)[3] - وهي المناطق التي يغلب الاعتقاد ( حتى الآن) بأن الزراعة بدأت فيها- هي مناطق فقيرة في بعض هذه المواد؛ كشمال بلاد الرافدين[4] ومنطقة زاجروس[5] ومناطق في سورية[6]؛ حيث

---

1 ـ الاوبسيديان: حجر زجاجي بركاني أسود اللون، إدريس: "جنور..."، ص ٢٥.

2 ـ محيسن، سلطان: عصور ماقبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩٠ـ ١٩٩١م، ص ٢٦٨. كذلك إدريس: ذاته.

3 ـ أول من وضع مصطلح الهلال الخصيب هو هنري بريستد، ( أحد علماء المصريات في جامعة شيكاغو) وذلك في العشرينات من القرن العشرين؛ كقوس عظيم في جنوب غرب آسيا، أحد طرفيه وادي النيل والآخر في جنوب بلاد مابين النهرين يمر بوادي الأردن وجنوب شرق تركيا ثم يمتد حتى شمال العراق والمرتفعات الإيرانية نزولاً إلى جنوب العراق، فاغان، براين: الصيف الطويل، دور المناخ في تغيير الحضارة، ترجمة د.مصطفى فهمي، سلسلة عالم المعرفة (٣٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت يونيو ٢٠٠٧م، ص ١٢٤.

4 ـ ستاكر، هاري: عظمة بابل،سوجز حضارة بلاد الرافدين القديمة،ترجمة د.عامر سليمان،جامعة الموصل ١٩٧٩م، ص ٣٠-٣١. كذلك فولايلسفايري: المدن الأولى، ترجمة طارق مصراتي،دار التقدم،موسكو ١٩٨٩م، ص ٢٥.

5 ـ محيسن،سلطان: عصور ماقبل التاريخ، ص٢٥٨. كذلك إدريس: "جنور..."، ص٢٥.

6 ـ محيسن:المرجع السابق،ص ٢٠٧. كذلك عبدالله يوسف درهي،حميد: المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق،دمشق، ٢٠٠٠/١/ ٢٠٠١م، ص ٣٢.

أظهرت التنقيبات الأثرية هناك وجود أدوات حجرية مصنوعة من الأوبسيديان يعود بعضها إلى العصر الحجري الوسيط (١٧- ٨ ألف ق.م)[١]، على سبيل المثال عُثر في المواقع الزارزية؛ شمال بلاد الرافدين (وهي مواقع تعود إلى النصف الأول من العصر الحجري الوسيط)، وكذلك في موقع تل المريبيط (أحدى مواقع الثقافة النطوفية في سورية) الذي يعود للألف التاسع ق.م؛ على بعض الأدوات المصنوعة من الأبسيديان؛ كان يتم جلبه كمادة خام من بلاد الأناضول؛ وبخاصة من مناطق بحيرة (وان) الغنية به[٢]؛ إذ يُرجّح العلماء بأن هذه المنطقة كانت تزود كلاً من بلاد الرافدين وسورية بهذه المادة[٣]. وبالمقابل وفي زمن لاحق؛ عثر في حطل هيوك (شتال هيوك) - أقدم موقع فخاري ينتمي للعصر الحجري الحديث في الأناضول- الواقع في مرتفعات كونيا؛ وسط الأناضول على أدوات وأسلحة مصنوعة من مادة الصوان التي كان يتم جلبها؛ كمادة خام من سورية؛ لاسيما شمالها[٤].

مما جاء أعلاه؛ فأنه من الممكن أن تكون حصيلة البذرة الأولى للتجارة هي نقل المواد الخام من مواطنها الأصلية إلى مناطق بعيدة؛ لإعادة صناعتها علي هيئة أدوات و آلآت؛ استخدمها الإنسان في الصيد وفي جني الثمار، ولاحقًا في تهيئة الملتقطات الحبية وغيرها من الممارسات اليومية، غير أن السؤال الذي يطرح ذاته في هذا السياق هو لماذا كانت المواد الخام هي المواد التي رسمت أولى بوادر التجارة ؟! بمعنى أخر؛ كيف اهتدى الإنسان إلى معرفة فائدة هذه المواد لينقلها من وإلى مناطق بعيدة؛ فاتحًا المجال -فيما بعد- لظهور النشاط التجاري ؟!.

إنّ المدخل لمحاولة الإجابة على هذا السؤال يأتي من خلال ما قدمه البحث العلمي الجاد، وماكشفت عنه التنقيبات الأثرية من أدلة ملموسة تمحو الصورة السلبية التي كانت سائدة قبل تنفيذ تلك التنقيبات حول طبيعة إنسان العصور الحجرية؛ بحيث وضعته في قالبين ليس أولهما أفضل من ثانيهما؛ فهو فيهما إمّا مخلوقًا متوحشًا، وإمّا

---

١- إدريس: "جلور..."، ص٢٥.

٢- محيسن: عصور ماقبل التاريخ، ص ٢٠٠-٢٠١ و ص ٢٠٧.

٣- فاخان: الصيف الطويل...،ص١٢١.

٤- محيسن: المرجع السابق ،ص ٢٨٩ و ص٢٩٢.

مخلوقًا خاضعًا خانعًا لا أثر له على الطبيعة، غير أن نتائج تلك التنقيبات أظهرت نقيضًا لهذين التصورين؛ فبيّنت أن إنسان تلك العصور- بأنواعه- لا يختلف عن إنسان اليوم في شكله وعقله وقدرات التفكير لديه؛ لاسيما (الإنسان العاقل) (Homo-Sapiens) الذي ظهر فيما بين (٤٠-٣٥ ألف ق.م)[1] وهو الذي دفع بالحضارة إلى مستويات عالية من التقدم والتطور؛ وبزمن أسرع بكثير مقارنة بالتطورات الحضارية التي حدثت قبل ظهوره، وقد تجسد ذلك في البقايا الأثرية التي خلفها هذا الإنسان؛ إذ أظهرت التنقيبات العديد من الابتكارات الجديدة في صناعة الأسلحة والأدوات الحجرية والعظمية وغيرها من الابتكارات اللاحقة في مجال البناء والفن والمعتقدات، وصولا إلى الاستقرار ثم الزراعة والتدجين[2].

إن السعي الحثيث للإنسان العاقل نحو تحسين سبل العيش يبدو-إلى درجة مقبولة- أنه أمر كان قد جُبل عليه طالما أنه لا يختلف كثيرًا عن إنسان اليوم- كما جاء أعلاه- فهدفه الرئيس كان المحاولة قدر الإمكان السيطرة على الطبيعة لتأمين قوته وسلامته وتأمين بقائه أيضًا، فعلى سبيل المثال كان لكي يصطاد لابد له من أداة، ولكي يحسّن اصطياده سعى نحو تحسين أداته تلك- تقنيًا وصناعيًا-، وبالتجربة وتراكم الخبرة تعلم انتقاء المادة الخام ذاتها؛ التي تصلح لصنع أداته وآلته الحجرية[3].ويبدو أن تنقله المستمر بحثًا عن الثمار المناسبة، والصيد المناسب قد مكّنه من الوصول إلى مناطق وجد فيها مواد أكثر صلاحية؛ لصنع هذه الأدوات؛ لم تكن متوفرة في مناطق تواجده؛ كما يبدو أن التطورات المتلاحقة أوصلته إلى مسألة تقسيم العمل؛ الذي بدوره أوجد تخصص أكبر، لاسيما في مجالي الصيد وجمع الثمار[4]، وصولا إلى التطور النوعي والكمي في مجال

---

[1] - محيسن: عصور ماقبل التاريخ، ص٦١-٦٢ و ص ١٥٨-١٥٩.كذلك فاخان: الصيف الطويل، ص٤١-٤٢.

[2] - محيسن:المرجع ذاته، ص٦٣.

[3] - تشايلد، جوردون: تقدم الإنسانية، ترجمة د.محمد السيد غلاب، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم (٢٤٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٥٩.

[4] - يبدو أن أول تقسيم للعمل في التاريخ قد تمّ بين الرجال والنساء؛ فالأولات المسنين قلل الرجال يصطادون بينما النساء يجمعن ويتعاملن مع ما تجود به النباتات. فاخان: الصيف الطويل، ص ١١٠.

البناء[1]،كل ذلك يمكن أن يكون قد ساهم بشكل أو بآخر في تحسين أدوات وآلات العمل؛ أي أنه دفع الإنسان نحو مزيد من البحث عن المواد الخام حتى وصل إلى معرفة أفضل المواد، وانتقاء الأصلح لصنع تلك الأدوات.

من ناحية أخرى لا يستبعد أن يكون الاستقرار والاستيطان (Settlement) -الموسمي ثم الدائم- [2] سببًا آخر من أسباب التعمق في جلب المواد الخام؛ إذ يعتقد أن الاستقرار كان ناجمًا عن الوصول إلى مرحلة الجمع المكثف لمحاصيل النباتات البرية والحيوانات الصالحة للأكل[3]، وهو أمر- على الارجح- تطلب التخزين[4]، ومن هنا فإن هذا الاستقرار لابد أنه استلزم زيادة كمية في إنتاج الأدوات والآلات، وتحسنًا نوعيًا في صناعتها[5]؛ مما يجعل مسألة زيادة الطلب على المواد الخام أمرًا مقبولاً تماشيًا مع هذا التطور في حياة الإنسان.

---

[1] - محيسن: عصور ماقبل التاريخ، ص ١٦٠-١٦١.

[2] - ظهرت مستوطنات الصيادين الأولى في فلسطين ضمن ما يعرف بالثقافة الكبارية، وذلك في النصف الأول من العصر الحجري الوسيط مع أواخر عصر الباليوليت ومطلع عصر الميزوليت، وكانت عبارة عن مستوطنات موسمية يسكنوها في مواسم الصيد والالتقاط، كما ظهرت في ذات الوقت مثل هذه المستوطنات الموسمية أو شبه المستقرة في شمال بلاد الرافدين ضمن مايعرف بالثقافة الزارزية، كلا الثقافتين ما لبثتا أن انتشرتا في مناطق واسعة في سورية القديمة وبلاد الرافدين، أما المستوطنات الدائمة أو مايعرف بقرى الصيادين الأولى الدائمة فقد ظهرت على الأرجح في النصف الثاني من العصر الحجري الوسيط في نطاق الثقافة النطوفية؛لاسيما في المرحلة النطوفية الحديثة التي تؤرخ في الألف التاسع قبل الميلاد، يرى الباحثون أنها تمثل مرحلة الانتقال من مستوى الجماعة إلى مستوى القبيلة . كل هذا يعني أن الاستيطان والاستقرار كان في مرحلة سابقة لظهور الزراعة، وربما كان أحدى مقومات الثورة الزراعية. للمزيد من التفصيل حول الاستيطان وقرى الصيادين يُنظر محيسن: المرجع ذاته،ص ١٩٣- ٢٠٦. كذلك فاغان: المرجع السابق، ص ١١٢-١١٥ و ص ١١٩.

[3] - غولايف: المدن الأولى، ص ٣٢. كذلك محيسن: المرجع ذاته، ص ١٩٤ و ص١٩٦.أيضا، فاغان: :المرجع السابق، ص١١٦.

[4] - محيسن: المرجع ذاته، ص٢٠٠ وص ٢٠٥. كذلك فاغان: المرجع ذاته، ص١١٥.

[5] - أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية وجود تطورًا كبيرًا في صناعة الأدوات والآلات، لاسيما الميكروليثية وهي أدوات دقيقة وأكثر فعالية. يُنظر: محيسن: عصور ماقبل التاريخ، ص١٧١-١٧٢. يُعد العلماء هذا التطور في صناعة الأدوات مهمًا جدًا لأنه يواكب عصر القراض الحيوانات الكبيرة، كما أن الصياد أصبح أكثر تخصص؛إذ صار يختار الحيوانات التي يصطادها؛ فطوّر صناعة أدواته بما يتناسب مع نوع الحيوان الذي اختاره ليكون المستهدف في عمليات الصيد، معلومة مستقاة من اتصال شخصي بالدكتور جمال الدين إدريس، أستاذ آثار عصور ماقبل التاريخ المشارك، رئيس قسم الآثار في كلية الآداب، جامعة عدن.

تُعد الزراعة (Agriculture) أهم ابتكار (An Invention) لإنسان العصر الحجري الحديث ( Neolithic Late Stone Age )[1]، وربما أهم حدث في عصور ما قبل التاريخ ككل؛ ما دفع بعض العلماء والباحثين إلى إطلاق نعوت متعددة للدلالة على جلل هذا الحدث في المسيرة الإنسانية منها: عصر الثورة الزراعية ( Agriculture Revolution)، أو ثورة العصر الحجري الحديث (Neolithic Revolution)[2].

لعل الأهمية التاريخية لممارسة الإنسان الزراعة لاتكمن في إنها أفرزت -كنتيجة لها- واقع اقتصادي جديد وهو: الاقتصاد المنتج أو الإنتاجي ( Productive Economy) ليحل محل الاقتصاد الاستهلاكي (Consumtive Economy)[3]؛ عندما تحول الإنسان من مجرد مستهلك لعطايا الطبيعة وهباتها إلى عنصر منتج ومساهم فعّال في زيادة خيراتها، ليس في ذلك فحسب؛ بل أن بممارسة الإنسان للزراعة يكون قد توّج سلسلة طويلة من الأنشطة والتجارب الإنسانية الهادفة إلى السيطرة على الطبيعة، خالقًا علاقة جديدة وشكل متطور من أشكال تفاعله معها، محققًا الانتقال السلس والمتدرج من مرحلة جمع القوت (Food-Collecting Stage) إلى مرحلة إنتاج القوت ( Food Producing Stage)[4]. ولعلّ ما يميّز هذه الثورة ويجعلها تستحق تسمية (أم الثورات)، هو شمولية مقدماتها وجذرية نتائجها؛فهي كأي ثورة سبقتها مقدمات، وانبثقت عنها نتائج، إلا أن مقدماتها كلفت الإنسان زمنًا طويلا من تاريخه، وارتبطت بكل جوانب حياته؛ فقد دأب خلال ألاف السنين محاولا تطوير كل ما يتعلق بمحيطه-مبتكرًا ومخترعًا- بدءًا بالتحسين العملي المستمر للأدوات والآلات، وإنتهاءً بالارتقاء الروحي

---

[1] - شنيرلمان،ف: "بدايات الزراعة والرعي" ضمن كتاب الجديد حول الشرق القديم،ترجمة د.جابر أبي جابر،وخيري الضمان، دار التقدم، موسكو ١٩٨٨م،ص ٩٥.كذلك تشايلد: تقدم الإنسانية، ص ٦٣.كذلك محيسن: عصور ماقبل التاريخ ، ص ٢١٨.

[2] - أول من نعت حدث الزراعة بالثورة هو الأركيولوجي الاسترالي جوردون تشايلد وذلك عندما نشر كتابه (الإنسان يصنع نفسه) الصادر عام ١٩٣٦م، يُنظر تشايلد: المرجع ذاته، ص ٦٣. كذلك غولايف: المدن الأولى، ص ٢٨، كذلك جوزا، مارثان: لبنان الماضي (ترجمة لكتاب علم الآثار والبحث عن الدنا القديم)، ترجمة د.أحمد مستجير، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٢١.

[3] - محيسن: المرجع السابق ،ص ٢١٨-٢١٩.

[4] - مرعي، عبد: التاريخ القديم، الطبعة الثانية،منشورات جامعة دمشق،دمشق ١٩٩٩/٢٠٠٠م، ص ١٥.

المتتابع لفنونه وعقائده[1]،رافق كل ذلك نموًا مطردًا لقدراته التفكيرية التي أوصلته في النهاية إلى مرحلة راقب فيها مصادر قوته، ومن خلال الملاحظة المستمرة والطويلة تعرّف على أسرار النباتات وتمكن من انتقاء أنواعها؛ لاسيما ما يتعلق بالحبوب البرية[2]، حتى استطاع تأهيلها وزراعتها في عمل منظم[3]، ومن هنا فإن الزراعة هي حصيلة جهد مادي وفكري واسع وعميق[4].

يُعد استئناس الحيوان ركنًا آخرًا مهمًا في قوام الاقتصاد المنتج؛ الذي تميز به العصر الحجري الحديث[5]؛ كخطوة مهمة تلت الزراعة[6]؛ إذ أن الاستئناس للحيوان مكّن المجتمعات الزراعية الناشئة تعويض النقص الذي حدث بفعل الانصراف التدريجي عن الصيد[7]،فزودهم بمخزون غذائي يبدو أنه كان ضروريًا لاستكمال نوعية الطعام الذي اعتمد عليه إنسان هذا العصر[8]، إذ أن نتائج التنقيبات الأثرية أظهرت إمكانية حدوث

---

[1] - محيسن: عصور ماقبل التاريخ ، ص ٢٢١-٢٢٢.

[2] - يُعد القمح والشعير أولى الحبوب البرية التي تم تدجينها وزراعتها، يُنظر تشايلد: تقدم الإنسانية، ص ٦٤. كذلك غولايف: المدن الأولى،ص ٣٣. ساكز: عظمة بابل، ص ٢٦.شنيرلمان: بدايات الزراعة والرعي، ص ٥٩-٦١.محيسن: المرجع السابق، ص ٢١٩. فاغان:الصيف الطويل، ص ١٢٤.

[3] - أن الدليل على حدوث التدجين والزراعة للحبوب هو وجودها في المنطقة بكميات كبيرة وغير عادية، لمزيد من التفصيل يُنظر محيسن: المرجع السابق، ص ٢٣١-٢٣٢. كذلك فاغان: المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٦.

[4] - محيسن : المرجع السابق، ص ٢١٩.

[5] - تشايلد: المرجع السابق ، ص ٧٠.

[6] - هناك شبه إجماع على أن الزراعة سبقت من حيث الظهور استئناس الحيوان في الشرق القديم؛ وربما الاستثناء الوحيد هو الكلب؛ إذ يعتقد أن استئناسه سابقًا للزراعة؛ وقد أعاده البعض للعصر الحجري الوسيط؛ وذلك عندما استفاد الصيادون من مواهب الكلب الطبيعية في اقتفاء أثر الطرائد، وللتنبيه في حالة اقتراب العدو أو الخطر وغير ذلك، يُنظر للتون، رالف: شجرة الحضارة، الجزء الأول، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ب ت ،ص ١٠٠. كذلك محيسن: عصور ما قبل التاريخ، ص ٢١٩. ساكز: المرجع السابق، ص ٢٨.غولايف: المرجع السابق، ص ٣٥، فاغان: المرجع السابق، ص ١٣٥.

[7] - تشايلد: المرجع السابق ، ص ٧٢.

[8] - فاغان: الصيف الطويل ، ص ١٢٥.

بداية تدجين الحيوانات[1] في المناطق ذاتها التي بدأ فيها تدجين الحبوب البرية في الهلال الخصيب(غرب أسيا)[2].

رغم أن انتشار ممارسة الزراعة أخذ وقتًا طويلاً[3]، إلاّ أن نتائجها التي توالت تباعًا مسّت كل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والروحية؛ بل ظهرت أشكال جديدة وتطورات مهمة لهذه المظاهر لم تكن موجودة في السابق[4]، على سبيل المثال لا الحصر؛ حصل تطور متسارع في صناعة وسائل العمل والأدوات؛ كالأسلحة والأواني والأدوات المنزلية، كما تقدمت عملية بناء المساكن في نواحي التقنية والحجم والتفاصيل الداخلية، بالإضافة للمواد المستخدمة في البناء[5]، ونتج عن الزراعة-أيضًا- تكريس مزيد من التقسيم الاجتماعي للعمل؛ الأمر الذي أدّى إلى ظهور بعض الحرف والصناعات[6]؛ لعلّ أهمها ظهور صناعة الفخار الذي كان له أثرًا كبيرًا في الحياة الإنسانية؛ بحيث أطلق العلماء اسم الفخار على هذه المرحلة من العصر الحجري الحديث (النيوليت الفخاري)( Pottery Neolithic)؛ التي تبدأ منذ مطلع الألف السادس قبل الميلاد[7]،

---

[1] - تُعد الأغنام والماعز ثم الأبقار من أوائل الحيوانات التي تم استئناسها، تشايلد: ، تقدم الإنسانية ، ص ٧٠.كذلك لنتون: شجرة الحضارة، ص ١٦٠. شنيرلمان: بدايات الزراعة والرعي ، ص ٦٢-٦٣. محيسن: عصور ما قبل التاريخ ، ص ٢١٩. فاغان: الصيف الطويل ، ١٣٥.

[2] - محيسن: المرجع ذاته، ص ٢١٩. كذلك غولايف: المدن الأولى ، ص ٦٢، بعض المناطق بدأ فيها الرعي قبل بدء الزراعة ؛ فكانت هناك مجتمعات رعي بجانب مجتمعات الزراعة، ينظر فاغان: المرجع السابق، ص ١٣٥.

[3] - جونز: نبش الماضي، ص ١٢٧و ص ١٣٥. كذلك ساكز: عظمة بابل، ص ٢٧. غولايف: المرجع السابق، ص ٣٢.

[4] - للمزيد من التفصيل يُنظر محيسن: المرجع السابق، ص ٢٢٠-٢٢٢.

[5] - محيسن: المرجع ذاته، ص ٢٢٠، تحولت قرى الصيادين الأولى إلى قرى زراعية؛ فكان بالضرورة أن يحدث هذا التقدم في مجال البناء ،ينظر محيسن: ذاته. كذلك فاغان: المرجع السابق، ص ١٣٦.

[6] - ظهور مزيد من التقسيم الاجتماعي للعمل بين الرجال والنساء من ناحية، ومن ناحية أخرى وفرت الزراعة الكثير من الوقت بسبب موسمية العمل بها؛ مما أتاح الفرصة لظهور اتجاهات جديدة للنشاط البشري وهو ما ساعد على ظهور هذه الحرف، يُنظر غولايف: المدن الأولى ، ص ٣٠-٣١ وص٣٧. كذلك فاغان: الصيف الطويل، ص ١٢٧.

[7] - محيسن: عصور ما قبل التاريخ، ص ٢٢١. كذلك عبدالله و مرعي: المدخل إلى ...، ص ٣٤.

بداية تدجين الحيوانات[1] في المناطق ذاتها التي بدأ فيها تدجين الحبوب البرية في الهلال الخصيب(غرب آسيا)[2].

رغم أن انتشار ممارسة الزراعة أخذ وقتًا طويلاً[3]، إلا أن نتائجها التي توالت تباعًا مسّت كل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والروحية؛ بل ظهرت أشكال جديدة وتطورات مهمة لهذه المظاهر لم تكن موجودة في السابق[4]، على سبيل المثال لا الحصر؛ حصل تطور متسارع في صناعة وسائل العمل والأدوات؛ كالأسلحة والأواني والأدوات المنزلية، كما تقدمت عملية بناء المساكن في نواحي التقنية والحجم والتفاصيل الداخلية، بالإضافة للمواد المستخدمة في البناء[5]، ونتج عن الزراعة-أيضًا- تكريس مزيد من التقسيم الاجتماعي للعمل؛ الأمر الذي أدّى إلى ظهور بعض الحرف والصناعات[6]؛ لعلّ أهمها ظهور صناعة الفخار الذي كان له أثرًا كبيرًا في الحياة الإنسانية؛ بحيث أطلق العلماء اسم الفخار على هذه المرحلة من العصر الحجري الحديث (النيوليت الفخاري)( Pottery Neolithic)؛ التي تبدأ منذ مطلع الألف السادس قبل الميلاد[7]،

---

[1] - تُعد الأغنام والماعز ثم الأبقار من أوائل الحيوانات التي تم استئناسها، تشايلد: ، تقدم الإنسانية ، ص ٧٠.كذلك لنتون: شجرة الحضارة، ص ١٦٠. شنيرلمان: بدايات الزراعة والرعي ، ص ٦٢-٦٣. محيسن: عصور ما قبل التاريخ ، ص ٢١٩. فاغان: الصيف الطويل ، ١٣٥.

[2] - محيسن: المرجع ذاته، ص ٢١٩. كذلك غولايف: المدن الأولى ، ص ٦٢، بعض المناطق بدأ فيها الرعي قبل بدء الزراعة ؛ فكانت هناك مجتمعات رعي بجانب مجتمعات الزراعة، ينظر فاغان: المرجع السابق، ص ١٣٥.

[3] - جوانز: لبنان الماضي، ص ١٢٧و ص ١٣٥. كذلك ساكز: عظمة بابل، ص ٢٧. غولايف: المرجع السابق، ص ٣٢.

[4] - للمزيد من التفصيل يُنظر محيسن: المرجع السابق، ص ٢٢٠-٢٢٢.

[5] - محيسن: المرجع ذاته، ص ٢٢٠، تحولت قرى الصيادين الأولى إلى قرى زراعية؛ فكان بالضرورة أن يحدث هذا التقدم في مجال البناء ؛ يُنظر محيسن: ذاته. كذلك فاغان: المرجع السابق، ص ١٣٦.

[6] - ظهور مزيد من التقسيم الاجتماعي للعمل بين الرجال والنساء من ناحية، ومن ناحية أخرى وفرت الزراعة الكثير من الوقت بسبب موسمية العمل بها؛ مما أتاح الفرصة لظهور اتجاهات جديدة للنشاط البشري وهو ما ساعد على ظهور هذه الحرف، يُنظر غولايف: المدن الأولى ، ص ٣٠-٣١ وص٣٧. كذلك فاغان: الصيف الطويل، ص ١٢٧.

[7] - محيسن: عصور ما قبل التاريخ، ص ٢٢١. كذلك عبدالله و مرعي: المدخل إلى ...، ص ٣٤.

يضاف إلى ذلك ظهور صناعة النسيج وحياكة الملبوسات[1].

إما الناحية الروحية؛ المتمثلة بالفنون والمعتقدات؛ فقد تأثرت هي الأخرى بما حدث من تطورات في المجتمعات الزراعية؛ إذ تمّ العثور على العديد من الأبنية والرسوم الجدارية والتماثيل الحجرية والطينية التي قدمت أدلة توحي بحدوث تطورات واسعة في مجالي الفنون والطقوس الدينية[2].

**" ليس المهم النحلة ؛ بل المهم ماتذره من عسل"** فعلى الرغم من أهمية العرض السريع أعلاه للثورة الزراعية وتدجين الحيوان، وما صاحب ذلك و تلاه من نتائج وتطورات؛ أفضت إلى تقدم الحياة الإنسانية؛ إلا أن المهم في هذه الدراسة هو انعكاس كل ذلك على التجارة ومسار تطورها اللاحق؛ إذ يمكن تأسيسًا على ما تقدم التمييز بين مرحلتين في المسيرة التاريخية للتجارة في التاريخ القديم: مرحلة سابقة لظهور الزراعة، ومرحلة لاحقة لها، لكل مرحلة خصائصها التي تميزها عن الأخرى، يمكن الوقوف على هاتين المرحلتين فيما يأتي:

**أولا: التجارة قبل ظهور الزراعة:**

تشمل البدايات الأولى للتجارة؛ التي ربما تعود – بحسب نتائج التنقيبات الأثرية حتى الآن- إلى العصر الحجري الوسيط - كما تقدم- حتى قبيل ظهور الزراعة، وأهم خصائص هذه المرحلة:

١- شكلت المواد الخام قوام التجارة في هذه المرحلة؛ لاسيما الأوبسيديان والصوان والأصداف.

---

[1] - للمزيد من التفصيل حول هذه الصناعة يُنظر: محيسن: المرجع السابق، ص ٢٢٠-٢٢١. كذلك تشايلد: تقدم الإنسانية،ص ٨٠-٨٦، مرعي: التاريخ القديم، ص ١٨، يُنظر إلى ظهور هذه الحرف والصناعات على أنها دليل على تطور التفكير البشري ودليل على نشأة العلم، فصناعة الفخار تمثل أولى التجارب الكيميائية التي لم يدركها الإنسان حينها فهو يحرق الطين ليتخلص من الماء، وهكذا في بقية الصناعات، تشايلد: المرجع السابق، ص ٨١ وص١٠٤. كذلك جولد شتاين، توماس: "الجذور القديمة" في كتاب المقدمات التاريخية في العلم الحديث، سلسلة عالم المعرفة (٢٩٦)، ترجمة أحمد حسان عبدالواحد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ٢٠٠٣م، ص ٦٣-٦٤.

[2] - للمزيد من التفصيل يُنظر: محيسن: عصور ما قبل التاريخ ، ص ٢٢٠و ص ٢٤٦-٢٥٦. كذلك فاغان: الصيف الطويل ، ص ١٣٦-١٣٧.

٢- صناعة الأدوات والآلات كانت الهدف المباشر من سعي الإنسان للحصول على المواد الخام.

٣- عدم وجود علاقات تجارية بالمعنى الواسع لمصطلح العلاقات، وإذا جاز استعمال هذا المصطلح؛ فإن الاحتمال الأكبر محدودية هذه العلاقات، حيث أن نتائج التنقيبات الأثرية في غير منطقة من مناطق العالم القدم لم تظهر – حتى الآن- وجود نظام تبادلي منتظم بين المناطق؛ يرتقي إلى مستوى العلاقات التبادلية، حتى في ظل ظهور المستوطنات في الزمن القريب السابق لظهور الزراعة- قبيل الزراعة -؛ بمعنى لم تقم بين المناطق علاقات تجارية قائمة على أساس تبادل مواد محددة فيما بينها وبطريقة منتظمة؛ بحيث يأخذ الناس في منطقة ما مواد معينة إلى منطقة أخرى، وهناك يتم استبدالها بمواد تنتجها هذه المنطقة؛ ليعودوا بها إلى منطقتهم بصفة دائمة ومنتظمة. أن عدم قيام مثل هذه العلاقات بين المناطق في مرحلة قبل الزراعة ربما كان له أسبابه المنطقية؛ منها:

أ- لم يكن اقتصاد هذه المرحلة ذات طبيعة إنتاجية.

ب-عدم وجود وسائل نقل فعّالة في ظل قصور طرق المواصلات وتباعد المناطق المأهولة بالسكان.

ج- التنقل والترحال الذي كان سمة مميزة لإنسان هذه المرحلة لم يساعد على إقامة علاقات منتظمة بين المناطق، ولم يستقر الناس إلا قبيل ظهور الزراعة وفي مناطق محددة.

د- طبيعة حياة الإنسان البسيطة جعلت احتياجاته حينها أيضًا بسيطة ربما لاتتعدى تأمين الطعام، عن طريق جمع الثمار والصيد، وكذلك اتقاء الشرور المحيطة به في محاولة للسيطرة على الطبيعة.

هـ- تفكير الإنسان في هذه المرحلة على ما يبدو كان منصبًا- بدرجة رئيسية- نحو تحسين أدواته وآلاته، حتى يتمكن من توفير احتياجاته البسيطة تلك.

٤- وفقًا لما جاء في الفقرة (٣)؛ فإنه من المرجح أن عملية التجارة في هذه المرحلة قد اقتصرت في أغلبها على جلب المواد الخام ونقلها من وإلى مناطق بعيدة عن

المواطن الأصلية التي تتوفر فيها؛ لذا يمكن الاقتراح بأن يطلق على طبيعة التجارة في مرحلة قبل الزراعة (**تجارة جلبية**)، أي جلب تلك المواد إلى المناطق الفقيرة بها، سيما وأن التنقيبات الأثرية في الكثير من المناطق قد أكدت وجود أدوات والآت صنعت من مواد خام جُلبت من مناطق بعيدة- تمت الإشارة إليها في هذا المبحث-.

٥- هناك من يقترح وجود باعة متجولين في هذه المرحلة؛ يتم بواسطتهم نقل المواد الخام من مناطق بعيدة إلى المناطق التي تحتاج إليها[1]. كما أن هناك من يرى أن جلب تلك المواد كان يتم عن طريق تداولها بين المناطق؛ إذ تنقل إلى أقرب الجيران في المنطقة المجاورة، وبدورهم؛ ينقلها هؤلاء الجيران إلى المنطقة التالية لهم وهكذا، مقترحًا وجود الناس ضمن جماعات صغيرة؛ هم في الأساس جزء من شبكات اجتماعية أكبر[2]. وبما أن التنقل أحدى سمات هذه المرحلة؛ لما يفرضه البحث عن القوت؛ فإنه من المحتمل أن جلب المواد الخام كان يتم - كذلك- من خلال الوصول إلى تلك المناطق الغنية بها؛ كجماعات الصيادين الذين اعتادوا التنقل بين المجتمعات والمناطق[3].

## ثانياً: مرحلة التجارة بعد الزراعة:

لا يفترض أن خصائص التجارة في مرحلة بعد الزراعة قد ظهرت مباشرة بعد نجاح التجارب الأولى للزراعة، ولكنها- كغيرها من التطورات اللاحقة- أخذت تتبلور وتظهر تدريجيًا بمرور الزمن، ومما لاشك فيه هو أن النشاط الزراعي أفرز عوامل عديدة مهّدت السبيل لتطور النشاط التجاري؛ حتى صارت التجارة في الأزمنة التالية تشكل جزءًا مهمًا في اقتصاد كثير من المجتمعات؛ بل أنها شكلت أساس لاقتصاد الكثير من المدن

---

1 - ساكز: عظمة بابل، ص ٣٠٨.

2 - فاغان: الصيف الطويل، ص ٥٣.

3 - تشايلد: تقدم الإنسانية، ص ٧٩.

والممالك؛ لاسيما تلك التي قامت على خطوط التجارة وعُقدها. يمكن الوقوف على خصائص التجارة في هذه المرحلة على النحو التالي:

١- دخلت كثير من المحاصيل الزراعية ضمن قوام مواد التجارة إلى جانب الاستمرار في تجارة المواد الخام[١]؛ فمع تطور النشاط الزراعي ذاته، وظهور المزيد من التخصص؛ تعددت المنتجات الزراعية وتنوعت، الأمر الذي وفر مزيدًا من المواد وكذلك السلع التي شكلت محورًا مهمًا من محاور التجارة، فبدأت المجتمعات بتبادل هذه المواد- كلّ بحسب حاجته- كما اتجهت بعض المناطق نحو إنتاج محاصيل لم تستطع إنتاجها غيرها من المناطق- بسبب توفر البيئة الملائمة لنموها مثلا-؛ وليس أدلّ على ذلك من أشجار الزيتون والنخيل وكذلك أشجار البخور بأنواعه والنباتات المنتجة للتوابل والأصباغ، ناهيك عن غابات الأشجار التي وفرت الأخشاب الجيدة والملائمة للبناء والصناعات الخشبية وبكميات تجارية في بعض مناطق العالم القديم[٢]، كل هذه المحاصيل صارت موادًا وسلعًا رائجة؛ لاسيما بعد أن توطدت الصلات بين الأقاليم والمناطق، يضاف إلى كل ذلك المنتجات التي صنعها الإنسان من المحاصيل الزراعية، ووجدت لها رواج في المناطق الأخرى، كالزيوت والخمور[٣]-على سبيل المثال-.

٢- ساهم النشاط التجاري في كسر عزلة المجتمعات والقرى الزراعية المبكرة التي حققت نوع من الاكتفاء الذاتي- في بادئ الأمر- بما أنتجته من ممارستها للزراعة وتربية الحيوان[٤].

---

[١] - محيسن: عصور ما قبل التاريخ، ص ص ٢٦٦و ٢٦٨و ٢٨١و ٣٠٢.

[٢] - غابات أشجار الأرز في جبال لبنان الغربية أنموذجًا.

[٣] - للتوسع: شجرة الحضارة، ص ١٦٣. كلنك كونتنو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة، مراجعة دريه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٣٦٤. كلنك حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، دار الثقافة، بيروت ب ت، ص ٣٢٧. النعيم، نورة عبدالله الطي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، الطبعة الأولى، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٩٢م، ص ٢٤٣.

[٤] - تشايلد: تقدم الإنسانية، ص ٧٨-٧٩.

٣- أن المزيد من تقسيم العمل بسبب الاستقرار والزراعة وكذلك الرعي ساهم في ظهور بعض الحرف والصناعات؛ فنتج عن ذلك ظهور مواد أخرى شكلت سلعًا مهمة في النشاط التجاري؛ كالفخاريات والملبوسات والمنسوجات وغيرها من المواد[1]. كما أن اكتشاف الإنسان في العصور اللاحقة مواد جديدة واستغلالها في كثير من المجالات الحرفية والصناعية والبنائية مثل: النحاس والبرونز والحديد مؤذنًا بظهور العصر المعدني؛ فتح المجال واسعًا أمام تطور النشاط التجاري؛ إذ شكلت هذه المواد محورًا مهمًا آخرًا من محاور التجارة بين الأقاليم والمناطق؛ لاسيما البعيدة بعضها عن بعض[2].

٤- تطور النشاط التجاري في هذه المرحلة بشكل تدريجي مع تطور وتعقد طبيعة الحياة؛ لتظهر أشكال أخرى للتجارة؛ فبعد أن كانت التجارة في المرحلة السابقة للزراعة عبارة عن (تجارة جلبية)؛ ظهر بعد الزراعة ما يمكن تسميته (بالتجارة التبادلية)، ويمكن افتراض بدايته عندما بدأت مجتمعات الصائدين وجامعي الثمار-الذين ظلوا يمارسون نشاطهم على الرغم من ظهور القرى الزراعية؛[3]- بتبادل المواد مع القرى الزراعية الناشئة ؛ ويبدو أن هذا التبادل جاء كضرورة اقتضتها الحاجة لسد النقص في تلك المواد بين هذه المجتمعات. وهو ما ينطوي تحت مسمى ( التجارة الداخلية) بين المناطق القريبة. وهنا يجد البعض ضرورة افتراض وجود وسطاء للتجارة بين هذه المجتمعات والقرى.

٥- أن استئناس الحيوان لم يوفر مواد إضافية دخلت ضمن المواد المتبادلة في التجارة فقط؛ بل أنه ساهم – بكل تأكيد- مساهمة عظيمة في تطور النشاط التجاري ذاته؛ تمثلت تلك المساهمة في ظهور وسائل النقل البري التي انتقلت بواسطتها التجارات إلى مناطق بعيدة وبكثافة عالية؛ فتحددت معها ملامح

---

1 - لمزيد من التفصيل حول هذه الحرف والصناعات، تشايلد: تقدم الإنسانية ، ص٨٠-٨٥.

2 - تشايلد: المرجع ذاته، ص ١٤٧. كذلك ساكز: عظمة بابل، ص ٣٠٩ و ص ٣١٩.

3 - فاغان: الصيف الطويل، ص ١٣٣. كذلك جونز: نبش الماضي، ص١٢٧ و ص١٣٥.

(التجارة الخارجية) كشكل آخر من أشكال النشاط التجاري؛ الأمر الذي أدى - فعليًا- إلى ظهور العلاقات التجارية المنتظمة بين الشعوب والمجتمعات.

في هذا السياق تظل مسألتان مهمتان بحاجة إلى المزيد من البحث والتقصي لإشباع الرغبة في المعرفة حول نشأة التجارة وتطورها وهما: نشوء التجارة البحرية وظهور تجارة الملح، ربما يشترك كلاهما فيما يخص صعوبة الوقوف على حقيقة البدايات الأولى لظهورهما؛ ذلك لأن الدلائل التي تتوفر لدراسة هذا الموضوع هي دلائل أكثر نسبية إذا ما قورنت بالدلائل التي توفرت لدراسة الكثير من الأنشطة الإنسانية الأخرى، كما أن مخلفاتهما الأثرية عرضة للتلف؛ وربما للاختفاء بسبب طبيعتهما غير المقاومة لعوامل التعرية والعوامل البيئة الأخرى؛ لاسيما تلك التي تعود إلى أزمنة موغلة في القدم.

كتابان رائعان نشرا عام ٢٠٠٥م؛ يتناولان كلاً من تاريخ النشاط الإنساني في البحر[1]، وتاريخ الملح في العالم[2]؛ إلا أن كليهما لم يقدما إجابات مرضية حول النشأة الأولى للتجارة البحرية وتجارة الملح، على الرغم من الأهمية التاريخية لهما- لاتزال هذه الأهمية متجذرة حتى اليوم-.

لإلقاء المزيد من الضوء حول إشكاليات هذين الموضوعين ، سيتم مناقشتهما على النحو التالي:

**أ- التجارة البحرية:**

لابد من التفريق بين ركوب البحر بغرض الانتقال عبر ضفافه، وبين استغلال مسالكه لنقل التجارة؛ إذ أشار العلماء إلى إمكانية الانتقال البحري للإنسان في عصور ماقبل التاريخ منذ (٥٠ ألف سنة) مضت؛عندما تمكن من صنع القوارب والعوامات

---

[1] - رايمن، ل. إ: البحر والتاريخ، تحديات الطبيعة واستجابات البشر، سلسلة عالم المعرفة (٣١٤) ترجمة د. عاطف أحمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت إبريل ٢٠٠٥م.

[2] - كورلانسكي، مارك: تاريخ الملح في العالم، سلسلة عالم المعرفة (٣٢٠)، ترجمة أحمد حسن مانوبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت أكتوبر ٢٠٠٥م.

البسيطة[1]، كما أن رحلة وصول الإنسان إلى أمريكا منتقلا من سيبيريا في شمال شرق أسيا إلى ألاسكا في شمال غرب أمريكا تضع احتمالية استخدامه لمسطح مائي مسألة واردة؛ وهي تلك الرحلة التي يفترض العلماء حدوثها في زمن مابين (٤٠ ألف سنة) و(١٣ ألف سنة) قبل الميلاد[2]، وفي المقابل عُثر على بعض قوارب النقل تعود إلى الألف الثامن قبل الميلاد[3]؛ ولاشك أن هذه القوارب لاتعطي الدليل الذي يكون الشك حوله قليلا على أن بداية نقل التجارة عبر البحر قد تمت في هذا الزمن وليس قبلا، أو بعدا.

- إن جلب الأوبسيديان من القرن الأفريقي إلى مناطق الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية منذ الألف السابع قبل الميلاد[4]، يعطي مؤشرًا على امتطاء البحر بغرض التجارة في العصر الحجري الحديث؛ إلا أنه – قطعًا- لا يُعد مؤشرًا على ان التجارة البحرية بدأت في هذا الزمن؛ إذ ربما تكشف التنقيبات الأثرية في المستقبل عن دلائل تعود ببداية التجارة البحرية إلى زمن أبعد.

**ب- تجـــارة الملـــح:**

رغم معرفة كل مناطق العالم القديم للملح منذ تاريخ موغل في القدم، إلا أنه من الصعوبة بمكان معرفة التاريخ الأقدم لبداية التجارة به، غير أن أقدم توثيق لاحتكار الملح من قبل الدولة يعود للربع الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد وذلك في مقاطعة (شين) الصينية[5]. كما عُثر في بعض المناجم الملحية في جبال الألب على أدوات لاستخراج الملح تعود إلى ١٣٠٠ قبل الميلاد[6]. بالإضافة إلى بداية تجارة المصريين مع فينيقيا بالسمك المملح مؤرخة بالعام ٢٨٠٠ ق.م[7] ، إلا أن كل ذلك لا يساعد على الحصول على معلومات تاريخية مطمئنة تشير لبداية التجارة بهذه السلعة.

---

[1] - رايس: البحر والتاريخ ، ص ٣١.

[2] - رايس: المرجع ذاته، ص ١١٣

[3] - رايس: المرجع ذاته، ص ١١٢

[4] - إدريس: "جذور..."، ص ٢٦.

[5] - كيرلانسكي:: تاريخ الملح...، ص ٢٩.

[6] - كيرلانسكي: المرجع ذاته، ص ٤٦.

[7] - كيرلانسكي: المرجع ذاته، ص ٣٩.

في هذا الصدد قد يكون غريبًا معرفة أنّ أولى الطرق التي اتّبعها البشر في اكتشاف أماكن الملح كانت من خلال تتبع سير قطعان الماشية؛ التي كانت تقودهم إلى أماكن تجمع الملح في مواقعه الصخرية و المائية؛ فالماشية البرية كانت تبحث عن الملح لتجد كفايتها منه، و بعد تدجينها كان لزامًا على البشر توفير الملح بكميات كافية للماشية المدجّنة أثناء إطعامها، فأصبح الملح ذا أهمية عالية؛ مما يجعل الترجيح ممكنًا أن يكون الملح - تاريخيًا - من أولى السلع المتبادلة في التجارة[1].

1 - كيرلانسكي: المرجع ذاته، ص 14 - 15.

## المبحث الثاني: نشأة التجارة وتطورها في جنوب شبه الجزيرة العربية.

تشير البقايا الأثرية التي عثرت عليها بعثات الآثار في عدة موقع في جنوب شبه الجزيرة العربية إلى أن هذه المنطقة شهدت مختلف ثقافات العصور الحجرية؛ على عكس ما كان يُعتقد؛ إذ شكل العام الأول لثمانينات القرن الماضي البداية الحقيقية للأبحاث الأثرية التي أماطت اللثام عن الكثير من الأدلة التي تعود إلى هذه العصور[1].

عثرت البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة ضمن تنقيباتها لعام ١٩٨٨م على أدوات العصر الحجري القديم في مواقع متفرقة من حضرموت ومهرة[2]، وهي بذلك أكدت ما توصلت له البعثة البريطانية التي عملت في وادي حضرموت عام ١٩٣٧م، وكذلك البعثة الأمريكية التي نقبت في المنطقة ذاتها عام ١٩٥٢م؛ عندما بيّنتا أن اليمن شهد العصر الحجري القديم[3]. بينما كشفت البعثة الأثرية الإيطالية ضمن أعمال تحرياتها الأثرية في ثمانينات القرن الماضي- أيضًا- عن موقع يعود للعصر الحجري القديم الأسفل في منطقة قاع جهران، جنوب معبر، كما عثرت على أدوات حجرية في مناطق متفرقة من ذمار تنتمي للعصر الحجري القديم[4]. بالمقابل توصلت دراسات البعثة

---

[1]- جرلاخ، إريس: ٢٥ عامًا حفريات وأبحاث في اليمن ١٩٧٨-٢٠٠٣م، الجزء (١)، المعهد الألماني قسم الشرق ،مكتب صنعاء، صنعاء ٢٠٠٣م، ص١٩. كذلك: كمبردج، فليب:"موقع أثري من عصر البرونز في عدن الصغرى"، ترجمة د.جمال الدين محمد إدريس، مجلة التواصل، نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة عدن، العدد (١٨)، عدن يوليو ٢٠٠٧م (مقدمة المترجم)، ص٢٩٤. كذلك

**Edens,Christopher: Exploring Agriculture in The Highlands of Yemen, in Sabaean Studies Book, edited by: Amida M.Sholan, Sabina Antonini, Mounir Arbach, Uni. Of Sana,(YICAR) in Sana, (FCASS) in Sana, Napoli 2005,p.185.**

[2]- ليفشتس،ب. جريز: الأبحاث الكاملة للبعثة اليمنية السوفيتية لعام ١٩٨٨م، في كتاب نتائج أعمال البعثة لعام ١٩٨٨م، الجزء (١)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، أكاديمية العلوم السوفيتية، البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، اليمن/سيلون ١٩٨٨م، ص١١-١٤.

[3]- إينيزالان، ماري-لويز: "الإنسان الأول في جزيرة العرب"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص٢٢.

[4]- ويلكنسن: "آثار المرتفعات اليمنية..."، ص ١٠٩-١١٠.

الإيطالية - اليمنية لأدلة مادية على وجود مستوطنات تعود لبداية العصر الحجري الحديث- قبل الفخار- في المرتفعات الشرقية (الأطراف العليا لوادي دنة)[1].

أما مواقع العصر البرونزي فتبدو أكثر وضوحًا وانتشارًا، وتمّ العثور عليها في العديد من المناطق عن طريق مختلف البعثات الأثرية التي عملت في جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعود أول اكتشاف لثقافة العصور البرونزي في هذه المنطقة للبعثة الإيطالية التي عملت في خولان الطيّال فيما بين الأعوام (١٩٨١-١٩٨٥م)[2]، ثم توالت الاكتشافات لمواقع العصر البرونزي من قبل بعثات التنقيب الأثري الأخرى؛ كالبعثة الروسية التي كشفت عن الكثير من مواقع البرونز في هضبة حضرموت، والبعثة الروسية الألمانية التي عثرت على آثار حضارة صبر الممتدة على طول الشريط الساحلي الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية حتى شرق عدن[3]، كما أن نتائج البعثات الفرنسية، الأمريكية،البريطانية، والكندية قدّمت معلومات ثرية عن الكثير من مواقع العصر الحجري الحديث والعصرين البرونزي والحديدي[4].

رغم حداثة عمل البعثات الأثرية في المنطقة موضوع الدراسة- مقارنة بعملها في مناطق العالم الأخرى- إلا أنه ترتب على نتائجها تغيير الكثير من المعلومات التي كان يعتقدها العلماء في الماضي عن عصور قبل التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ ربما أهمها:

---

[1] - للمزيد حول هذه المواقع يُنظر: ويلكنسن: "آثار المرتفعات اليمنية..."، ص١١٠-١١٤. كذلك:

Fedele F.G.:"North Yemen: The Noelithc", in Yemen,3000 Years of Art and Civilization in Werner Daum (ed), Arabia Felix, , Pinguin-Verlagm Innsbruck, Umschau-Verlag,Frankfurt/ Main 1988,p.34-37.

[2] - إدريس: "جذور..."، ص١٧. وكذلك: إدريس: "قراءة في ..."، ص ٢٨٢. كذلك:

De Maigret A.: "The Yemeni Bronze Age,"in: Daum W.: op-cit.,p.38.

[3] - أوكت بوركهارت: "حضارات مجهولة سادت على خليج عدن: منذ حقبة الركام الصدفي في العصر الحجري حتى ظهور مدينة صبر في العصر البرونزي المتأخر"، في كتاب ٢٥ عامًا...، ص١٩-٢١.

[4] - ليندنلا، كريستوفر (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر البروتوجي الحديث (الهواوسين)" الاكتشافات الأثرية الأخيرة"، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، ص٣. وكذلك إدريس: "جذور..."، ص١٧. أيضًا أوكت بوركهارد: "بداية معالم التاريخ في حضرموت"، في كتاب اليمن في بانك...، ص٣٠.

١- التخلي عن الفكرة القائلة بأن ثقافات عصور ماقبل التاريخ في هذه المنطقة كانت من إبداع مهاجرين قدموا من الشمال وحلوا محل السكان الأصليين، وبدا الراي يتغير نحو الاعتقاد بمحلية هذه الثقافات، وأنها من صنع السكان المحليين[١].

٢- التأثيرات الخارجية القادمة من شرق القارة الأفريقية خلال هذه العصور أقوى وأوضح من التأثيرات القادمة من المناطق الواقعة شمال شبه الجزيرة العربية، لاسيما على مناطق السهول الساحلية[٢].

مايلفت الانتباه عند الحديث عن عصور قبل التاريخ في هذه المنطقة ليس نقاط الإلتقاء والتشابه في المعطيات الثقافية لهذه العصور وإفرازاتها بين شبه الجزيرة العربية ومناطق الشرق القديم- مناطق بداية الزراعة وتدجين الحيوانات-؛ بل أوجه الاختلافات التي كشفت عنها نتائج الدراسات الآثارية في هذا الإطار حتى الآن، والتي يمكن التعرف على أهمها من خلال الآتي:

١-اختلاف التسلسل الزمني لعصور قبل التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية عنه في مناطق الشرق القديم؛ فمثلاً يتفق العلماء على أن العصر الحجري الحديث هناك يقع بين (نهاية الألف التاسعة وبداية الألف الثامنة وينتهي مطلع الألف الخامسة قبل الميلاد)[٣]، بينما أظهرت الدراسات - حتى الآن- أن هذا العصر في جنوب شبه الجزيرة العربية يقع بين (الألف السادس والألف الرابع قبل الميلاد)[٤].

٢- ظهرت صناعة الفخار في مناطق الشرق الأدنى منذ مطلع الألف السادسة قبل الميلاد في إطار العصر الحجري الحديث، وهو ما يُعرف بفخار العصر الحجري

---

[١] -دي ميجريت، إليساندرو: "الخاتمة"، في كتاب حضارة العصر البرونزي في شولان الطيل والحدا، (أول تقرير عام)، ترجمة عثمان خليفة ومالك ابره، المعهد الإيطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى، مركز الحفريات والدراسات الأثارية، اسميو، روما ١٩٩٠م، ص١٤٢. كذلك:

Edens, CH!:"Before Sheba" in Simpson S.J.: Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, The British Museum Press, Sponsored by (BARCLAYS),p.80.

[٢] - إبديلز،(وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، المرجع السابق، ص٦٨. كذلك إدريس:"جنوب..." ص٤٢-٤٥.

[٣] - محيسن: عصور ماقبل التاريخ، ص ص ٧٧، ٣١٠، ٣٧١.

[٤] - كمبردج :" موقع الري..."، ص٢٩٤. كذلك: Fedele F.G.: "North Yemen...",p.36

الحديث (Neolithic Pottery)[1] ، بينما ظهورها في جنوب شبه الجزيرة العربية- بحسب نتائج الدراسات الأثرية حتى الآن- كان مع بداية عصر البرونز[2]، الأمر ذاته ينطبق على الزراعة، إذ عرف عالم الشرق القديم الزراعة منذ الألف التاسعة ق.م، في حين ممارسة الإنسان للزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية لاتعطيه الأبحاث الأثرية- حتى الآن- تاريخ أقدم من نهاية الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة قبل الميلاد[3]، أي في بداية عصر البرونز.

٣- تدجين الحيوان في جنوب شبه الجزيرة العربية هو الآخر يعتقد أنه قد بدأ في زمن أحدث من زمن بدايته في مناطق الشرق القديم؛ فبقايا الحيوانات المكتشفة في العديد من المواقع في المرتفعات، وكذا في السهول الساحلية؛أعطت احتمالية بداية تدجين الحيوانات فيها منذُ مطلع الألف السادسة قبل الميلاد[4].

مايشدُّ الانتباه في هذا الموضوع، هو أسبقية تدجين الحيوان على الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية- على الأقل في العديد من المواقع- بعكس مناطق الهلال الخصيب التي سبق ممارسة الزراعة فيها استئناس الحيوان، والحقيقة أنه إذا لم تأت

---

[1] - يُنظر أعلاه، ص٣٣.

[2] - يبدأ عصر البرونز في جنوب شبه الجزيرة العربية في بداية الألف الثالث قبل الميلاد؛ ينظر: دي ميجريت، ألساندرو: "عصر البرونز في المرتفعات"، في كتاب اليمن في بلاد...، ص٣٤. أيضا: كمبردج:"موقع أثري..."، ص٢٩٤.

[3] - إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٤٣. كذلك كمبردج: "موقع أثري..."، ص٢٩٤. كذلك: Edens:" Exploring...",pp.185,186,190 ، هناك من يقترح بأن بداية الزراعة قد تكون في الألف الخامس أو بداية الألف الرابع قبل الميلاد؛ معللين ذلك بوجود سدود قديمة في حضرموت تعود إلى هذا الزمن، وكذلك باستقرار طور من الجفاف في المنطقة قلل من جريان الأنهار؛ وقلت معه مصادر الغذاء النباتية؛ مما فرض على السكان التوجه نحو الزراعة لسدّ هذا النقص. يُنظر: برونر، أولي:" بدايات الرّي"، في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص٥٣. كذلك: Edens :"Before Sheba"In: Queen...,p.81.

[4] - إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٤٣. كذلك إينيزان: "الإنسان الأول..."، ص٢٥. أيضًا Edens :op-cit,p.81.

هناك من أرخ لبداية تدجين الحيوان في بعض مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية بتاريخ أقدم، أعاده البعض إلى الألف الثامن، والتاسع؛ بل والعاشر قبل الميلاد، للمزيد يُنظر إيدينز (وآخر): المرجع ذاته، ص١٨-٢٠.

الدراسات الأثارية المستقبلية بنتائج جديدة من شأنها أن تغير مسألة ظهور الرعي قبل النشاط الزراعي؛ ستظل هذه خاصية تنفرد بها منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية من جهة، ومن جهة أخرى يستطيع مناصروا فكرة (محلية) ثقافات قبل التاريخ أن يستخدموها كدليل آخر يعزز موقفهم في هذا الشأن، والحق؛ ربما يكون تأخُر ممارسة الزراعة عن تأهيل الحيوان له أسبابه، وهو أمر يبدو مقبولاً إلى حدٍ ما؛ فهذه المنطقة شهدت مرحلة رطبة (مطيرة) فيما بين (٨٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م)؛ ترتب عنها وفرة المياه بسبب كثرة الأمطار المتساقطة على المرتفعات؛ التي تنساب على هيئة سيول شديدة مغذية أعالي الوديان؛ فتصب في وادي الجوف، وقد بينت الدراسات الأثارية أن جريان هذا الوادي كان من القوة بما يكفي لاجتياز المنطقة الرملية لصحراء (رملة السبعتين)؛ لينتهي به المطاف مع أودية غيره (ذنه،بيحان،مرخة) في وادي حضرموت مشكلين مجرىً مائي كبير[1]، كل ذلك ساعد على وجود غطاء نباتي غني بالمحاصيل الغذائية التي احتاجتها مجتمعات جامعي الثمار، وبالمحصلة تنتفي-آنذاك- الحاجة لممارسة الزراعة في ظل وجود مقومات النمو الطبيعي للنباتات التي توفر إمكانيات العيش للإنسان؛ غير أن الألف الرابعة قبل الميلاد في جنوب شبه الجزيرة العربية شهدت ظهور مرحلة من الجفاف، تراجع معها منسوب مياه الوديان، وتقلصت الأراضي الخضراء، ومن ثم قل غذاء السكان من النباتات، لتظهر-منُذ ذاك- تدريجيًا الحاجة للزراعة[2].

لكل ما جاء أعلاه ربما تكون مسألة تأخر ممارسة الزراعة بالنسبة لاستئناس الحيوان أمرًا مقبولاً، ولعل أوائل الحيوانات التي تمّ تدجينها هي الماشية (Cattle)، والغنم (Sheep)، والماعز (Goat)[3]. الجدير بالإشارة في هذا الصدد أن البقايا العظمية

---

[1] - بروتر:" بدايات الرّي"، ص٥٣. كذلك إينيزان: "الإنسان الأول..."، ص٢٢-٢٣. كذلك:
Fedele : "North Yemen...",p.36.
Edens :"Before Sheba",p.81.

[2] - بروتر: المرجع ذاته، ص٥٣. كذلك:
Edens:" Exploring...",p.190

[3] -
كذلك: إيدنز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص١٨-١٩.أيضا: إينيزان: "الإنسان الأول..."، ص٢٤. وكذلك: كيردج :" موقع أثري..."، ص٢٩٤.

للحيوانات التي تمّ العثور عليها تشير إلى وجود حيوانات برية وأخرى حيوانات مدجنة في ذات الوقت، وأهم الحيوانات البرية هي : الحمار الوحشي، الثيران، والماعز، وربما الوعل- الذي حل محل الجاموس في رسومات فن العصر الحجري الحديث-[1]، مما قد يعطي انطباع على استمرارية عملية صيد الحيوانات وتواجد مجتمعات الصائدين حتى بعد تدجين الحيوان[2].

هذا العرض السريع لأهم مفاصل عصور قبل التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية يمهد الطريق للحديث عن التجارة؛ من حيث نشأتها ومسار تطورها اللاحق في هذه العصور، وعليه فإنه رغم الاختلافات التي وقفت عليها هذه الدراسة فيما يخص جوانب التقدم الإنساني بين كلا المنطقتين (الشرق القديم) و(جنوب شبه الجزيرة العربية)؛ إلا أن نشأة التجارة وسبيل تقدمها تكاد تتشابه في خطوطها العريضة بين المنطقتين، بمعنى عدم وجود اختلاف بيّن (واسع) في شكل ظهور التجارة وأسسها بينهما؛ وإنما قليل من الاختلاف في مضمون التجارة؛ وربما موادها يمكن أن يكون واردًا بين هتين المنطقتين؛ إذ يبدو أن النشاط المبكر للتجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية- كما هو في الشرق الأدنى- بدأ بجلب المواد الخام من أماكن بعيدة، غير أن ماهية هذه المواد ومصادرها اختلفت بين المنطقتين، كما أن هذا النشاط في جنوب شبه الجزيرة العربية مر بمرحلتين في عصور قبل التاريخ أيضًا، مرحلة سابقة لظهور النشاط الزراعي، ومرحلة لاحقة لممارسة الزراعة، في السطور التالية استعراض لهتين المرحلتين للوقوف على أهم مميزاتهما:

### 1. مرحلة التجارة قبل الزراعة:

لا يمكن الوقوف على حدث معين أو الاعتماد على معثورات أثرية بعينها لتكون الدليل على البداية الأولى لهذا النشاط الإنساني في هذه المنطقة- كما هو الحال في الشرق القديم- غير أنه لاشك في أن البداية كانت مبكرة؛ إذ تُظهر نتائج التنقيبات أن

---

[1] - فارمير، موشيل آلان ورشاد، منيحة: "الإنسان القديم"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص ٢٦.

[2] - إيديلز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة"، ص١٨-١٩. أيضا: إيدلمان: "الإنسان الأول..."، ص٢٥.

بعض المواد- التي يبدو أنها كانت ثمينة بمعيار ذلك الزمان- كان يتم جلبها من أماكن أخرى، وعليه يمكن التعرف على خصائص هذه المرحلة على النحو الآتي:

أ- شكلت المواد الأولية (المواد الخام) عصب النشاط التداولي (الاستجلابي) في الزمن السابق لممارسة الزراعة، وربما كان أهمها:السبج (الأوبسيديان) (Obsisian) أحجار الأستيتايت(Steatite Stones)، الكلورايت (Chorite)، الجرانيت (Granite) والحجر الرملي، وكذلك الأصداف (Shells) بأنواعها؛لاسيما (الأصفر) و(السنية)، حلزونيات كونز/ كونوز (Conus)، بالإضافة إلى الصوان (Flint)، والكوارتز (Quartz).

استعملت هذه المواد في صناعة الأدوات والآلات (Artifacts) التي وجدت ليس فقط في مواقع العصر الحجري الحديث؛ وإنما أيضا في مواقع العصور اللاحقة؛ ومن أهم الأدوات التي وثقها السجل الأثري لهذه المواقع: أحجار الرحى[1]، معدات الطحن، نصال وأدوات شظية، خرز وأدوات زينة، وغيرها[2].

ب- يبدو أن حياة الترحال، ثم الحركة الموسمية لمجتمعات جامعي الثمار والصائدين - لاسيما في الزمن قبل ظهور المستوطنات- كان لها دورًا مهمًا في استجلاب هذه المواد وتداولها- مع عدم افتراض وجود علاقات تجارية واسعة-[3]؛ إذ أنه من المقبول افتراض أن اقتصاد الترحال ساعدهم على اكتشاف المواد الطبيعية[4]؛ التي مكنتهم من تحسين أدواتهم وآلاتهم على طريق التأقلم الذي فرضته الحاجة؛ فالعديد من الأدوات التي تمّ العثور عليها في غير موقع من مواقع العصر الحجري الحديث تُظهر إنها صُنعت من مواد خام لاتوجد مصادر لها في ذات منطقة الموقع؛ بل كانت تُجلب من مناطق بعيدة[5].

---

[1] -لايرتبط وجود الرحى بممارسة الزراعة- كما يعتقد البعض- إذ يمكن أن يكون قد استخدم أثناء مرحلة الجمع المكثف قبيل ممارسة الزراعة.

[2] - إيديز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢٠-٢١. كذلك: إينيزان: "الإنسان الأول..."، ص٢٤. أيضًا إدريس:"جنوب..."، ص٢٧-٢٨.

[3] -للأسباب ذاتها المذكورة في المبحث الأول من هذا الفصل، ص

[4] - إيديز (وآخر):المرجع السابق، ص ٢١.

[5] - إيديز (وآخر):ذاته، ص٢١. كذلك: إدريس:المرجع السابق، ص٢٨.

ج- ليس هناك وضوح صريح حول الأنظمة والطرق المتبعة في تداول تلك المواد خلال هذه المرحلة؛ غير أنه يمكن مناقشة اتجاهين افرزتهم المعطيات الأثرية لعملية استجلاب هذه المواد وتداولها؛ لاسيما السبج (الأوبسيديان):

ج-١- تداول اقليمي (محلي):يبدو أن شبكات تبادلية دورانية محلية أدّت دورًا مهمًا في تبادل المواد الأولية بين المناطق[1]؛ فالكثير من الأدوات المكتشفة أو بقاياها تشير إلى أن المواد الخام التي استعملت في صناعتها جاءت من مناطق بعيدة، فمثلاً خام الأستيتايت - أستخدم في صناعة الأوعية الحجرية- مصادره توجد في مرتفعات جنوب الحجاز، وغرب نجد، وعسير، ومرتفعات شمال اليمن، كما أن خام الجرانيت والحجر الرملي- استخدما-في صناعة معدات الطحن- يُعتقد أنه كانا يُنقلان عبر مسافات تصل إلى ( ٥٠-١٥٠ كم)، بينما الشريط الساحلي- لاسيما ساحل البحر الأحمر- زوّد مناطق العربية الجنوبية بالأصداف والحلزونيات؛ إذ وجدت أدوات مصنوعة من هذه الخامات في مواقع تنتشر بين نجد والربع الخالي؛ بما يُغطي مسافة ٤٠٠-٥٠٠كم[2]، ناهيك عن الأوبسيديان الذي تمّ تحديد مصادره المحلية في موقعي جبل الإسبيل (Isbil) وجبل اللسي (Al-lisi) ضمن مرتفعات إقليم ذمار، وفي المرتفعات باتجاه الشمال في عسير؛ كما أن هناك من يفترض أن بعض الأوبسيديان ربما كان مصدره عدن[3].

إن انتشار الأدوات المصنوعة من الأوبسيديان، ومن المواد الخام الأخرى (الحجرية والصدفية) في الكثير من مواقع العصر الحجري الحديث (قبل الزراعة)؛ التي تم الكشف عنها في سهل تهامة الساحلي، ومناطق الصحراء غربي الربع الخالي، وفي المرتفعات- وإن كان انتشارها بنسب متفاوتة- يجعل إرتقاء الافتراض إلى يقين

---

١- كذلك:

Edens:" Exploring...",p.189

Inizan, Marie-Louise and Francaviglia, Vincenzo M.: "Les périples de l'obsidienne à travers la mer Rouge" in Journal des Africanistes 72 (2) 2002, p.14.

٢- إديناز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢١. أيضا: إديناز (وآخر):المرجع ذاته. كذلك إنيزان: "الإنسان الأول..."، ص٢٤. أيضا إدريس:"جذور..."، ص٢٨.

٣- أنرانكفليا، فرانتشيسكو:" مصادر الأوبسيديان في اليمن القديم"، في كتاب ذي سبأيت: حضارة عصر البرونز...، ص١٠٧. أيضا: إدريس: المرجع السابق، ص٢٧.

أمرًا ممكنًا فيما يتعلق بمسألة وجود تداول لهذه المواد بين المجتمعات آنذاك، أو ليكن استجلاب تطور إلى تداول بمرور الوقت بحكم حاجة هذه المجتمعات بعضها لبعض؛ أثناء سعيها للسيطرة على الطبيعة عن طريق تحسين الأدوات و الالآت، من هنا ظهرت بوادر التجارة التي أخذت تأثيراتها تتسع في عصور قبل التاريخ؛ بما يفترض أنها ساهمت به؛ فكانت النتيجة ظهور نشاط اقتصادي آخر إلى جانب جمع القوت وتربية الحيوان والصيد؛ مما أدّى إلى تنويع أساليب المعيشة والبقاء.

ج-٢- **تداول واتصال خارجي**:لم تخلُ مواقع العصر الحجري الحديث في المناطق الساحلية من الدليل الذي يُرجح الاتصال بالخارج- شرق أفريقيا على وجه الخصوص-؛ إذ عثر على أدوات سبجية؛ أتضح بعد تحليلها أن الخام المستخدم في صناعتها من نوعية الأوبسيديان الموجود في شرق أفريقيا؛ لاسيما أرتيريا[1].

ربما كانت بداية هذا الشكل من التواصل- جلب المواد الخام- بين البر الأسيوي والبر الأفريقي عبر البحر الأحمر وخليج عدن مبكرة- نسبيًا-؛ الألف الثامنة[2] أو الألف السابعة قبل الميلاد[3]. أما استمرارية الاتصال بينهما في المرحلة السابقة للزراعة فترجّحه كمية المواد المصنوعة من خام الأبسيديان التي عُثر عليها في مواقع العصر الحجري الحديث في المناطق الساحلية؛ إذ أن ٧٥ % من أدوات هذه المواقع هي أدوات أوبسيديانية (سبجية)، وهو مايدل أيضا على الاستخدام المكثف لهذه المادة في هذه المرحلة[4]؛لا سيما وأن هناك من يرى أن اتصال المناطق الساحلية مع شرق أفريقيا كان أقوى من إتصالها بالمناطق الداخلية في هذا الوقت؛ معتمدين في ذلك على أرجحية انتقال تقنية الآلآت الدقيقة من شرق أفريقيا-أثيوبيا والصومال على وجه التحديد- إلى المناطق الساحلية في

---

1 - إيديلز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢١.كذلك إدريس: "جذور..."، ص٢٦، من أهم مواقع استخراج الأوبسيديان هناك منطقة خليج (هواكيل) وهي ليس بعيدة عن ميناء عدوليس،'ينظر الشوبة:"أهمية كتاب دليل البحر الأرتيري" في كتاب دراسات...، ص٢٣٥

2 - Inizan, and Francaviglia, : "Les périples..." p.11. in English Abstract.

3 - إدريس:المرجع السابق، ص٢٦.

4 - إيديلز (وآخر):المرجع السابق، ص٢٠. كذلك إدريس: المرجع ذاته ، ص٢٧.

جنوب شبه الجزيرة العربية[1]، كما أنهم يفرقون بين شبكتين لإنتشار خام الأوبسيديان: شبكة ساحلية مصدرها شرق أفريقيا، وشبكة محلية تربط المناطق الداخلية في المرتفعات[2].

إن اتصال المناطق الساحلية لجنوب شبه الجزيرة العربية مع البر الأفريقي بحاجة لمزيد من التحري والبحث والدراسة الأثرية لمعرفة الكيفية التي تواصلت فيها المنطقتان في هذا الوقت المبكر؛ في ظل وجود حاجز مائي بينهما؛ سيما وأن الأدلة المادية لركوب البحر أكثر عرضة للتلف والاندثار.

د- من المحتمل أن نواة طرق التجارة قد وضعت في هذه المرحلة-التجارة قبل الزراعة-؛ فثقافة الترحال والتنقل في ظل اقتصاد قائم على جمع الثمار والصيد في العصر الحجري الحديث، مع ظهور المجتمعات الرعوية؛ لايستبعد أنها ساهمت في رسم الخطوط الأولى للطرق؛ التي من خلالها عبرت المواد الأولية - مجلوبة- بين المناطق والأقاليم، ومع عدم تجاهل مسألة اعتماد الطرق على مواضع المياه، ومسالك الأودية؛ يبدو أنها- بمرور الزمن- اتخذت أبعاد ومسارات غير محدودة؛ ومنطلق ذلك يعود إلى المسألتين التاليتين:

١- لايمكن التأكيد أن المواد الخام انتقلت من مصادرها إلى المواقع القريبة منها فحسب؛ على سبيل المثال الأوبسيديان بمصادره المحلية المتعددة ذات المواصفات المختلفة؛ تواجدت أدواته في مناطق بعيدة عن منابعها ، وما الخرز السبجي الذي عُثر عليه في قبر من عصور قبل التاريخ في قطر[3] إلا خير دليل؛ إذ ليس هناك مايؤكد أن مصدره مرتفعات عسير.

٢- انتقلت الأصداف والحلزونيات- كمواد أولية- من سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية (الغربية والجنوبية) إلى مسافات بعيدة في المناطق الداخلية، ناهيك عن انتقال المواد الخام الأخرى- كما جاء أعلاه-.

---

[1] - إدريس: "جنوب..."، ص٣١.

[2] - إيدنز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢٠. كذلك إدريس: المرجع السابق، ص٢٧.

[3] - إيدنز (وآخر): ذاته. كذلك إدريس: المرجع ذاته، ص٢٨.

**٢- مرحلة التجارة بعد الزراعة:**

إن الحديث عن مرحلة التجارة بعد ابتكار الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية لايعني- بالضرورة- تضمين ما جاء به النشاط الزراعي من منتوجات يحتمل دخولها ضمن قائمة مواد التجارة فحسب؛ وإنما أيضًا ماترتب عن هذا النشاط من نتائج كان لها تأثيرات ليست بقليلة على تقدم النشاط التجاري في هذه المنطقة؛ إذ أفرزت الزراعة تطورات جديدة للحياة، زادت معها الحاجة للاستقرار الدائم؛ لتظهر المستوطنات الزراعية إلى جانب المستوطنات الرعوية، وبمرور الوقت تطورت تلك المستوطنات وتوسعت[١]، ومع تطورها ظهرت مواد جديدة وأنشطة تمّ استغلالها في تحسين الأدوات والآلات، وكذلك تكثيف الإنتاج؛ فكان لابد أن يحدث مزيد من تقسيم العمل، ومن ثمّ مزيد من التخصص، وهو ما يعني زيادة الإنتاج وتعدد الموارد، ولعلّ أهم تلك الأنشطة والمواد هي: صناعة الفخار، استخدام المعادن (النحاس والبرونز)، والأحجار الكريمة وشبه الكريمة[٢]- إلى جانب الاستمرار في إنتاج الأدوات والآلات الحجرية -.

المجتمعات الزراعية تلك؛ - التي تمارس الرعي وصناعة الفخار وتستغل المعادن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة-؛ صارت مجتمعات أكثر إنتاجية، وعاشت اقتصادًا متعددًا؛ مما يسمح بالحديث- بشيء من الاطمئنان- عن تبادل تجاري على المستويين الداخلي والخارجي[٣].

## ٢-أ- داخليًا:

نتائج الدراسات الأثرية لمواقع عصر البرونز ساهمت في الكشف عن العديد من مظاهر النشاط التجاري الداخلي في هذه المرحلة؛ أهمها:

---

[١] - تفاوتت مساحة المستوطنات من إقليم إلى آخر؛ ففي المرتفعات الشرقية تراوحت مابين مستوطنات صغيرة مساحتها أقل من (٠,١ هكتار) ومستوطنات أكبر مساحتها أكثر من (١ هكتار)، وفي المرتفعات الوسطى تراوحت مابين (٣ هكتار)، و (٦ هكتار)، بينما مستوطنة (سيحي) على ساحل تهامة (٩ كم٢)، وصبر؛ شمال عدن مساحتها حوالي (٤,٢كم٢) ينظر: إدريس: "قراءة..." ، ص ص٢٨٥، ٢٨٧ ، إدريس: "جنور..." ، ص ص ٣٨، ٤٠.

[٢] - إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢٧ و ص٤٣. كذلك إدريس: "قراءة..." ، ص٢٨٦.

[٣] - إدريس: ذاته.

١- من المرجح أن منتوجات زراعية دخلت ضمن المواد المتبادلة إقليميًا بين المجتمعات الرعوية الزراعية؛ لاسيما بعد تكثيف الإنتاج وظهور الفائض؛ في ظل التنوع البيئي الذي يؤدي إلى تنوع المحاصيل الزراعية بين الأقاليم[1]- على الرغم من غياب الأدلة المادية حتى الآن-.

٢- استمرار ظهور خام الأوبسيديان في مواقع بعيدة عن مصادره؛ مما يدل على استمراره كمادة متداولة، وإن كان بكميات أقل من المرحلة السابقة[2]؛ وهنا يكون الإتفاق مجدّيًا مع الرأي القائل بأن سبب نقص تداوله هو ظهور خامات جديدة كالمعادن مثلاً؛ إذ أصبحت تستخدم في صنع العديد من الأدوات التي احتاجها إنسان هذا العصر[3].

٣- إن العثور على مواد مصنوعة من البرونز والأصداف والأحجار الكريمة وشبه الكريمة في مواقع متفرقة وبعيدة عن مصادرها؛ يجعل من المقبول افتراض تداول هذه المواد بين المجتمعات كمواد خام، وربما كأدوات مصنعة (Artifacts)[4].

٤- لم تتضمن البقايا الأثرية لهذه المواقع أدلة مادية صريحة تشير إلى شكل الأنشطة التجارية وحجمها التي مارستها المجتمعات آنذاك؛ إلا أنه ليس من الصعوبة أن يتم تلمُسها وافتراضها؛ بل واستنتاجها من خلال تتبع المزايا العامة لمستوطنات عصر البرونز على النحو التالي:

---

[1] - الشيبة: أقول...، ص١٥.

[2] - إيدينز (وآخر):"جلوب شبه الجزيرة..."، ص٤٢. كذلك إدريس: "جذور..." ، ص٢٧.

[3] - إدريس: المرجع ذاته ، ص٢٧- ٢٨.

[4] - إيدينز (وآخر): المرجع السابق، ص٢٧ .كذلك إدريس: "قراءة..." ، ص٢٨٦. أيضًا:

Edens:" Exploring...",p.188-189.

ضمت مواقع عصر البرونز في المرتفعات مساحات تتوسط المنشآت، كانت تُستغل كمشاغل لصناعة الأدوات الحجرية. كما تم العثور على بقايا ورش لصناعة الخرز في مواقع ساحل تهامة تعود على الأقل للألف الثاني قبل الميلاد، وكانت الدراسات الأثرية في المرتفعات قد عثرت على أدوات من الخرز أو بقاياها مع عدم العثور على ورش لها هناك حتى الآن. يُنظر: دي ماريو، فرانشيسكو:" الصناعات الحجرية للعصر البرونزي"، في كتاب: مجريت: حضارة عصر البرونز...، ص٩٤. كذلك: Edens:" Exploring...",p.189, in the text and the footnote.

أ- كُبر حجم المستوطنات وازداد عددها في عصر البرونز، ففي المرتفعات الشرقية تمّ الكشف عن ٤٠ موقعًا، توزّع مابين تجمعات صغيرة، وتجمعات أكبر حجمًا، غطت المستوطنات الكبرى مساحة أوسع، وصارت تضم عدة وحدات سكنية، وتطور فيها التخطيط البنائي بما يتناسب وهذا التوسع[1]، أما المواقع التي عُثر عليها في المرتفعات الوسطى؛ وعددها (٧٠) موقعًا، تُعد أكبر مساحة، ويحيط بمعظمها أسوار دفاعية؛ كموقع حمة القاع الذي أحيط بسور له ثلاثة أبواب، ويبدو أن هذه المستوطنات قد استغلت كل جزء في المرتفعات لنشاط اقتصادي أو اجتماعي معين؛ فمركز المستوطنة حيث السكن ومساحات الأنشطة المختلفة؛ كتجهيز الأغذية، الخزن، والإنتاج الحرفي يقع فوق الهضاب وقمم الجبال، بينما تمّ استغلال المنحدرات الجبلية لبناء الحقول والمدرجات الزراعية، إما السهول وقاع الوديان فمن المرجّح إنها كانت مخصصة لرعي الحيوانات؛ إذ لم يتم العثور على دلائل للاستيطان فيها[2].

ب- تطور الحياة الاجتماعية؛ فقد ضمت المستوطنات الكبرى عدة عائلات، وظهرت فيها وحدات سكنية أو غرف مميزة من الناحية البنائية؛ الأمر الذي يعطي انطباع بوجود نوع من التمييز الاجتماعي، أو ظهور مكانة ومنزلة اجتماعية ما في تلك المجتمعات، وربما أيضا يدل على ظهور سلطة اجتماعية-سياسية[3]؛ في ظل تعقد حياة المجتمع في هذا الوقت، كما أشارت بقايا الأبنية إلى وجود أماكن ربما كانت تستغل في ممارسة دينية أو عبادة ما[4].

ج- اتّخذت المستوطنات مواضع تسمح لها بالتواصل مع غيرها من التجمعات البشرية؛ ففي المرتفعات الشرقية تموضعت المستوطنات الكبرى في مواضع تفصل بينها مسافات

---

[1] - دي ميجريت، أليساندرو:" عصر البرونز في المرتفعات"، ص ٣٤-٣٥. كذلك : إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."،ص ٢٤-٢٥. كذلك إدريس: "قراءة..." ، ص٢٨٥-٢٨٦.

[2] - إيدينز (وآخر): المرجع ذاته ، ص٢٨. كذلك إدريس: المرجع ذاته ، ص٢٨٧.

[3] - دي ميجريت، أليساندرو: المرجع السابق، ص ٣٥. كذلك: إيدينز (وآخر):المرجع ذاته، ص٢٥. كذلك إدريس: المرجع السابق ، ص٢٨٦.

[4] - ويلكنسن:" اثار المرتفعات اليمنية"، ص١١٥. كذلك
De Maigret :" The Yemeni Bronze Age".,p39.

منتظمة إلى حد بعيد؛ تتراوح بين (٢ كم- ٣ كم)[1]، وفي المرتفعات الوسطى قامت المستوطنات الكبرى في مواقع مفصلية؛ على الطرق التي تربط بين المرتفعات و الصحراء[2]، حمة القاع- على سبيل المثال- قامت في موضع يسمح لها أن تؤدي دورًا وسيطًا في عمليات التبادل بين المناطق المختلفة[3]، وكذلك مستوطنات (الرقلة)،(وادي يناعم ١)، و(القيلة ٥) ظهرت في مواضع تجعلها تتحكم بطرق التجارة[4].

د- زيادة عدد المستوطنات ونمو حجمها؛ وكذا الاختيار الجيد لمواضعها -المذكورين أعلاه-؛ يسمحان بإفتراض حدوث تطور مضطرد للطرق التي ربطت بينهم من جهة؛ وبين الأقاليم المختلفة من جهة أخرى[5].

هـ- تميز عصر البرونز في جنوب شبه الجزيرة العربية بوجود تنوع اقتصادي سببه الاختلافات الإقليمية[6]، كما شهدت المستوطنات في هذا العصر اقتصاد متعدد الموارد بسبب ممارسة الزراعة، والرعي، ووجود الصناعات الحرفية[7].

و- العثور على مواد مستوردة في مواقع عصر البرونز مصنوعة من البرونز والأصداف والأحجار شبه الكريمة، وكذلك أدوات مصنوعة من الأوبسيديان؛ وهي مواقع- بحسب الدراسات الأثرية- لاتحتوي على هذه الخامات[8].

ز- من المحتمل استعمال دواب الحمل؛ لاسيما الحمير كحيوانات ركوب ونقل منذُ عصر البرونز[9]؛ في ظل وجود فائض للإنتاج الزراعي والحرفي، والعثور على مواد مستوردة من خارج المستوطنات.

---

[1] - إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢٥. كذلك إدريس: "قراءة..." ، ص٢٨٥.

[2] - دي ميجريت: "الخاتمة"، ص١٣٧.أيضا: دي ميجريت:" عصر البرونز في المرتفعات"، ص٣٦. كذلك: De Maigret :" The Yemeni Bronze Age", in: Daum W.:op-Cit.,p39.

[3] - إيدينز (وآخر):المرجع السابق، ص٣٢.

[4] - دي ميجريت: "الخاتمة"، ص١٣٧.

[5] - دي ميجريت:" عصر البرونز في المرتفعات"، ص٣٦

[6] - إيدينز (وآخر): المرجع السابق،ص ص٢٣ ، ٤٤.

[7] - إدريس: المرجع السابق، ص٢٨٨.

[8] - دي ميجريت:" عصر البرونز في المرتفعات"، ص٣٦.كذلك: إدريس: المرجع ذاته، ص٢٨٦.

[9] -ليدبللي، فرانشيسكو ج:" مجاميع البقايا الحيوانية للعصر البرونزي من اليمن الشمالي"، في كتاب حضارة العصر البرونزي في خولان..."، ص ١٢٤-١٢٥. كذلك : دي ماجريت:" عصر البرونز في المرتفعات"، ص٣٦.

إن المظاهر أعلاه؛ التي اتسمت بها المجتمعات الزراعية الرعوية، وميزت مستوطنات عصر البرونز لاتدع مجال للشك حول وجود علاقات تبادلية واسعة بين هذه المستوطنات، وتنامي حركة تجارية نشطة بين الأقاليم[1].

٢-ب- خارجيـًا:

إن فرضية انتقال بعض التأثيرات الثقافية من سورية وفلسطين؛ التي كشفت عنها الدراسات الأثرية في بعض مواقع مستوطنات عصر البرونز في جنوب شبه الجزيرة العربية في المرتفعات والسهول الساحلية؛ لاسيما فيما يتعلق بالتشابهات الفخارية غير الواضحة[2]، كذا وإمكانية انتقال زراعة بعض الحبوب كالقمح والشعير والشوفان[3]؛ لاتعطي دليلا حاسمًا على وجود علاقات خارجية منتظمة مع تلك المناطق آنذاك[4].

إن مظاهر النشاط التجاري الخارجي في مرحلة بعد ممارسة الزراعة تبدو أكثر وضوحًا في مواقع عصر البرونز التي تنتمي لثقافة صبر على الشريط الساحلي المحيط بجنوب شبه الجزيرة العربية من ناحيتي الغرب والجنوب؛ فنتائج الدراسات الأثرية أظهرت العديد من المظاهر التي تسمح بالحديث عن علاقات وثيقة ربطت هذه المستوطنات مع شمال شرق أفريقيا حتى القرن الأفريقي[5]، وهي كالتالي:

---

1 ـ دي ماجريت:ذاته. كذلك: دي ميجريت: "الخاتمة"، ص١٣٧.أيضا: إدريس: "قراءة..." ، ص٢٨٦. كذلك:
De Maigret :" The Yemeni Bronze Age", in: Daum W.:op-cit.,p39.

2 ـ ويلكنسن:" اثار المرتفعات اليمنية"، ص١٣٥. كذلك: إدريس: "جذور..." ، ص٤٢.

3 ـ كذلك: إدريس: المرجع ذاته ، ص٣٢. كذلك: Edens:" Exploring...",p.190.

4 ـ إن فكرة حدوث هجرة، أو تحرك جماعات من جنوب شرق البحر المتوسط بإتجاه جنوب شبه الجزيرة العربية تظل فكرة قاصرة ما لم يُستخدم المزيد من تقنيات العلوم الحديثة لإثباتها، لعل أهمها: علم الأركيولوجية البيوجزيئية، الذي يهتم بفحص الجزيئيات البيولوجية لبقايا الإنسان والحيوان والنبات، كذلك الدنا(DNA)، إذ بإمكانهما أن يساعدا على توفير الكثير من الأدلة التي تثبت حدوث الهجرة من عدمها، أم أنه مجرد انتقال للأفكار عبر إرحال بعض الناس بين المناطق، للمزيد من التفصيل حول الموضوع يُقرأ كتاب جونز: نبش الماضي.

5 ـ لمزيد من التفصيل حول هذه العلاقة يُنظر : إدريس: المرجع ذاته ، ص١٥-٤٥.

١- أكدت النتائج وجود تواصل ثقافي بعيد المدى؛ يتمثل في أسلوب صناعة (الفخار المتأخر)[1] وتقنياته، وكذلك في تناظر أشكال الدمى الطينية الصغيرة المكتشفة ضمن بقايا هذه المواقع؛ إذ هناك تشابه واضح مع ما عُثر عليه في مواقع في بلاد النوبة على وادي النيل، وفي شرق السودان، وكذلك في أرتيريا وأثيوبيا والصومال[2].

٢- أرجحية انتقال زراعة السرغوم (Sorghum) من شرق أفريقيا؛ لاسيما أثيوبيا وأرتيريا[3].

٣- استمرار استخدام الأوبسيديان كمادة خام، لوجود مصادر لها في شرق أفريقيا- كما جاء سابقا-[4].

٤- الإنتاج المكثف للفخار؛ لاسيما في مستوطنة صبر يوحي بأرجحية تصديره بعيدا عبر البحر، باتجاه البر الأفريقي؛ في ظل اقتصاد مستقر؛ معتمد على الزراعة الواسعة، وتربية الحيوان، واستغلال عطايا البحر، كما أن الموقع يحتوي على مواد تدل على الثراء[5].

٥- وجود مواد مستوردة- رغم محدوديتها- كشفت عنها الدراسات الأثرية في مواقع ثقافة صبر؛ تتمثل بأشكال معينة من الأواني والعاج، مع احتمالية تبادل بعض النباتات والحيوانات[6].

٦- لم تقف الدراسات الأثرية على أدلة واضحة تربط مستوطنات ثقافة صبر على الساحل بالمستوطنات المعاصرة لها في أقاليم جنوب شبه الجزيرة العربية الداخلية

---

[1] - هو فخار ثقافة صبر، ويختلف عن فخار عصر البرونز في المرتفعات المعروف بـ(الفخار المبكر)، والفخار المبكر- هو الآخر- يمكن مضاهاته بفخار مجموعة القاش في موقع تفلينوس في (كسلا) شرق السودان؛ إذ يتشابه معها من حيث الزخرفة وتقنية الصناعة، للمزيد يُنظر: إدريس: "جذور..." ، ص٣٦.

[2] - للمزيد يُنظر: إدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٤٤-٤٥. كذلك إدريس: المرجع ذاته، ص٤٢.

[3] - إدريس: المرجع ذاته، ص٣١-٣٢. كذلك: Edens:" Exploring...",p.191.

[4] - للمزيد يُنظر ص في هذه الدراسة.

[5] - فوكت، بوركهارد:"صبر مدينة من الألف الثاني خلف منطقة عدن"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبا، ص٤٨. كذلك: إدريس: المرجع السابق ، ص٤١.

[6] - فوكت، بوركهارد، وسيدوف الكسندر:"ثقافة صبر على الشاطئ اليمني" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبا، ص٤٣ (في التعليقات على الصور)، و ص٤٤.

(المرتفعات، وأطراف الصحراء، والإقليم الشرقي)؛ فعلى الرغم من أن ثقافة صبر محلية؛ إلا أن انتشارها -على مايبدو- لم يتعد- النطاق الساحلي بحسب المعطيات المتوفرة حتى الآن[1].

ومن هنا؛ فإن هذه المظاهر لا تكشف عمق العلاقات الثقافية التي ربطت مستوطنات عصر البرونز الساحلية مع شمال شرق أفريقيا والقرن الأفريقي فحسب؛ وإنما أيضا تؤيد الافتراض بوجود علاقات تجارية متقدمة بينهم؛ سيما وأن مواقع ثقافة صبر قد أظهرت أنها كانت مستوطنات تميل إلى البحر؛ نحو الشاطئ الأفريقي أكثر من اتجاهها نحو الأقاليم الداخلية[2]، ومن ثمّ؛ فإن الصلات التجارية مع مصر في هذا العصر محتملة أيضًا؛ فإذا لم يكن لجنوب شبه الجزيرة العربية أي نصيب في موقع بلاد بونت؛ لتكون العلاقات مباشرة بينهما؛ فإن العلاقات غير المباشرة تظل واردة؛ على اعتبار أرجحية قيام هذه العلاقة مع الشاطئ الشرقي للسودان وأرتيريا؛ الذي أظهرت الأدلة- حتى الآن- أنها قد تكون موقع بلاد بونت مع امتدادها غربًا حتى النيل[3].

---

[1] - فوكت وسيدوف: "ثقافة صبر على الشاطئ اليمني"، ص٤٤. كذلك: إدريس: "جدور..."، ص٢٤.

[2] - فوكت وسيدوف: ذاته، كذلك فوكت:المرجع ذاته، ص٤٨. أيضا: إدريس: المرجع ذاته، ص٢٤-٤٤.

[3] - كيتشن، كينيث أ:"بلاد بونت: مصر تبحث عن الطيوب"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص٤٩.

# الفصـــل الثـــاني

# التجارة ونشأة ممالك اليمن القديمة

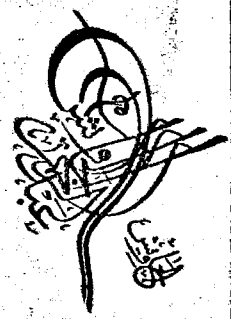

المبحث الأول: الجذور الحضارية لممالك اليمن القديمة.

المبحث الثاني:التجارة وزمن نشأة ممالك اليمن القديمة.

المبحث الثالث: التجارة وأسس قيام ممالك اليمن القديمة.

## المبحث الأول: الجذور الحضارية لممالك اليمن القديمة.

بعد أن قدمت الدراسات الأثرية ما يكفي من معلومات وأدلة مادية تؤكد مرور المنطقة بعصور قبل التاريخ، وتبيّن دور البيئة وكذلك الإنسان في صنع وابتكار مقومات الاستقرار ثم الاستيطان، وصولاً إلى مرحلة التمدن ثم ظهور المدينة؛ لم يُعد لدى دارسي آثار جنوب شبه الجزيرة العربية وتاريخها القديم أدنى شك حول الأساس المحلي لثقافات عصور قبل التاريخ،وهو أمر يمكن الاعتماد عليه في افتراض أن هذه الثقافات تشكل الجذور الحضارية التي على أساسها قامت ممالك اليمن القديمة[1].

من الواضح أن تطورًا غيراعتيادي ظهر في مستوطنات عصر البرونز؛ عنها في مستوطنات العصر الحجري الحديث في جنوب شبه الجزيرة العربية، هذا التطور لاينحصر في زيادة عدد المستوطنات فحسب؛ وإنما يتعداها إلى تطور في خصائص الاستيطان وطبيعته، وفي طبيعة الأنشطة التي مارسها سكان هذه المستوطنات، بالإضافة إلى التقدم الذي حققه إنسان هذا العصر في أسلوب بناء المستوطنة ذاتها؛ وربما أيضًا في اختيار موضعها، وليست ثمة صعوبة في تبرير حدوث هذا التطور في ظل القفزة - النوعية والكمية- الكبيرة التي حققها اقتصاد عصر البرونز-المتميز بالتنوع الإقليمي-، إذ أكدت الدراسات الأثرية أن العصر البرونزي ارتبط منُذ البداية بممارسة الزراعة وظهور صناعة الفخار[2]، وهما النشاطان الاقتصاديان اللذان كان لهما بالغ الأثر في حدوث هذا التطور؛ بحيث انبثقت عنهما تأثيرات واسعة انعكست نتائجها على شكل الاستيطان ومضمونه؛ لتظهر المجتمعات الرعوية، الزراعية التي تمارس الحرفة، لاسيما صناعة الفخار، ومع مزيد من تقسيم العمل، وزيادة الاختصاص اتجهت تلك المجتمعات لإحراز نوع من التقدم الاجتماعي- إلى جانب التطور الاقتصادي- فكانت النتيجة ظهور المجتمعات المركبة في مواقع عصر البرونز؛ لتظهر على أساسها القرى كشكل أرقى للاستيطان، هذه القرى تراوحت بين الصغيرة التي تضم عائلة واحدة، وقرى كبيرة تتميز بشكل متقدم من التنظيم الاجتماعي؛ قوامها عدة عائلات، غير أن نتائج الكشف عن بعض

---

1 - إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢. كذلك إدريس: "قراءة..." ، ص ٢٨٢.

2 - إيدينز (وآخر):المرجع ذاته، ص٤٣ ،كذلك إدريس: "قراءة..." ، ص ٢٨٦.

مواقع النوع الأخير من القرى في المرتفعات الشرقية؛ والتي تقع زمنيًا- بحسب التواريخ المعمارية- بين (٢٩٠٠- ١٨٠٠ ق.م) كمواقع (وادي يلعم ١)، (الراجلة ٣)، و(المسنة ١) وغيرها[1]؛ أماطت اللثام عن بعض المظاهر التي تدفع الباحثون إلى عدّها قرى عاشت مرحلة التمدن، أي أنها تمثل شكل أولي لمدينة عصر البرونز في جنوب شبه الجزيرة العربية[2]، أما مدينة العصر البرونزي-ذاتها- في هذه المنطقة[3]؛ فيمكن إدراكها والتعرف عليها من خلال بعض المواقع التي تمّ اكتشافها في المرتفعات الوسطى لعل أهمها: موقع سبال، جنوب شرق ذمار، والذي يغطي مساحة تتروح بين ١-٢ هكتار، يحيط بها سور سبال، جنوب شرق ذمار، والذي يغطي مساحة تتروح بين ١-٢ هكتار، يحيط بها سور تمّ الكشف عن بعض بقاياه، ومن خلال ثلاثة قراءات لكاربون ١٤ المشع لفخار سبال، ثمّ وضع تاريخ تقريبي للمدينة بين ٢٦٠٠-١٩٠٠ ق.م[4]، وكذلك موقع (حمة القاع)؛ على بُعد (٢٧ كم) شمال ذمار، مساحته (٤)هكتارات ويحيط به سور تتخلله ثلاث بوابات، تتميز هذه المدينة بالمنازل المنظمة في هيئة مربعات سكنية، تمر بينها الشوارع وتتوسطها ساحات مكشوفة.

أن قراءة لواقع تطور الاستيطان في عصر البرونز- كما كشفت عنه الدراسات الأثرية- منذ الاستقرار في قرى، ومرورًا بمرحلة التمدن؛ وصولا إلى ظهور المدينة في جنوب شبه الجزيرة العربية، تُبرز بعض الظواهر التي تستحق الوقوف أمامها، إذ ربما تساعد على استيعاب واقع قيام ممالك اليمن القديمة على أسس محلية؛ بحيث تشكل الجذور الحضارية لعصر البرونز حجر الزاوية فيها، وأهم هذه الظواهر تتمثل في الآتي:

١- آثار الاستيطان في عصر البرونز وجدت في معظم أقاليم (أقسام) جنوب شبه الجزيرة العربية، ومع ذلك يمكن ملاحظة الحقائق التالية بحسب الدراسات الأثرية لمواقع هذا العصر المكتشفة:

---

[1] - مواقع في خولان الطيال والحدا، وأغلبها تتموضع أعلى وادي ذنة على ارتفاع يصل (٢٢٠٠م) فوق مستوى سطح البحر، يُنظر إدريس: "قراءة..."، ص ٢٨٥-٢٨٦.

[2] - إدريس: المرجع ذاته، ص ٢٨٦.

[3] - تمييزًا لها عن المدن التي ظهرت في العصور اللاحقة.

[4] - إيدنز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٣٠، كذلك إدريس: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

أ. لم يكن الاستيطان بشكل متزامن في هذه الأقاليم، إذ تشير تواريخ المواقع التي تمت دراستها إلى وجود اختلاف في زمن الاستيطان بين هذا الإقليم وذاك؛ بل وفوارق زمنية في إطار الإقليم الواحد؛ كإقليم المرتفعات الداخلية المتمثلة بالمرتفعات الشرقية والمرتفعات الوسطى؛ لاسيما في الألف الثالث قبل الميلاد[1].

ب. مرت المستوطنات الكبيرة في المرتفعات الشرقية بمرحلة التمدن؛ غير أن المدينة لم تظهر فيها؛ بل ظهرت أولى نماذج المدينة في مستوطنات عصر البرونز في المرتفعات الوسطى، مثل (سبال) و(حمة القاع)، بمعنى أن ظهور المدينة جاء ضمن سياق تطور تاريخي تدريجي[2]؛ لكنه ليس في إطار الموقع أو المنطقة ذاتها.

ج. تحول النقل الاستيطاني من منطقة إلى أخرى-حتى في إطار الإقليم الواحد-؛ ونموذج هذا التحول يظهر في مستوطنات المرتفعات الشرقية، إذ شكلت النهاية الزمنية لموقع (وادي يناعم١) فيما بين (٢٠٠٠- ١٨٠٠ق.م) نهاية للاستيطان في هذه المنطقة في عصر البرونز؛ فيما يبدو أن هجرة حدثت باتجاه المنطقة الرطبة في المرتفعات الوسطى؛ بسبب عوامل بيئية؛ وبدرجة رئيسة التدهور المناخي وموجة الجفاف الذي ضرب المرتفعات الشرقية مع أواخر الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد[3] *.

٢- وجود ثقافات متعددة؛ غير متزامنة؛ رغم انتمائها-جميعا- لعصر زمني واحد (عصر البرونز)؛ ربما أهمها: ثقافة المرتفعات (الشرقية والوسطى)، وثقافة صبر؛ على امتداد الساحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية حتى مستوطنة صبر، شمال عدن، وثقافة غرب وادي حضرموت (في شبوة)[4].

---

[1]- ينظر العصر البرونزي في إيمينز (وآخر): " جنوب شبه الجزيرة ـ"، ص ٣٨، وكذلك إدريس: " قراءة ـ" ، ص ٢٨٢.

[2]- إدريس: المرجع ذاته ، ص ٢٨٤.

[3]- إيمينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة ـ"، ص٣٢-٣٣. كذلك إدريس: المرجع ذاته ، ص ٢٨٦.

* -لم يكن عامل التغير البيئي والتدهور المناخي- دائما- هو السبب في تحول النقل الاستيطاني والكثافة السكانية من منطقة إلى أخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية، بل هناك عوامل أخرى سيتم التطرق إليها في المواضع المناسبة في إطار هذه الدراسة.

[4]- آمار (وآخر):المرجع السابق، ص ٢٣، كذلك ويلكنسن: " آثار المرتفعات اليمنية ـ"، ص ١٢١-١٢٢، أيضا إدريس:المرجع السابق، ٢٨٥.

٣- انتظام المسافات الفاصلة بين المستوطنات في إطار الإقليم أو المنطقة ذاتها؛ كالمستوطنات الكبيرة (القرى) في المرتفعات الشرقية التي فصلت بينها مسافة تتراوح بين ٢-٣ كم[1]، كما أن مدن المرتفعات الوسطى في عصر البرونز تموضعت في مواقع تُعد نقاط تقاطع خطوط التواصل بين المناطق[2]؛ وهما أمران يمكن قراءتهما بما يلبي حاجة المجتمعات للتواصل بعضها ببعض، تحقيقًا لإقامة العلاقات، وكذلك التحكم بمفاصل طرق التجارة[3]- كما جاء أعلاه-.

٤- التخطيط البنائي لقرى المرتفعات الشرقية، وما احتوته من غرف متعددة الأغراض وباحات[4]، وكذا الأسوار التي أحاطت المدن في المرتفعات الوسطى، بالإضافة إلى بناء المدرجات الزراعية[5] وحمايتها، يضاف إليها وجود مخازن حفظ الغلال[6]، وساحات صناعة الفخار، وورش العمل التي كشفت عنها الدراسات الأثرية في مناطق متعددة من جنوب شبه الجزيرة العربية؛ جميعها مظاهر لاتدل على وجود نظام اجتماعي جماعي في مستوطنات عصر البرونز فحسب؛ بل أيضًا تُبرز الافتراض بوجود سلطة فيها[7]؛ نمت وتطورت مع تطور هذه المجتمعات، وتعقد طبيعة العلاقات الاجتماعية التي نظمت حياة سكانها.

إذًا؛ لم يكن ظهور ممالك اليمن القديمة- كشكل سياسي/اجتماعي أكثر تطورًا- أمرًا فجائيًا؛ فمن خلال ما تقدم؛ فإن حضارة عصر البرونز؛ بتعدد ثقافاتها، وتراكم الخبرات فيها؛ صبت مداميك القاعدة التي قامت عليها هذه الممالك؛ وكان قيامها-بالضرورة-

---

[1] - إيدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٢٥، كذلك إدريس: " قراءة..."، ص ٢٨٥.

[2] - دي ميجريت: " الخاتمة..."، ص ١٣٧ ، كذلك إيدينز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٣٢.

[3] - دي ميجريت: المرجع ذاته، ص ١٣٧ ، كذلك إيدينز (وآخر): المرجع ذاته، ص ٣٢.

[4] - دي ميجريت: "عصر البرونز في المرتفعات" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص٣٥، كذلك إيدينز (وآخر): المرجع السابق، ص ٢٤، أيضًا إدريس: "قراءة..."، ص ٢٨٥.

[5] - إيدينز (وآخر):المرجع ذاته، ص ٢٥، كذلك إدريس: المرجع ذاته، ص ٢٨٥.

[6] - دي ميجريت: "عصر البرونز..."، ص ٣٥، إيدينز (وآخر):المرجع ذاته، ص ٢٥، كذلك إدريس: المرجع ذاته، ص ٢٨٥.

[7] - سلطة تعمل على تنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين أفراد تلك المجتمعات، ربما وشائج القرابة والنسب كانت سببًا لظهورها، وقد يكون الامتثال للمعتقدات الدينية دخل في ذلك.

استجابة منطقية للتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهده جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية عصر البرونز؛ فكان لابد للمشهد السياسي أن يواكب ذلك التطور-كما سيأتي لاحقا-.

موضوعان غاية في الأهمية يقفان عائقا كبيرًا أمام من يتصدى لدراسة قيام ممالك اليمن القديمة؛ هما: زمن ظهور هذه الممالك، وأساس قيامها،الحقيقة أن صعوبة دراسة هذين الموضوعين وتباين النتائج التي يتوصل إليها الباحثون بخصوصهما؛لاتكمن- فقط- في شحة الأدلة المادية وقلة المعطيات الأثرية المكتشفة بفضل جهود بعثات الآثار ودراساتهم-حتى الآن- التي من المفترض أن تساعد الباحثين في وضع تصورات مقبولة حولهما؛ ولكن تكمن- كذلك- في أمور عديدة لاسبيل لتجاهلها، ربما أهمها:

١- اختلاف زوايا نظر الباحثين إلى هذين الموضوعين؛ ذلك لأنهما مسألتان حمّالتان أوجه؛ بحيث ينظر الباحثون باتجاههما كلّ من زاويته؛ فتكون المحصلة طرح أراء ووجهات نظر متعددة حولهما.

٢- البُعد الزمني الطويل الذي يفصل الحاضر عن زمن البدايات الأولى للممالك اليمنية القديمة.

٣- تعدد اتجاهات كتابة التاريخ؛ كمحصلة لواقع تطور الفكر التاريخي، وتقدم المناهج البحثية وتشعب أدواتها، الأمر الذي يظهر تباين واختلاف في تفسير الأحداث التاريخية لدى المؤرخين بحسب رؤاهم الفلسفية والأيديولوجية لتلك الأحداث، وكذا بحسب انتمائهم للمدارس التاريخية المختلفة[1].

---

[1] - للمزيد حول تطور الفكر التاريخي ومناهج البحث يُنظر المراجع التالية: كاسيرر، أرنست: في المعرفة التاريخية، سلسلة الألف كتاب الثاني (٢٦٥)، الطبعة الثانية، ترجمة د.أحمد حمدي محمود، مراجعة علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧. كذلك قاسم، عبده قاسم: في تطور الفكر التاريخي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٤م. أيضًا الحلواني، سعد بدير: تاريخ التاريخ، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، الطبعة الثانية، جامعة الملك خالد، أبها (السعودية) ١٩٩٩م. بالإضافة إلى جرامون، روبرت لافون: التاريخ، سلسلة قضايا الساعة (٣)، ترجمة نادية الفياني، مراجعة رضا إبراهيم، مؤسسة الأهرام، القاهرة بـ

٤- عدم وجود معايير محددة، ومتفق عليها يمكن للباحثين الاعتماد عليها في تحديد زمن بداية بعينة ليس فقط لقيام الممالك؛ وإنما لكثير من التطورات الحضارية؛ لاسيما فيما يتعلق بعصور قبل ظهور الكتابة، حيث تنعدم (وثائق التأسيس) التي عرفتها العصور التاريخية - لاحقاً- على سبيل المثال: زمن محدد لبداية ثقافات هذا العصر أو ذاك، أو الزمن الدقيق لبداية التمدن ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجود تباين واضح بين الباحثين في استخدام المصطلحات والمفاهيم عند الحديث عن أسس قيام الممالك- شأنهم في ذلك شأن حديثهم عن أسس قيام الحضارة-، وعدم التفريق بينها وبين عوامل الازدهار والتطور، بالإضافة إلى المفارقات الواضحة التي تظهر لديهم عند صياغة موضوعات دراساتهم، إذ يتم استخدام مفردات مختلفة للتعبير عن مسألة واحدة؛ مما يفضي-بالضرورة- إلى تفسيرات ونتائج متباينة[1].

[1] - للمزيد حول هذه الإشكاليات ينظر الهبلي، أحمد: " الحضارة اليمنية القديمة، عن أساسها وعوامل تطورها الرئيسية"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، العدد (٢٥) السنة الرابعة، صنعاء أغسطس/سبتمبر ١٩٩٦، ص ١٠-١٢.

## المبحث الثاني: التجارة وزمن نشأة ممالك اليمن القديمة.

عودة على بدء؛ فإنه إن تكن الدراسات الأثرية قد أوضحت أن الجذور الحضارية لممالك اليمن القديمة قد نمت في أحشاء ثقافات عصر البرونز[1]؛ يصبح من غير المقبول الركون إلى نقوش تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وبعده قليلا[2] - لمجرد أنها نقوش تتحدث عن ممالك قوية؛ ترسل جيوشًا وحملات بغرض التوسع والسيطرة -؛ لجعلها دليلا يحدد زمن قيام الممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية[3]؛ دون التفكير بوجود تسلسل تاريخي منطقي لقيامها ونموها حتى وصلت إلى هذا المستوى من القوة[4]؛ وهو ما يفترض أنه أخذ وقتًا ليس بقصير.

في الواقع إن قلة الدراسات وغياب الأدلة المادية- حتى الآن- لايمكن أن يكون سببًا كافيًا يمنع افتراض أو استنتاج البداية الحقيقية لهذه الممالك؛ طالما أن هناك الكثير من الشواهد التي قد تسمح بافتراض تاريخ أقدم لنشأتها؛ ربما يمتد إلى بداية العصر التاريخي على الأقل، وفي السطور التالية استعراض لهذه الشواهد على النحو الآتي:

### أولا: شاهد ثقافي- حضاري:

**ظهور الكتابة:** ظهرت الكتابة الأبجدية في جنوب شبه الجزيرة العربية في زمن ما يتراوح بين القرن الثاني عشر والعاشر ق.م[5]، وظهورها في هذا الوقت يوحي بوجود استقرار سياسي؛ وسلطة لاتقل عن سلطة مملكة أو ممالك أو على الأقل ممالك مدن لكي

---

1 - إيدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٢ و ص٦٩.

2 - النقوش التذكارية الملكية.

3 - يُنظر على سبيل المثال، عربش، منير و أودوان، ريمي: اكتشافات أثرية جديدة في محافظة الجوف، عملية إنقاذ فرنسية- يمنية مشتركة في موقع السوداء (لشان قديمًا) معهد المدينة ١، تقرير أولي، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٥. كذلك عربش، منير: "رؤى جديدة لكتابة تاريخ مملكة قتبان من خلال الآثار والنقوش"، في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثالث، صنعاء ٢٠٠٦م، ص٦١. أيضًا صالح، عبدالعزيز: تاريخ شبه الجزيرة العربية...، ص ٤٩.

4 - إيدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٤٥.

5 - دي ميجريت: "فجر التاريخ..."، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص٥١، كذلك روبان، كريستيان: " التسلسل التاريخي ومشكلاته"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص٩٣، أقدم الكتابات المكتشفة - حتى الان- ظهرت على السطوح الخارجية لمجموعة من الأواني تمّ العثور عليها في مواقع (حفري) في بلاد الدريب، جنوب غرب مأرب، يُنظر دي ميجريت:المرجع ذاته، ص٥٠-٥١، وكذلك في موقع حجر الريحاني في وادي الجوبة، يُنظر إيدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٤٩. في الواقع؛ هذه الكتابات تبتعد كثيرًا- من الناحية الزمنية- عن زمن أوائل النقوش المعروفة بـ(النقوش التذكارية) المؤرخة بأواسط القرن الثامن قبل الميلاد، يُنظر برون، فرانسوا:" لشذ وصيرورة أبجدية جنوب الجزيرة العربية"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص ٥٥، كذلك روبان: "التسلسل..."، ص ٦٠. في هذا الموضوع؛ تتحدث جاكلين بيرن حول العثور على كتابات تعود لعصر قبل الكتابات التذكارية؛ غير أنه بحكم التتاعها بنظرية التسلسل التاريخي القصير التي وضعتها؛ لاتعطي زمن لظهور الكتابة التذكارية ابعد من القرن الخامس قبل الميلاد، للمزيد يُنظر بيرن، جاكلين: "الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص١٥-٢١.

تتهيأ كل الظروف لظهور هذا الابتكار غير العادي؛ الذي أدخل المنطقة عصرًا جديدًا، ودافع القول بضرورة وجود استقرار سياسي واضح - بحجم ممالك -؛ لكي يظهر هذا الابتكار وينمو؛ كونه تطورًا ثقافيًا جاء بتأثير خارجي؛ إذ أن الكتابة انتقلت فكرتها من مناطق نشأتها في سورية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق قيام العلاقات بين المنطقتين، ومن هنا فإن وجود ممالك في هذا الوقت- وقت ظهور الكتابة- في المنطقة موضوع الدراسة يُعد أمرًا مقبولا كونها-الممالك- هي من ستتولى وتتكفل وتنظم قيام العلاقات مع منطقة عرفت وجود الممالك، ولاشك في أن التجارة كانت أهم تلك العلاقات بين هتين المنطقتين؛ لاسيما وأن التجارة لم تكن- ولازالت- مجرد بيع وشراء ولكنها وسيلة فعّالة في نقل الأفكار والثقافات[1].

وفي هذا الإطار؛ فإن العثور على نقوش خشبية تعود أقدمها- حتى الآن- إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ومنها نقش يصنف ضمن مجموعة نقوش ميونخ الخشبية، وهو عبارة عن نقش قانوني يحرّم الوأد؛ أنما تدل على أن الكتابة الأبجدية قد بدأت قبل هذا الزمن بكثير، فاستخدام الخشب كوسيلة للكتابة يبدو أنه ظهر بعد استخدام الحجر بمراحل[2]، كما أن النقش ذاته الذي يتحدث عن قانون يحرم الوأد، هو الآخر يُعد دليلا على استقرار سياسي وثقافي بعيد المدى زمنيًا، بحيث تتمكن الممالك من إصدار القوانين التنظيمية ويبتدع إنسانها مادة جديدة للكتابة؛ سيما وأن الكثير من تلك النقوش عبارة عن مراسلات[3].

**ثانيًا: شاهدان سياسيان:**

**١. الحروب في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد:**

---

[1] - كانت التجارة الأرامية من الأسباب الرئيسة لانتشار اللغة الأرامية في منطقة واسعة من العالم القديم؛ لدرجة أن البعض عدّها مصدر نشأة الأبجدية في العديد من المناطق، يُنظر مرعي: المرجع ذاته، ص١٥٩-١٦٠، كذلك هبّو، أحمد أرحيّم: تاريخ الشرق القديم، سورية (١)، الطبعة الثانية، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، صنعاء ١٩٩٩م، ص٢٦٩-٢٧٠.

[2] - المرقطن، محمد: "النقوش الخشبية القديمة: مصدر هام لدراسة التاريخ الحضاري لليمن القديم"، في حوليات يمانية، العدد الثاني، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٣م، ص٣٤.

[3] - للمزيد يُنظر المرقطن: المرجع ذاته، ص ٣١-٣٩.

في نقشين يعود أولهما إلى بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وربما أواسطه[1]، وآخرهما نقش النصر (RES 3945) (GL1000 A)[2] الذي يعود زمنيًا إلى الربع الأول من القرن السابع قبل الميلاد[3]؛ هناك أدلة صريحة على أن جنوب شبه الجزيرة العربية شهدت وجود ممالك كبيرة وقوية في هذا الزمن وذلك بالاعتماد على الآتي:

١- يشير النقشان بأن مملكة سبأ أرسلت جيوش قوية- النقش الأول جيوش باتجاه الشمال والنقش الثاني جيوش باتجاه الجنوب والجنوب الغربي وكذلك الشمال- بغرض ضرب الممالك وتأديبها.

٢- يشير نقش النصر إلى أن أوسان-آنذاك- كانت مملكة قوية وكبيرة، بحيث يتفاخر كرب إيل وتر بنصره الكبير عليها؛ إذ كانت مملكة أوسان قد توسعت وامتدّ نفوذها إلى مناطق واسعة في الجنوب؛ مسيطرة على الساحل الجنوبي، فكان توسعها على حساب جارتيها مملكة حضرموت ومملكة قتبان، وغدت تهدد أراضي ومصالح مملكة سبأ ذاتها.

وعليه، يتضح أنه- على الأقل- منذ الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد شهد جنوب شبه الجزيرة العربية وجود ممالك قوية ناضجة بحيث تدخل في صراعات مدمرة، تستخدم فيها جيوش كبيرة بغرض الحسم الميداني والتوسع وبسط النفوذ، غير أن قيام هذه الممالك وتطورها حتى وصلت إلى هذا المستوى من القوة في هذا الوقت؛ لابد أنه أخذ زمنًا طويلا على كل حال؛ إذ لايستبعد سيادة مرحلة من الوئام والسلم - وهي المرحلة المفترضة للبناء والنمو- بين الممالك استمرت وقتًا طويلا، قبل دخولها في تنافس ثم صراع؛ تطور إلى حروب بينها؛ ففي هذه المرحلة السلمية تمكنت تلك الممالك من بناء مدنها وتسويرها والاهتمام بالموارد الاقتصادية؛ من زراعة وتربية الحيوانات وغيرها؛ إذ يورد ( نقش النصر) كيف أفرط السبأيون في إحراق المدن والعواصم، وهدم الأسوار،

---

[1] - نقش جديد من صرواح لم يُنشر بعد، للعالم روبرت نيبيس اتصال شخصي مع الدكتور عبد الله الشوبة بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠٠٧م.

[2] - نيبيس، نوربرت: " كرب إيل وتر، أول موحد لليمن"، في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص ٩٥. كذلك الفالزيني، اليساندرا: "النفوذ القتباني"، في الكتاب ذاته، ص٩٨.

[3] - نيبيس، نوربرت: " كرب إيل وتر...، ص٩٥.

وكيف أنهم ساقوا آلاف الحيوانات والماشية، وفيه أيضًا يتفاخر كرب إيل وتر بأنه أسر الملوك وزعماء القبائل، وحول الكثير من سكان المناطق التي غزاها في حملاته الثمان إلى عبيد[1].

ومن هنا؛ فإن افتراض قيام هذه الممالك في زمن يبعد كثيرًا عن زمن هذين النقشين يُعد أمرًا ممكنًا.

٢. النصوص الأشورية:

تورد النصوص الأشورية اسمي اثنين من حاكم سبأ، إذ ذكر سرجون الثاني (٧٢٤-٧٠٥ ق.م) في كتاباته أنه في السنة السابعة من حكمه تلقى الجزية[2] من عدد من الملوك من ضمنهم (يثع أمر) السبئي، في حين ظهر اسم كرب إيل في نص لسنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) يشير فيه أنه تلقى هدايا من كرب إيل (كريبي ايلو) ملك سبأ[3] بمناسبة وضع حجر الأساس لبناء (بيت-أكيتو)[4]، - مبنى يتم فيه الزواج المقدس- توحي هاتان الإشارتان بأنه كان لمملكة سبأ في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد علاقات غير عادية مع مملكة آشور؛ التي امتد نفوذها-آنذاك- إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط[5]، ومن ثم؛ أن تصبح لمملكة سبأ في هذا الوقت علاقات مع المملكة الآشورية؛- رغم بُعد

---

[1] -ينظر دراسة نقش النصر (RES 3945)- (GL 1000A) في كتاب العتيبي، محمد بن سلطان: التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، الطبعة الأولى، وكالة وزارة التعليم للآثار والمتاحف، الرياض ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٣٧-٤٣، كذلك روبان : "تأسيس إمبراطورية..."، ص ٩١-٩٢.

[2] - لعلها هدية وليست جزية- رغم أنها قد تكون وردت بلفظة جزية-؛ فربما حدث خطأ في صياغتها؛ لاسيما أنها جاءت في النص بعد أن عدد سرجون مجموعة من المناطق؛ قام جيشه بتأديبها في تلك السنة، كما أن المملكة الأشورية كانت تتلقى الجزية من الكثير من الشعوب والمناطق في زمن هذا الملك؛ بعد أن صارلها نفوذًا في مناطق واسعة من الشرق القديم (جزء من إيران وكل سورية حتى حدود مصر)، غير أنه لم يتجه نحو جنوب شبه الجزيرة العربية، فأية جزية تدفعها مملكة لمملكة أخرى؛ لم يكن بينهما حرب، أو احتكاك، أو حتى تهديد؛ ما لم تكن تلك الجزية بمثابة ضريبة لتسهيل مصالحها . في الواقع أكانت جزية أم ضريبة، أم هدية؛ المهم في الأمر أنها تعد مؤشرًا عن أن سبأ في ذلك الوقت كانت مملكة كبيرة.

[3] - علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين (بيروت) ومكتبة النهضة (بغداد)، ١٩٧٦م، ص ٥٨٥، ص ٢٨٩.

[4] - ليبس؛ " كرب إيل ... "، ص٩٥.

[5] هناك من يرى – منهم جواد علي- أن (يثع أمر السبئي) و(كرب إيل) ملك سبأ لم يكونا سوى سبئيين أو أميرين سبأيين نزحا إلى شمال شبه الجزيرة العربية، ومهما يكن الأمر؛ فإن ذلك لايقلل من حجم ومكانة مملكة سبأ بل على العكس إذ ان اتخاذهما لاسمين مشابهين لاسمي ملكين من ملوك سبأ مع قدرتهما على دفع هذا الكم من الجزية والهدية، لهو دليل على المكانة الكبيرة لهذين الملكين ومملكتهما في ذلك العهد.

المسافة بينهما-؛ فذلك يعني أن شأنها قد بلغ حينذاك مبلغـًا كبيرًا؛ بغض النظر عن شكل تلك العلاقات. مما يسمح-أيضًا- بإفتراض نشأتها قبل هذا العهد بزمن بعيد.

**ثالثـًا :شواهد اقتصادية:**

١- **حجم الثروات**: تكفي العودة إلى أوائل النقوش التذكارية؛ لاسيما نقش النصر لكرب إيل وتر لمعرفة-ولو بطريقة غير مباشرة- حجم الثروات التي كانت تمتلكها الممالك اليمنية - على الأقل- في نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع قبل الميلاد، وفي الأسطر التالية توضيح لبعض الأدلة التي تشير إلى حجم تلك الثروات على النحو الآتي:

أ- تجريد كرب إيل وتر لثمان حملات، وإرسالها إلى معظم أقاليم جنوب شبه الجزيرة العربية؛ لاشك إنها احتاجت منه الكثير من الإمكانيات المادية، والأموال الهائلة لتحقيق أهدافها، مما يدل على وضع اقتصادي ممتاز ومستقر تمتعت به مملكة سبأ في هذا الوقت.

ب- الحجم الكبير للأموال والغنائم التي كسبها كرب إيل وتر من هذه الحملات[1]؛ لاسيما التي عاد بها من مملكة أوسان والأراضي التابعة لها؛ هو الآخر يعطي انطباع واضح حول مقدار الثروات التي كان يتمتع بها الأوسانيون[2] قبل قدوم جيوش السبائيين وحلفائهم ، والأمر ذاته ينطبق على المدن أو ممالك مدن الجوف.

ج- كتابات كرب إيل وتر تخلد منجزاته المادية المختلفة؛ إذ تذكر المدن الذي حصنها، والصروح التي بناها، وتنظيمات الري التي أنشأها، وهي إنجازات لن يحققها حاكم مالم تكن تحت سلطة مملكته إمكانيات مادية كبيرة، وفي هذا الصدد يفاخر كرب إيل وتر ببنائه الأجزاء العليا لقصر سلحين بالحجارة وتسويره[3]، وهذا يعني أن القصر كان في الأصل

---

[1] - يتحدث نقش النصر عن مئات الآلاف من الحيوانات، أنها جمال وبقر وحمير، وعشرات الآلاف من السبي والسرى معظمهم تحولوا إلى عبيد، ناهيك عن مواد ثمينة أخرى بالإضافة إلى ضم الكثير من الأراضي الزراعية، للمزيد ينظر روبان: "تاسيس إمبراطورية..."، ص٩١-٩٢، كذلك العكبي: التنظيمات...، ص ص ٢١، ٢٣. رغم مايبدو من مبالغة في الأرقام الواردة في النقش.

[2] - يضاف إلى ذلك ما ذكره النقش من تدمير لقصر أوسان في مسور، وحرق وضرب للمدن والأسوار والأراضي، كل ذلك يؤكد الإمكانيات الاقتصادية الهائلة لمملكة أوسان.

[3] - روبان: "تاسيس إمبراطورية..."، ص٩١.

موجودًا قبل ذلك، وهو - بالطبع-أمر مهم في إطار الحديث عن زمن أبعد لقيام الممالك اليمنية القديمة.

د- سير الحملات السبئية وتفاصيلها ونتائجها توحي بأن أهدافها لم تكن أهداف سياسية فحسب؛ بل واقتصادية أيضًا؛ وربما كان إعادة توازن السيطرة على طرق التجارة بين الممالك، والحصول على موارد أخرى من أهم أهدافها اقتصادية[1].

أن الحديث عن اقتصاديات قوية للمالك اليمنية في نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع قبل الميلاد، وامتلاك تلك الممالك لثروات طائلة إنما هو حديث عن ممالك ناضجة مرت بزمن طويل من النمو والبناء؛ وهو بالتأكيد أمر يصب في اتجاه افتراض النشأة المبكرة لها.

**٢-قيام التجارة البرية:**

في الواقع لايمكن في الوقت الحاضر الحديث عن زمن محدد يمكن اعتماده؛ كبداية لاستخدام الطرق البرية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية باتجاه المناطق الشمالية في نقل السلع والبضائع مع غياب الأدلة المادية على ذلك، إلا أنه هنالك العديد من الوقائع التاريخية التي قد توفر الجراءة المطلوبة لافتراض أن التجارة وسلع جنوب شبه الجزيرة العربية قد طرقت هذه الدروب منذ فجر التاريخ-على الأقل منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد- وأهم تلك الوقائع:

**أ. معرفة شعوب الشرق الأدنى القديمة للبخور[2]:** ليس بجديد القول أن البخور شكل سلعة مهمة في تجارة جنوب شبه الجزيرة العربية في تاريخها القديم؛ بل ربما كان أقدم المحاصيل النقدية الذي ضمّنه جنوبيو بلاد العرب قوام سلعهم المتجهة نحو مناطق العالم القديم؛ لاسيما مناطق الهلال الخصيب ومصر.إن أقدم النصوص العراقية التي ذكرت البخور؛ باعتباره مواد تستخرج من الأشجار تعود إلى عهد السومريين (٣٢٠٠ ق.م)،

---

[1] -روبان: "تاسيس إمبراطورية..."، ص٩١. ايضا نبيس:" كرب إل وتار..."، ص٩٦-٩٧.

[2] -البخور هو كل ما يحرق ويعطي رائحة طيبة، كاللبان والمر مثلا.

وفي زمن لاحق صارت النصوص هناك تشير إلى البخور؛ كمواد مطلوبة من قبل الحكام ورجال الدين[1].

إن استعمال مصر الفرعونية للبخور هو الآخر موغل في القدم؛ إذ ربما كان السبب الرئيس لتجريد الفراعنة للبعثات وإرسالها إلى (بلاد بونت) منذ عهد الفرعون ساحورع؛ ثاني فراعنة الأسرة الخامسة التي حكمت بين (٢٥٦٠-٢٤٢٠ ق.م)[2]، هو الحصول على البخور؛ من لبان ومر وبعض الصموغ، إلى جانب جلبهم لمواد أخرى تزخر بها هذه المنطقة كالحيوانات أو جلودها، والأحجار شبه الكريمة والعاج وغيرها[3].

يبدو أن المصريين قد استعملوا البخور بأنواعه لأغراض متعددة منذ ذلك الزمن المبكر؛ إذ أن حرق اللبان كان جزءًا مهمًا من المراسيم الجنائزية في مصر الفرعونية؛ بحيث يتقدم أحد الكهنة الموكب الجنائزي المهيب للفرعون حاملا مواقد (مباخر) حرق اللبان أثناء رحلته المقدسة باتجاه مثواه الأخير[4]؛ كما تظهر (متون الأهرام)[5] أهمية أخرى

---

[1] - الحمد،جواد مطر: الأحوال الاجتماعية...، ص٤٧٣.

[2] -صالح، عبدالعزيز: " تاريخ العصور القديمة (الفرعونية) حتى نهاية الدولة القديمة"، ضمن كتاب رمضان، عبدالعظيم: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، سلسلة تاريخ المصريين (١٠٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص٨٦.

[3] - هناك من يرى أن العلاقة بين مصر وبلاد بونت ذات جذور قديمة، لكنها أضحت أكثر وضوحًا في عهد الفرعون ساحورع؛ إذ رسم فناتو عهده أحداث بعثته على جدران معبده في أبي صير، كما ورد ذكر هذه البعثة في نصوص حجر بالرمو- موجود في متحف مدينة باليرمو في صقلية- يُنظر فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، مختارات من الوثائق التاريخية، الطبعة الثانية، مكتبة النجلو مصرية، الجزء الأول (مصر العراق)، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٩٠م، ص١٤١-١٤٢.

[4] - ايشتنبرج، روجيه و دوانان، فرانسواز: المومياات المصرية من الموت إلى الخلود، ترجمة ماهر جويجاتي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٠٠.

[5] - نصوص لطقوس جنائزية؛ تخص ملوك مصر في الدولة القديمة منذ أوناس أو (ونس) آخر ملوك الأسرة الخامسة حتى (ببي الثاني) الملك الخامس- الملك قبل الأخير في هذه الأسرة-؛ إذ كُتبت على جدران حجرات الدفن في أهرامات هؤلاء الملوك، في زمن بين ٢٤٣٠-٢٢٦٠ ق.م تقريبًا، وهي عبارة عن تراتيم، وابتهالات، وتعاويذ سحرية الغرض منها تأمين ميلاد جديد للملك المتوفى ومساعدته على الوصول إلى مكان إقامته الأبدي. يُنظر صالح: الشرق الأدنى القديم...، ص١٤٠، أيضًا ايشتنبرج (وآخر): المرجع ذاته، ص٢٣.كذلك لويت، كليرلا: الأدب المصري القديم، سلسلة كتاب الفكر (١٦)، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة د.طاهر عبدالحكيم، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م، ص٨٩.

اللبان ضمن هذه المراسيم؛ فبعد تطهير الملك المتوفى يصعد إلى السماء بوسائل مختلفة منها: أنه يصعد فوق دخان اللبان العظيم المحترق[1]. أما المر فقد كان يستخدم في تحضير المواد البلسمية التي يملؤون بها بطن المتوفى بعد إفراغها من الأحشاء[2].

شهد القرن العاشر قبل الميلاد- على الأقل- حضور البخور في المملكة العبرانية، إذ كان ضمن الهدايا التي أحضرتها ملكة سبأ لسليمان، وتذكر التوراة استخدمه بكثرة في هذا الزمن[3]،إلا أن ذلك لايمنع معرفة العبرانيين له من قبل لقربهم من الحضارة المصرية واحتكاكهم بها[4]، وكذا تعاملهم مع الحضارات العراقية القديمة.

رغم أن أشجار البخور تنمو في مناطق متعددة في شمال أفريقيا وساحل الهند الغربي إلا أن ظفار حضرموت- في عمان اليوم- كانت تنتج أجود أنواع البخور وبكميات غزيرة[5].

---

[1] -لويت: الأدب المصري القديم...،ص٨٩.

[2] - ليشتنبرج (وآخر): المومياات المصرية ...، ص٢٣، الحديث هنا عن استخدام المصريين المبكر للبان والمر؛ إذ - دون شك- كغيرهم من عوالم البحر المتوسط استخدموا البخور فيما بعد لأغراض أخرى؛ لعل أهمها: حرق اللبان بكثرة في الطقوس الدينية اليومية في المعابد (طقوس الصباح، طقوس الظهيرة، طقوس المساء)، كما كان يقدم كقرابين للالهة، ويتم التهادي به، ويحرق كذلك في الاحتفالات الدينية والعامة، أم المر فقد دخل في تراكيب الأدوية فيما بعد، كما دخل اللبان في صناعة العطور والطيوب، يُنظر: عبدالله، يوسف محمد: أوراق...، ص ٣١٥، ولمزيد من التفصيل حول أهمية البخور في الحياة اليومية للمصريين يُنظر: علي، رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، الجزء الثالث (دول الخليج العربي- شبه الجزيرة العربية -اليمن)، الطبعة الأولى، دار نهضة الشرق للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣٨٣-٣٩٠.

[3] -يُنظر التوارة: سفر الملوك الأول، الأصحاح العاشر، الأية ٢، والأصحاح الحادي عشر، الأية ٨.

[4] -دراز، أحمد محمد عبدالحليم: مصر وفلسطين فيما بين القرنيين الحادي عشر والثامن ق.م، سلسلة تاريخ المصريين (٢٣٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢٦٧.

[5] - فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٦٣م، ص ١٣٩، كذلك صالح، عبدالعزيز: تاريخ شبه الجزيرة...، ص٣٨، أيضا

Groom, Nigel:" Trade, Incense, and Perfume", in Gunter, Ann C.(ed): CARAVAN KINGDOMS, YEMEN AND THE ANCIENT INCENSE TRADE,the Freer Gallery of Art and Arthur M. Sackler Gallery, Smithsonian Institution, Washington D.C., June 25-September 11.2005,p.107.

**ب. استخدام الجمل كوسيلة لنقل السلع والبضائع:** على الرغم عدم الاتفاق حول البداية؛ إلا أن فجر التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية -على مايبدو- قد شهد استخدمه لهذا الغرض[1]؛ لاسيما وأن هناك من يفترض أن جنوب شبه الجزيرة العربية هي مناطق ترويضه[2]؛ لينتشر خارجها بعد ذلك.

وللاستدلال على أن الجمل كان حاضرًا كوسيلة للنقل في هذا الزمن نتتبع الأحداث التالية في تتتابع تنازلي زمنيًا من الأحدث إلى الأقدم:

- بداية القرن السابع قبل الميلاد؛ يبدو أن أعداد الجمال كان كبيرًا في جنوب شبه الجزيرة العربية، إذ ورد في نقش النصر أن كرب إيل وتر عاد من حملته على مناطق مهامر وأمير بألآف المواشي (٢٠٠,٠٠٠) جمالا وبقرًا[3].
- منتصف القرن التاسع قبل الميلاد (٨٥٣ ق.م تقريبًا)، جندب العربي مع ألف مقاتل على الجمال يشترك في الحلف الذي دخل معركة قرقر[4]؛ ضد الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)[5].
- بداية القرن التاسع قبل الميلاد، مملكة خيندانو (المدينة المملكة)[6] قدمت الجمال والمر والمنسوجات المصبوغة باللون الأرجواني وحجر المرمر للملك الأشوري توكولتي نينورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق.م)، كما جاء في كتاباته؛ إذ تُعد هذه المملكة محطة

---

[1] -صالح، عبدالعزيز: تاريخ شبه الجزيرة...، ص٢٤، وص٣٨. كذلك

Bowen, R.L:" Ancient Trade Routes in South Arabia ", in Bowen, R.L. and Albrigt, F.P.: Archaeological Discoveries, (AFSM), Baltimore 1958,p.35.

[2] - لمعرفة مؤيدي هذا الرأي يُنظر: عبدالله، يوسف محمد: "مدخل" في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص١٥، كذلك النعيم، نورة عبدالله: الوضع الاقتصادي...، ص١٥٨، أيضًا الحمد: الأحوال الاجتماعية...، ص٤٤٢، بالإضافة إلى العمري، هادي صالح: طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٢٩.

[3] - روبان: "تأسيس إمبراطورية..."، ص٩١، كذلك نيبس:"كرب إيل ..."، ص ٩٥.

[4] - قرقر مدينة لاتبعد كثيرًا عن شمال (حماة) السورية، وقعت عندها المعركة بين الجيشين ، يُنظر علي، جواد: المفصل...، الجزء الأول، ص٥٧٥.

[5] - علي، جواد: المرجع ذاته، ص ٥٧٤-٥٧٦، كذلك الأنصاري، عبدالرحمن الطيب: تيماء (ملتقى الحضارات)، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور (٢)، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠٢م، ص١٦.

[6] - قرب مدينة البوكمال السورية على الحدود مع العراق، يُنظر شيبمان: تاريخ الممالك...، ص٧٣.

لإلتقاء القوافل التجارية المتحركة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وسورية منذ (١٠٧٠ ق.م)[1]؛ ففي نص أشوري يرد أن قافلة قادمة من تيما، وسبا يستولي عليها حاكم سوخو و ماري (على الفرات الأوسط) وذلك في موقع قريب من خيندانو؛ إذ يبدو أنها كانت متجهة إليها[2].

- القرن العاشر قبل الميلاد، زيارة ملكة سبأ مع حاشيتها الكبيرة إلى الملك سليمان في عاصمة مملكته أورشليم،" فوصلت أورشليم في موكب عظيم جدًا، وجمال محملة بأطياب وذهب وفير وحجارة كريمة"[3]، بغض النظر عن المنطقة التي أقبلت منها ملكة سبأ؛فإن هذه الزيارة تحمل دلائل واضحة على استعمال الجمال في هذا الزمن، ليس ذلك فحسب؛ بل يبدو أنها قدمت إلى أورشليم في قافلة كبيرة من الجمال، ومن ثم فإن القول بأن الجمل كان مستخدمًا قبل زمن سليمان وملكة سبأ بوقت ليس بقصير كوسيلة للنقل والركوب يبدو أمرًا مرجّحًا.
- القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو قبله قليلا، ظهور الكتابة الأبجدية في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد-بحسب الدليل الأثري حتى الآن- جاء بتأثير العلاقات التجارية بين هذه المنطقة وبلاد سورية[4]، وبما أن المسافة طويلة بينهما، وتتخللها صحراوات واسعة ومعوقات كثيرة، يبدو-مرة أخرى- أن الجمل هو من دلل معوقات الطريق تلك، وخَفَرَ الصحراوات ذهابًا ورواحًا لينقل السلع والبضائع بين المنطقتين في هذا الوقت[5]، وما ينطوي في إطار ذلك من تأثيرات ثقافية.

صحيح أنه لا يمكن تحديد زمن بداية استخدام الجمل كوسيلة للنقل والتنقل؛ غير أن الأحداث المذكورة أعلاه ربما تساعد على قبول حضور الجمل منذ فجر التاريخ في

---

1 -شيبمان: تاريخ الممالك...، ص٧٤.

2 - شيبمان: المرجع ذاته، ص٧٣، كذلك روبان: "تاسيس إمبراطورية..."، ص٨٩.

3 - هكذا وصلت ملكة سبأ إلى أورشليم كما جاء في التوراة: سفر الملوك الأول، الأصحاح العاشر، الآية ٢، كذلك سفر الأخبار الثاني، الأصحاح التاسع، الآية١، وسيتم تناول هذه الزيارة لاحقا كأحدى الشواهد الاقتصادية.

4 - كما جاء أعلاه.

5 - صالح، عبدالعزيز: تاريخ شبه الجزيرة...، ص٢١.

جنوب شبه الجزيرة العربية؛ بل أن هناك من يجد في استخدام هذه المنطقة للجمل في التجارة الخارجية باتجاه المناطق الشمالية (سورية والعراق) تفسيرًا جيدًا للأسباب التي أدت إلى حدوث التغييرات العميقة لسكان جنوب شبه الجزيرة العربية ودخول المنطقة العصر التاريخي؛ فمع الاستمرارية في إرسال الجمل في رحلات تجارية نحو الشمال أصبح المجال مفتوحًا للاتصال بشعوب مناطق الهلال الخصيب وممالكها؛ وكانت المحصلة قيام تجارة برية منتظمة؛ أفرزت تأثيرات حضارية متبادلة؛ ظهرت بموجبها الأبجدية الجنوبية[1]، وربما تأثيرات سياسية ساهمت بنمو المدن؛ لتصبح ممالك مدن وشكلت الأرضية التي قامت على أساسها ممالك اليمن القديمة.

ج. **توقف ملوك مصر (الفراعنة) عن إرسال البعثات* إلى بلاد بونت:** بعد قراءة متأنية لترجمة النصوص المصرية القديمة التي تذكر بلاد بونت منذ عهد الدولة القديمة حتى العهد البطلمي الروماني[2]، يتضح أن إرسال البعثات إلى هذه المنطقة قد توقف بعد حكم الملك رمسيس الثالث الذي امتد ٣١ عام ؛ فيما بين (١١٨٢-١١٥١ ق.م)[3] ؛ إذ تصمت النصوص التي كُتبت بعد زمن هذا الملك؛ عن ذكر إرسال البعثات إلى بونت؛ مع استمرارها بذكر بلاد بونت باعتبارها المنطقة التي يأتي منها البخور بأنواعه المختلفة إليهم[4].

في هذا الموضوع؛ لاتهتم هذه الجزئية من الدراسة بتحديد موقع بلاد بونت[5]؛ بقدر ما تهتم بمسألة توقف إرسال البعثات التجارية من مصر إليها منذ النصف الثاني من القرن

---

[1] - صالح، عبدالعزيز: تاريخ شبه الجزيرة...، ص٢٥.

* -اعتاد فراعنة مصر إرسال هذه البعثات إلى مناطق مختلفة لجلب ما تحتاجه بلادهم من مواد.

[2] - تمّ جمع أكثر من (٦٢) نص- حتى الآن - ؛ ذُكر فيها اسم بلاد بونت أو إشارة إليها، يُنظر علي، عبده رمضان: تاريخ الشرق الأدنى...، الجزء الثالث، ص٢٨٦.

[3] -صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، ص ٢٥٨ و ص٢٦٣. عالم المصريات الشهير جان فيركوتير أرخ لحكم رمسيس الثالث فيما بين (١١٩٨-١١٠٦ ق.م) يُنظر فيركوتير، جان: مصر القديمة، سلسلة كتاب الفكر (١٧)، ترجمة ماهر جويجاتي، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م، ص١٧٧.

[4] - للمزيد يُنظر النصوص في كتاب علي ، عبده: المرجع السابق، ص٢٨٧-٣٦٤.

[5] - لمعرفة الآراء المطروحة لتحديد موقع بلاد بونت يُنظر: علي، عبده: المرجع ذاته، ص٢٨١- ٢٨٦.

الثاني عشر قبل الميلاد[1]، في ذات الوقت لم يتوقف المصريون عن استخدام مواد البخور في طقوسهم المختلفة، في الواقع مهما كانت أسباب هذا التوقف؛ المهم أن مواد البخور لازالت تتدفق إلى مصر بكميات كبيرة؛ مما قد يوحي بوجود طريق أو طرق أخرى لوصولها إليهم غير طريق البحر؛ التي اعتادت بعثاتهم أن تسلكه لبلوغ بلاد بونت. وبالنظر إلى الوقائع التاريخية المذكورة أعلاه والتي تدعم قيام التجارة البرية من جنوب شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال؛ في وقت يدور في إطار هذا الزمن يصبح من الجائز التفكير في الافتراضيين التاليين، أو أحدهما على الأقل:

<u>الافتراض الأول</u>: توقف إرسال البعثات من مصر إلى مناطق البخور -بلاد بونت-،دفع أو شجع المتاجرين بهذه المواد أن يحملوها إلى هناك حتى لايفقدوا منطقة مهمة؛ يعتمدون عليها في تصريف مواد البخور تلك؛ مما قد يعني- بالمقابل- تفعيلا للتجارة البرية في ذلك الوقت؛ سيما وأن التوقف عن إرسال البعثات بدأ مع عهود الرعامسة من الرابع حتى الحادي عشر؛ التي تُعد - في أغلبها-عهود ضعف واضطراب[2].

<u>الافتراض الثاني</u>:وصول مواد البخور إلى مصر عن طريق التجارة البرية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية- المنطقة التي تنتج أجود أنواع البخور وبغزارة[3]-الأمر الذي جنب ملوك مصر عناء تجريد البعثات وإرسالها إلى بلاد بونت للحصول على هذه المواد.

دون شك هذان الافتراضان سيفتحان الباب واسعًا للعديد من الأسئلة، لعل أكثرها إلحاحًا مايلي: <u>ما العلاقة التي تربط بلاد بونت بجنوب شبه الجزيرة العربية</u> ؟ <u>لماذا اتجه الافتراض نحو حصول مصر على البخور عن طريق التجارة البرية بعد توقف ملوكها</u>

---

[1] -الغريب في الأمر أن كينيث كيتشن (K.A.Kitchen) يرى أن بلاد بونت اختفت من التاريخ بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد؛ غير أن المنطقة لازالت تُذكر في الوثائق المصرية حتى العصر الروماني كما جاء أعلاه، يُنظر وجهة نظر كيتشن في: كيتشن، كينيث:"بلاد بونت..."، ص٤٩.

[2] -برستد، جيمس هنري:تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، سلسلة الألف كتاب الثاني (٢٦٨)، ترجمة حسين كمال، مراجعة محمد حسنين الشواربي، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص٤١١، ومابعدها، كذلك صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم...، الجزء الأول، ص٢٦٧.

[3] - يُنظر المبحث ذاته، ص٧٣.

عن إرسال البعثات إلى بلاد بونت ؟ ماهي الظروف التي ساعدت جنوبيي شبه الجزيرة العربية على حمل منتجات البخور إلى المصريين ؟

بطبيعة الحال؛ الإجابة على هذه الأسئلة لن تكون متوفرة من خلال أدلة مباشرة تؤكدها؛ كحقائق تاريخية في ظل غياب المعطيات الأثرية الداعمة، وصمت الوثائق الكتابية عن الإشارة إليها حتى الآن، بيد أن محاولة الإجابة على تلك التساؤلات لن تكون بتلك الصعوبة؛ إذا ما تمّ إمعان النظر في العديد من الدلالات والإشارات التي يمكن إيجادها- ولو بشكل غير مباشر- في سياق بعض الأحداث التاريخية التي مرت بها تلك المناطق، وفي السطور التالية استعراض لأهم تلك الدلالات والإشارات؛ غير أن هذا العرض سيكون في اتجاهين وذلك بسبب اختلاف الآراء حول موقع بلاد بونت ذاته[1]:

**الاتجاه الأول: سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية أو جزء منها هي ذاتها بلاد بونت أو تدخل في إطارها**، في هذه الحالة يكون ترجيح الافتراضيين المذكورين أعلاه؛ واللذان يدعمان القول بوصول مواد البخور إلى مصر عن طريق التجارة البرية بعد توقف البعثات المصرية؛ مسألة واردة، وسيكون من السهل الوقوف على إجابات تلك التساؤلات؛ فلن يتعدى الأمر عن كونه امتداد للعلاقات التجارية السابقة مع شيء من تبديل الأدوار- بدلا من خروج البعثات التجارية من مصر؛ تتجه تجارات جنوب شبه الجزيرة العربية نحوها- مهما كانت أسباب تبديل الأدوار-، والحيثيات التالية يمكنها أن توضّح هذا الاتجاه:

- معرفة المصريين لمواد البخور المنتجة في جنوب شبه الجزيرة العربية (اللبان، والمر، وغيرها من الاصماغ)، إلى جانب ما يصلهم من البر الأفريقي من هذه المحاصيل.

[1] - للتذكير بتلك الآراء يُنظر هامش ( ٥ ) ص ٧٦، في هذا المبحث.

- احتكاك المصريين بسكان بلاد بونت فيما مضى-أثناء إرسال البعثات- وتبادل الزيارات[1] يجعل من مسألة وصول التجارة من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى مصر أمرًا طبيعيًا بل ومطلوبًا في ظل حاجة مصر والمصريين لمواد البخور.
- لايوجد-حتى الآن- مايشير إلى خروج سفن تجارية من سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية نحو مصر في الوقت ذاته الذي توقف فيه المصريون عن إرسال بعثاتهم التجارية أو بعده قليلا، مما يرجح-في الغالب- الاعتماد على التجارة البرية في إيصال ما يحتاجه المصريون من مواد البخور[2].
- استخدام الجمل في النقل والتنقل، وكذا بداية التواصل مع الشعوب والممالك التي تقع شمال شبه الجزيرة العربية في هذا الوقت- كما جاء أعلاه- يجعل وصول مواد البخور إلى مصر عبر التجارة البرية مسألة ممكنة بعد توقف إرسال البعثات التجارية.

**الاتجاه الثاني: جنوب شبه الجزيرة العربية ليست بلاد بونت أو ليست جزءًا منها**، أي أن موقع بلاد بونت في منطقة ما شمال شرق أفريقيا إلى الجنوب من مصر، وفي هذه الحالة - أيضًا- لن يتعذر الوقوف على ما يمكن أن يؤيد الافتراضيين المقترحين، ويسد الثغرات التي فتحتها التساؤلات أعلاه؛ فمن خلال العلاقة التبادلية التي ربطت البرين (الأسيوي والأفريقي) حول البحر الأحمر وخليج عدن منذ العصر الحجري الحديث[3]؛ والتي -على مايبدو- صارت أكثر وضوحًا وكثافة في عصر البرونز؛ بحسب المعطيات الأثرية

---

[1] - تذكر النصوص المصرية وصول وفد يضم كبار بونت والبلاد الجنوبية في زمن حتشبسوت، كما تشير إلى وصول وفد آخر زمن تحوتمس الثالث (حوالي ١٤٥٨ ق.م)، بالإضافة إلى ذكرها ان الملك حورمحب-الأسرة الثامنة عشر- استقبل كبار بونت ضمن من استقبلهم من رؤوساء البلاد الاجنبية، ينظر النصوص في كتاب علي، عبده رمضان: تاريخ الشرق...، الجزء الثالث، ص٣١٥ ، و ص ٣٢٨-٣٣٦.

[2] -إذا تم العثور مستقبلا على أدلة لاتقبل الشك على إرسال جنوبي بلاد العرب للسفن في هذا الزمن (زمن توقف إرسال البعثات)، سيكون قد توفر دليل قوي آخر على وجود سلطة في هذه المنطقة، لاتقل عن سلطة مملكة أو مملكة قادرة على بناء السفن وإرسالها منذ فجر التاريخ، وهي الإشكالية الرئيسة التي يناقشها هذا المبحث.

[3] - عن العلاقة المبكرة بين المنطقتين ينظر الفصل ( الأول) من هذه الدراسة، ص٥٦-٥٧.

لمستوطنات ثقافة صبر في سواحل جنوب بلاد العرب[1]؛يمكن مناقشة مسألة طول التجارة البرية لجنوب شبه الجزيرة العربية محل البعثات المصرية فيما يتعلق بوصول مواد البخور إلى مصر، وذلك للحيثيات التالية:

- هناك ما يدفع إلى ترجيح حصول البعثات التجارية المصرية على أنواع البخور المنتج في جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق بلاد بونت، فلايستبعد- في ظل العلاقات التبادلية- أن يكون جزء من مواد البخور التي تاجرت به بلاد بونت مع مصر كان يأتي إليها-بلاد بونت- من مناطق جنوب بلاد العرب، وبطريقة ما احتفاظ البونتيون بالسر؛ لاحتكار تجارتها، والمسألتان التاليتان قد تساعدان على قبول ذلك:

١- دأبت النصوص المصرية على نعت مواد البخور (المر واللبان والصموغ) بصفات مختلفة توحي بمعرفتهم واستعمالهم أنواعها المتعددة، كما تحدثت بعض تلك النصوص عن أفضل أنواع المر واللبان وغيرها من المنتجات التي تقدم للمعبودات[2]؛ الأمر الذي يعزز الاعتقاد بأن المصريين عرفوا بخور جنوب شبه الجزيرة العربية[3]- وربما فضّلوه على غيره؛- لاسيما وأن أجود أنواع اللبان كان ينتج في ظفار الشرق[4].

٢- الكميات الوفيرة لمواد البخور التي كانت تصل إلى مصر في زمن البعثات[5]، والاستخدام المكثف لها؛ لاسيما في المعابد التي أصبحت تحوي مخازن خاصة لحفظها[6]، يجعل التساؤل مشروعًا حول إذا كانت بلاد بونت تنتج كل تلك

---

[1] - سبق الإشارة إلى اتجاه مستوطنات الأقاليم الساحلية في جنوب شبه الجزيرة العربية في عصر البرونز نحو البر الأفريقي أكثر من اتجاهها نحو المناطق الداخلية، يُنظر الفصل ( الأول ) من هذه الدراسة، ص٥٨.

[2] - يُنظر النصوص التي تصف جودة البخور في كتاب علي، عبده: تاريخ الشرق....، الجزء الثالث، ص ص ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٠.

[3] - فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق...، ص١٣٩.

[4] تمييزًا لها عن ظفار حمير.

[5] - يُنظر النصوص التي تذكر الكميات الكبيرة من مواد البخور التي تصل مصر في كتاب علي، عبده: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ص ٢٨٧، ٢٩٢، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦ ، ٣١٧، ٣١٨.

[6] - علي، عبده: المرجع ذاته، الجزء الثالث، ص ٣٢٦-٣٢٨.

الكميات، أم أنها كانت تحصل على بعضها من مناطق أخرى – جنوب شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص- لكي توفر للسوق المصرية كل احتياجاتها من هذه المواد[1].

- لايوجد مايشير إلى أنه حدث تغيير في نوعيات مواد البخور المستخدمة في مصر بعد توقف إرسال البعثات[2]، ومع الترجيح أعلاه- مصر عرفت أنواع البخور المنتج في جنوب شبه بلاد العرب- فإن قبول ماتجلبه التجارة البرية من هذه المواد إلى مصر سيكون سلسًا واعتياديًا؛ ولن يحدث أي اضطراب أو مشكلات لدى الطرف المستهلك (مصر) بعد ما تغيرت المنطقة التي يحصل منها المصريون على البخور(أي التغيير من بلاد بونت إلى جنوب شبه الجزيرة العربية).
- بعد توقف البعثات التجارية المصرية لم تشر النصوص المصرية-أيضًا- إلى توجه سفن محملة بمواد البخور من شمال شرق أفريقيا – بلاد بونت المفترضة في هذا الاتجاه- نحو الموانئ المصرية على البحر الأحمر.
- استخدام الجمل في النقل والتنقل، والعلاقات التي نشأت بين جنوب شبه الجزيرة العربية والشعوب والممالك التي تقع إلى شمالها-مرة أخرى- يمكن توظيفهما في هذا الاتجاه؛ على اعتبار أنهما ساهما في تفعيل الطرق البرية، فصار ممكنًا وصول مواد البخور إلى مصر عبر هذه الطرق.

كل تلك الحيثيات يمكن أن تشكل مدخلا مناسبًا للأخذ بالافتراضين المذكورين أعلاه؛ واللذين يشيران إلى وجود نشاط تجاري بري؛ ينطلق من جنوب شبه الجزيرة

---

[1] - يرى د.عبدالعزيز صالح أن أحد أهداف بعثة حتشبسوت إلى بلاد بونت هو الوصول إلى مناطق اللبان في جنوب شبه الجزيرة العربية، غير أن حاكم بونت خشيَ أن ينفتح الطريق إلى هناك؛ مما يفقده مكاسب الوساطة التجارية؛ فعمل على إخافة قادة البعثة من مخاطر الطريق البحري المؤدي إلى تلك المناطق، وكذا المشقات التي سيجدونها على البحر، وعوضًا عن ذلك استورد لهم من هناك (٣١) شجرة من أشجار اللبان لكي يزرعوها في حدائق معبد آمون في طيبة، وفي هذا الصدد يبدو أن حاكم بونت كان على دراية بعدم جدوى زراعة أشجار اللبان في غير أرضها، يُنظر صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، ص٢٢٨، كذلك المؤلف ذاته: تاريخ شبه الجزيرة...، ص ٣٧-٣٨.

[2] - لم تشر النصوص المصرية إلى حدوث ذلك.

العربية صوب مناطق الشمال في حدود الزمن الذي توقف فيه المصريون عن إرسال البعثات التجارية؛ أي النصف الثاني من القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وهكذا؛ فإن معرفة شعوب الشرق الأدنى القديم المبكر للبخور واستخدامه، وكذا استخدام الجمل كوسيلة للنقل والتنقل منذ فجر التاريخ، بالإضافة إلى احتمالية نقل مواد البخور من جنوب بلاد العرب إلى مصر برًا مع توقف المصريين عن إرسال بعثاتهم؛ كلها وقائع تاريخية تعزز قيام التجارة البرية في زمن لايبعد عن زمن دخول المنطقة العصر التاريخي؛ التي تنطلق من جنوب شبه الجزيرة العربية؛ ليكون قيام التجارة البرية شاهدًا اقتصاديًا مهمًا على وجود سلطة لاتقل عن سلطة ممالك مدن، سرعان ما أفضت إلى قيام ممالك اليمن القديمة؛ كاستجابة ضرورية لتطور اقتصادي واجتماعي مفترض بفعل تزايد النشاط التجاري، وكذا توسع دائرة الاتصال بالحضارات المجاورة التي كانت سبّاقة في معرفة مثل هذه الكيانات السياسية.

### ٣- زيارة ملكة سبأ لمملكة سليمان:

هي تلك الزيارة التي ورد ذكرها في الكتب السماوية، ورددت صداها مؤلفات التفسير وقصص الأنبياء، وكان لها نصيب غير قليل في كتب التاريخ، كما صارت مصدر إلهام في كثير من الفنون( الشعر، والقصة، المسرح، والرسم) لدى العديد من الشعوب؛ لاسيما العرب والأحباش والأوربيين[1].

---

[1] -عبدالله،يوسف محمد: أوراق...، ص٢٢٧، حول الرواية الحبشية للقصة ونسب الملكة إليهم، وكذا فحص هذا القول، يُنظر الشيبة: دراسات...، ص ٢٨٥-٣٠٤. للمزيد عن ملكة سبا وقصة الزيارة وتناولها في الثقافة الأوربية والغربية يُنظر:

-Jones, Lioyd Liewellyn:" The Queen of Sheba in Western Popoular culture 1850-2000", in Simpson, St John (ed): QUEEN OF SHEBA, Treasures from Ancient Yemen, The British Museum, London 2002,p.12-30. And

-Pennacchietti, Fabrizio A.:"Legends of The Queen of Sheba", in Simpson: op-cit, p.31-50.

اختلفت الآراء حول موقع مملكة سبأ التي حكمتها هذه الملكة، إلا أن معظم تلك الآراء تكاد تحصره في واحدة من منطقتين؛ كلتاهما لاتخرجا عن الإطار الجغرافي لشبه الجزيرة العربية؛ إحداهما في شمالها، والأخرى في الجنوب[1].

في الواقع؛ إنما كان موقع المملكة الوارد ذكرها في قصة الزيارة تلك؛ فإن الثابت أن ملكتها في الأصل سبئية[2]، كما أن الزيارة ذاتها بكل أبعادها تحمل في طياتها الكثير من المؤشرات التي تدل على أن هذه المملكة هي مملكة تجارية في المقام الأول، وتلك المؤشرات يمكن الوقوف عليها من خلال قراءة متأنية للقصة كما وردت في التوراة والقرآن الكريم؛ ولكن في اتجاهين على النحو الآتي:

الاتجاه الأول: موقع المملكة في شمال شبه الجزيرة العربية: من المؤشرات التي تدعو إلى الاعتقاد بأن أساسها الاقتصادي هو التجارة:

أ- مملكة سبأ ذات عرش عظيم، ومجلس استشاري، إلا أنه لايستبعد أنها انسلخت عن المملكة الأصل في الجنوب، لكنها ظلت على علاقة معها، وعلى الأرجح علاقة تجارية، فمصدر ذلك الثراء لن يبعد عن النشاط التجاري؛ إذ أن موقع المملكة لايوفر أي مقومات اقتصادية غير التجارة، لتكون بهذا الثراء والقوة.

ب- الكمية الكبيرة من الأطياب والتوابل، وكذا الذهب التي حملتها الملكة معها لسليمان[3] تدل على أن الملكة تقف على رأس مملكة تجارية، تقع على عقدة مهمة من عقد طريق التجارة البري القادم من الجنوب، وهذا الموقع يسمح لها أن تستقبل سلع جنوب شبه الجزيرة العربية، وماتصل إلى الموانئ الجنوبية من مواد قادمة من الهند

---

[1] - هناك من يرى أن موقع المملكة كان في الحبشة (أثيوبيا اليوم)، غير أن زمن حدوث القصة (القرن العاشر قبل الميلاد) لايسمح بالموافقة على ذلك، ذلك لأن هذا الزمن يُعد مبكراً لظهور مملكة في الحبشة بحجم المملكة التي تشير لها قصة الزيارة في التوراة والقرآن.

[2] - يذكر مؤلفو كتاب حضارة العرب (مجد الملوك) (جُر تيجست) - الذي يروي قصص الملوك الأحباش - بأن ملكة سبأ هي ملكة حبشية، ويرون أن المتسكن الذين تروي قصة الزيارة قد بدأ التأليف فيها ابتداءً من النصف الثاني للقرن العاشر الميلادي؛ وذلك بهدف إضفاء الشرعية لحكم الملوك بين أسرتين هما (الأسرة السليمانية) و(الأسرة الزاجوية). يُنظر: الشيبة، دراسات، ص٣١٤-٣١٥.

[3] - التوراة، سفر الملوك الأول، الإصحاح العاشر، الآية ٢، والآية ١٠.

وشرق أفريقيا (يُنظر جدول ٢)، فإن تكن الملكة قادرة على الإهداء بمثل هذه الكمية؛ فإن هذه المواد - على مايبدو - تمثل جزءًا أساسيًا من المواد التي تتاجر بها مملكتها[1].

ج- لاتبدو مملكة سبأ على مقربة من حدود مملكة سليمان، فهو لم يحط بها علم، كما أن ملكة سبأ تبدو في القصة وكأنها لم تسمع بشأن سليمان، بالإضافة إلى أن الهدهد في القصة يبدي لهفة شديدة وكأنه أحضر لسليمان خبرًا مهمًا عن مملكة مهمة؛ " **فقال أحطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين**"[2]، فما الذي سيهم سليمان من أخبار عن هذه المملكة البعيدة عن أرضه غير التجارة؛ لاسيما بعد أن أكمل مشروعاته البنائية، وأتمّ بناء الأسطول البحري في عصيون جابر (قرب أيلة) ، وسيطر على التجارة في البحر الأحمر[3].

**الاتجاه الآخر:** <u>موقع المملكة في جنوب شبه الجزيرة العربية</u>: يمكن تصنيفها كمملكة ذات نشاط تجاري أيضًا؛ فهي بحكم موقعها المطل على السواحل الجنوبية على صلة بالسواحل المقابلة في أفريقيا وكذا الساحل الغربي للهند، وتشرف على تجارة برية تربط الجنوب بالشمال؛ وذلك للمؤشرات التالية:

أ- إهداء الملكة كمية وفيرة من التوابل لسليمان؛ فالمعروف أن أغلب التوابل التي تاجرت بها الممالك الجنوبية كان يأتي إليها من الهند، بالإضافة إلى القليل التي يأتي من أفريقيا[4].

ب- دخول الأطياب ضمن قوام الهدية، وبكميات كبيرة تدل على سيطرة المملكة على تجارة البخور؛ ففي هذا الوقت كان قد شاع استخدامه، والطلب عليه ازداد في مناطق الهلال الخصيب.

---

[1] - غالبًا ما تكون هدايا الملوك مما تنعم به ممالكهم من خيرات أو مما يستطيعون الحصول عليه بانتظام بفعل ثرواتهم.

[2] -القرآن: النمل، الآية (٢٢).

[3] -التوراة: سفر الملوك الأول الأصحاح (التاسع)، الآية (١) والآية (٢٦).

[4] - شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت ١٩٨١م، ص١٦٩-١٧٠، كذلك سحاب، فكتور: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، الطبعة الأولى، كمبيو نشر والمركز الثقافي العربي، بيروت مايو ١٩٩٢م، ص ٢٤٥ .أيضًا الجرو، أسمهان سعيد: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٩.

ج- استخدام الجمل في سفر الملكة، وفي نقل تلك الهدايا، يوحي بأن الجمل كان مستخدماً في هذا الوقت لنقل السلع والبضائع في التجارة البعيدة.

ليس هذا فحسب؛ بل أن الزيارة - بتفاصيلها- تحتوي دلالات عديدة؛ تجذب الانتباه إلى أن وراء روحانية القصة-الزيارة-، هدف أو أهداف اقتصادية-على الأرجح تجارية- تتماشى وطبيعة العلاقات التي تسعى إليها المملكتان، كما تنسجم وطبيعة المصالح التي يفترض أن تتطلع كلا منهما إلى تحقيقها في هذا الوقت[1]،وفي السطور التالية استعراض لأهم تلك الدلالات التي يمكن استنباطها-أيضًا- من قصتي التوراة والقرآن الكريم:

**أولا: التوراة:**

أ- سبق الحديث عن أن مملكة سبأ المعنية في القصة هي مملكة تجارية؛ كما أن المواد التي جلبتها الملكة معها لسليمان-أطياب وذهب وحجارة كريمة وتوابل- هي في الأصل سلع؛ تاجر بها سكان جنوب شبه الجزيرة العربية؛ بل صارت فيما بعد أهم ماتحمله القوافل التجارية المنطلقة نحو الشمال، وعماد تجارة ممالك اليمن القديمة، لذلك ليس من المستبعد أن يكون غرض الملكة من أن تكون هديتها لسليمان متضمنة هذه المواد هو الترويج التجاري لهذه السلع، وكذا خلق انطباع لدى سليمان وشعبه بأن سبأ والسبئيون وحدهم من يحتكر التجارة بها؛ لاسيما وأن كمية هذه المواد في الهدية كانت كبيرة كما جاء في التوراة[2].

---

[1] - يُعد النشاط التجاري في المملكتين نشاطا رئيسًا، كما تبدو الأوضاع فيهما مستقرة؛ سيما وان الزيارة حدثت -كما جاء في التوراة- بعد أن تحقق لسليمان ومملكته الكثير من الانجازات؛ أكان على صعيد المشاريع البنائية أو فيما يتعلق ببناء السفن في عصيون جابر قرب (أيلة) على البحر الأحمر؛ فكان أن حقق سليمان نوع من السيطرة على التجارة في هذا البحر، فلابد ان يتطلع لتحقيق مصالحة في التجارة البرية، وبالمقابل؛ ضمان مصالح التجارة البرية لمملكة سبا هو مايفترض أن تتطلع هذه المملكة لتحقيقه. أنيما يتعلق بإنجازات سليمان قبل الزيارة يُنظر التوراة: سفر الملوكالأول، الأصحاح التاسع، الآيات ١٠-٢٨.

[2] - يُنظر التوراة: السفر ذاته، الأصحاح العاشر، الآيتان ٢ ، و١٠.

ب- باستثناء الأسئلة أو الأحاجي التي طرحتها الملكة على سليمان؛ فأجاب عنها بكل حكمة[1]؛ فإن القصة في التوراة تحتوي في جانب كبير منها على وصف حالة الذهول الذي أصاب الملكة عند تأملها للقصر، وغنى موائد الطعام، وموقف رجال الدولة،وإعجابها بهيئة الخدم وملابسهم،وكذلك بسُقاة الملك؛ بالإضافة إلى تركيزها على المحرقات التي كان يُقرّبها سليمان في بيت الرب؛ فما كان منها إلا أن أبدت تأثرها الشديد بكل مايحيط بسليمان من هالة حكم وسلطان، وكأن بالتوراة تصف زيارة ودية الغرض منها التهيئة لإقامة علاقات بين المملكتين، إذ ينجح في القصة سليمان في عرض قوة عرشه، ومدى ما أصابه ومملكته من ثراء جراء علاقاته، ونجاحاته في مشروعاته التجارية، وبالمقابل تركز الملكة على أمور تصب في اتجاه من يتلمّس أن يرى المملكة التي يزورها من الداخل؛ ليتحقق من مدى الفائدة المرجوة في إقامة علاقات معها.

ج- لم تكتفِ ملكة سبأ بما أهداها سليمان؛ بل رغبت في الحصول على أشياء أخرى[2]؛ مما قد يوحي بأن الملكة جاءت مملكة سليمان بعقلية التجّار الذين يتطلعون ليس فقط لفتح أسواق لتصريف ما يتاجرون به؛ بل وللتنقيب عما يمكن أن يجدوه من جديد السلع في تلك الأسواق؛ بما يساهم في رفد تجارتهم وتوسيعها.

## ثانيًا: القرآن الكريم:

أ- سبق الإشارة إلى أن الزيارة تمت بعد استكمال بناء الأسطول البحري التجاري لسليمان في عصيون جابر (قرب أيلة) على البحر الأحمر[3]؛ فحقق نجاحًا في التجارة البحرية

---

[1] - تشير التوراة؛ في سفر الملوك الأول، الأصحاح العاشر، الآيات الثلاث الأولى؛ إلى أن نقاش دار بينهما؛ وأن النقاش- في جزء كبير منه- كان عبارة عن أسئلة وأحاجي عسيرة؛ وجّهتها الملكة لسليمان بغرض اختبار حكمته، غير أن أيًا من التوراة والقرآن لم يحددا طبيعة هذه الأسئلة، ولم يذكرا مضمونها، أو حتى بعضها منها، فأصبح عسيرًا الوقوف على فحوى هذا النقاش.

[2] - أن طلب ملكة سبأ أشياء بعينها من سليمان علاوة على ما أعطاها من هدايا- في العادة هدايا الملوك بعضهم لبعض تكون غالية ومميزة؛ فإن نقل هدية سليمان في كل الأحوال في قيمتها المادية والمعنوية عن الهدايا التي جلبتها له- ربما يساعد على فهم الجزئية المادية (ضدالروحية، الدينية) في قصة الزيارة، يُنظر الإشارة إلى طلب الملكة في التوراة: سفر الملوك الأول، الإصحاح العاشر، الآية ١٣.

[3] - يُنظر هامش ( ١ ) في ص٨٥ ، من هذا المبحث.

هذا، ومع تطلع سليمان لمزيد من النجاح في مجال التجارة؛ يبدو أن الطير ... الهدهد كان يخرج في مهام استكشافية، استطلاعية يظن فيها ما يمكن أن يجده ... لسليمان، ولن تخرج تلك الأخبار المرجوة عما تمارسه المملكة من ... سليمان ذاته، فيها هو سليمان يتوعد الهدهد بعقاب شديد؛ بل وبالذبح مالم ... وجيه، أو ليكن خير مهم يعود به غيابه الطويل[1]، وما يعزز هذا القول هو ما ... لسليمان " امض بما لي فخطابه "[2] إليهم وتعمد امراء ملكهم واتجه من ... عروش عظيمة"[3]، وكأن الهدهد هنا ينقل خبرًا فيه أمور مدنية، مادية ... لمعرفتها، طالما أنه يصلح لتعزيز علاقاته الاقتصادية ولتحقيق مزيدًا من النجاح ... مجال التجارة - لاسيما التجارة البرية؛ حتى أن سليمان شكك في رواية الهدهد ... بعد هو استفاد أم كان من الكاذبين"[4].

- بعض العبارات الواردة في الآيات التي تتحدث عن الزيارة في سورة النمل و ... بعض النصوص في القصة؛ تدل على أن الدعوة السليمانية لملكة سبأ وقومها لم ... مجملها دعوة لترك عبادة الشمس والاتجاه نحو عبادة الله فقط بل فيها ... يوحي بأن سليمان استهدف إقامة علاقات من نوع ما مع مملكة سبأ ... طموحاته وتطلعاته الاقتصادية، والسطور التالية تحمل مايبرر الميل نحو هذا الرأي.

- على فرض أن ما جاء في كتاب سليمان الكريم هو دعوة دينية خالصة؛ ففي هذه الحالة فإن الملكة سوف تبدي تذمرًا أو رفضًا على الأقل في أول الأمر؛ فهو يدعوها ... إلى ترك ما جبلوا على عبادته منذ زمن بعيد، كما أن هذا الرفض سيكون أقوى من ... الكهنة ورجال الدين في مملكتها؛ وذلك لأسباب عديدة ربما أهمها: احتمالية فقدان

---

[1] - انظر القرآن سورة النمل الآيتان ٢٠، ٢١.

[2] - يقول الباحث بذلك من إتمام تفسير آيات القرآن الكريم أو الآيات التي لا تتعلق بما ليس له به علم وكل ما هنالك هو الرجوع لما بين السطور؛ لعلها تساعد على فهم الجانب الإنساني في قصة الزيارة، لاسيما وأن الرسالات السماوية الخالدة في مضمونها عن الواقع المعيشي للمجتمعات التي نزلت فيها؛ بل أنها تأتي منظمة للتعامل العلاقات التي تربط أفراد هذه المجتمعات، فلا يأس أن تكون التجارة هي المجال الذي اختاره الهدهد ليجلب للهدهد ملكة سبأ وقومها لدين الله الواحد.

لمصالحهم إذا ما اعتنقت الملكة والمملكة الدين الجديد[1]، غير أن توجّه الملكة نحو أخذ المشورة والفتوى من الناس يدل على أنه إلى جانب الدعوة الدينية؛ احتوى الكتاب-أيضًا- أمور تتعلق بشؤون الحياة التي اعتادوا على مناقشتها.

- ورد في القرآن الكريم أن الملأ أجابوا الملكة- عندما عرضت عليهم كتاب سليمان مؤكدةً عدم بتها في الأمر حتى يفتوها- بالإجابة التالية:" **قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمُرين** "[2]، وهذه الإجابة فيها استعراض للقوة أمام الملكة، وتأكيد الاستعداد للذود عن المملكة؛ مما يدل على أن الكتاب ربما تضمن ما يدعوهم للقلق على مملكتهم؛ كأن يكون سليمان قد أظهر مدى اهتمامه بمملكة سبأ ونشاطاتها، مُبديًا رغبة- تبدو غير عادية- في إقامة علاقة ما؛ بين المملكتين، لاسيما وأن القرآن الكريم أظهر مدى قلق الملكة في الآية التالية :" **قالت إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون** "[3]، فهي هنا ترفض تدخّل ملك في شؤون مملكتها، وهو أمر مدني لا علاقة له بالدين، وما الأمر الذي سيقلق الملكة ما لم يكن مرتبط بمصالح المملكة، لاسيما الاقتصادية، يضاف إلى ذلك إشارة القرآن إلى أن الملكة قررت إرسال هدية إلى سليمان وقومه، والترقب إلى ما ستؤول إليه الأمور، فهي انتظرت ردة فعل سليمان، ولم توجّه له أسئلة أو استفسارات عن الدين، بل لم تحاول إقناعه بآلهة مملكة سبأ.

- يشير القرآن الكريم - أيضًا- إلى ردة فعل سليمان عندما وصلت إليه هدية الملكة بالقول:" **فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتان الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم**

---

[1] - رفض الكهنة ورجال الدين ومقاومتهم لأي دعوة دينية جديدة مسألة حدثت مرارًا وتكرارًا في التاريخ، وفي كل المجتمعات؛ فعلى مستوى الديانات السماوية الأمثلة مكررة مع كل الرسُل والأنبياء-تقريبًا-، وما مقاومة قريش ورفضهم لدعوة الرسول الكريم محمدﷺ بترك عبادة الأزلام والأوثان لصالح الإيمان بالله ﷻ والاعتراف بالإسلام دينًا؛ إلا خير مثال. وفيما يخص المعتقدات والديانات الوضعية والوثنية؛ تظل مقاومة كهنة الإله (آمون) في مصر الأ خير مثال. وفيما يخص المعتقدات والديانات الوضعية والوثنية؛ تظل مقاومة كهنة الإله (آمون) في مصر الفرعونية للدعوة التوحيدية التي حاول فرضها الفرعون امنحوتب الرابع (أخناتون) من أبرز الأمثلة. حول دين أخناتون ومقاومة كهنة( آمون) يُنظر صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، ص ٣٦١-٣٦٥.

[2] - القرآن: سورة النمل، الآية ٣٣.

[3] - القرآن: السورة ذاتها، الآية ٣٤.

بهديتكم تفرحون ۞ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون"[1]، وهي ردة فعل قد لاتكون مبررة إذا كان الأمر فقط دعوة لدخول دين الله؛ الذي يدعو إليه سليمان؛ حتى لو كانت الهدية المرسلة إليه مصحوبة برسالة رفض لهذه الدعوة[2]، غير أنها ستكون ردة فعل مبررة ومقبولة إذا صاحب رفض الدعوة الدينية، رفضًا للانصياع لرغبة سليمان في إقامة علاقات بين المملكتين-لأي سبب كان-؛ فالتهديد الذي أبداه سليمان بإرسال جنود لا قبل للسبئيين بها، لإخراجهم أذلة من أرضهم؛ يدل على اتجاهه نحو السيطرة على المملكة بالقوة، وهو أمر لايحدث-عادة- إلا مع الملك الذي يجد في ذاته القوة للسيطرة على الممالك الأخرى؛ وترفض تلك الممالك الاستسلام له، أو دفع الجزية، أو الارتباط بمملكته بعلاقة معينة تسمح له بتحقيق مصالحه معها أو من خلالها، ويبدو أن مملكة سبأ أظهرت لسليمان عدم الرغبة في إقامة مثل هذه العلاقة.

ماجاء أعلاه - مجتمعًا- يوفر مبررات قد تكون مقنعة إلى حدٍ ما؛ بأن كتاب سليمان لملكة سبأ قد أحتوى-إلى جانب الدعوة الدينية- ما يمكن اعتباره توجّه نحو إقامة علاقات مع مملكتها، ومن ثم يُعد دلالة أخرى على وجود هدف اقتصادي-تجاري في قصة الزيارة التي قامت بها الملكة السبئية إلى مملكة سليمان.

ج- جاء في القرآن الكريم أن ملكة سبأ أسلمت مع سليمان لله رب العالمين[3]،غير أنه لايُعرف مصير هذا الدين في مملكتها، وليس هناك ما يدل على استمرار السبئيين في اعتناقه لوقت طويل[4]، وعليه فإن الاحتمال القائم هو تخليهم عنه بمجرد وفاة سليمان، وانقسام مملكته إلى مملكتين متنافستين؛ مما يعني أن دعوة سليمان، ثم زيارة الملكة لم تكن كلها ذات مغزى ديني بهدف إقناع السبئيين بترك عبادة الشمس والتوجه لعبادة الله؛ وإلا لأستمرّت تأثيرات هذا الدين عليهم، وظهرت بعض من آثارها-على الأقل- فيما بعد، مما

---

[1] - القرآن: سورة النمل، الآية ٣٦-٣٧.

[2] - إرسال الهدية-بحد ذاتها- من قبل ملكة سبأ ستكون مؤشرًا جيدًا لسليمان على إمكانية المحاولة مرة ثانية عن طريق تبادل الهدايا معها؛ لإقناعها وقومها بدعوته الدينية بدلًا من التهديد باستعمال القوة.

[3] - القرآن: سورة النمل، الآية ٤٤.

[4] - لم تظهر معطيات مادية- حتى الآن- كما لم ترد أية أدلة كتابية في نصوص ونقوش الشعوب التي شهدت قصة الزيارة أو عاشت في زمنها؛ يمكن من خلالها معرفة مصير اعتناق السبئيين لديانة سليمان بعد وفاته.

يعني أن الزيارة كان لها وجه آخر، يتمثل بالأبعاد الاقتصادية التي توختها كلا المملكتين من هذه الزيارة.

وهكذا، فإن قصة زيارة ملكة سبأ لمملكة سليمان تقدم دليلا واضحًا على أن التجارة البرية بين جنوب شبه الجزيرة العربية والمناطق الواقعة إلى الشمال كانت حاضرة في هذا الوقت، كما يمكن عدّها كأحد الشواهد التي تدل على وجود الممالك- مملكة سبأ على الوجه الخصوص- في جنوب شبه الجزيرة العربية منذُ زمن مبكر، يبتعد ربما بقرون عن زمن النقوش التذكارية التي لازال البعض يعتمد عليها في الحديث عن قيام ممالك اليمن القديمة.

## المبحث الثالث: التجارة وأسس قيام ممالك اليمن القديمة.

بداية ، لامناص من التنويه- بحسب ما ذُكر من شواهد ووقائع تاريخية في هذا الفصل- إلى أن قيام ممالك اليمن القديمة يُعد فصلا جديدًا في تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية؛ إذ دخلت المنطقة عصرًا حضاريًا مختلفًا؛ تغيّرت فيه وتطورت الكثير من أشكال العلاقات التي كانت سائدة في العصور السابقة[1]، فكان ظهور كيانات سياسية كبيرة – الممالك- بمثابة تخطيطٍ جديدٍ لمعالم المنطقة، وتشكيلٍ مغايرٍ لهويتها- على الأقل سياسيًا-؛ تلك الهوية التي استمرت زمنًا يزيد عن ١٥٠٠عام؛ أضحت فيها مجريات الأمور في شتى المجالات تدور في فلك هذه الكيانات وعلاقة بعضها ببعض؛ مما دفع دارسي تاريخ المنطقة القديم أن يطلقوا على هذا العصر تسميات ذات دلالاتٍ؛ لا تخلو من احتسابه عصرًا جديدًا ومغايرًا لما سبقه من عصور، منها على سبيل المثال: عصر ثقافة صيهد[2]، عصر الممالك القديمة[3]، عصر الدول القديمة[4]، عصر ممالك القوافل[5]، عصر (حقبة) حضارة جنوب الجزيرة العربية[6]، من هنا؛ فإن قيام الممالك وولوج المنطقة بوابة عصر جديد - وإن كان ذلك في ظل صيرورة تاريخية - يفترض أنه تمّ على أسس جديدة،أو- على أقل تقدير- تطور غير اعتيادي حدث للأسس التي قامت بموجبها ثقافات العصور السابقة[7].

---

[1] - إدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص٤٤، كذلك شيبمان: تاريخ الممالك...، ص٩٠.

[2] - أطلقه عالم النقوش (بيستون) (Beeston) يُنظر الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي...، ص٨٥.

[3] - بافقيه، محمد عبدالقادر: في العربية السعيدة،مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٧م، ص١٨. كذلك شيبمان: تاريخ الممالك...، ص٦٧.

[4] - بوبر، ج.م ولوندن،أ: تاريخ اليمن القديم، جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة حمدان، الطبعة الأولى، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن ١٩٨٤م، ص١٣.

[5] - يُنظر التعليق الذي يصف ممالك اليمن القديمة- قبل ظهور حمير- في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص٨٦-٨٧.

[6] - روبان: التسلسل التاريخي ومشكلاته، ص٦٣. كذلك بروتون، جان-فرانسوا: "علم آثار بلا نقاش" ، في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثاني، صنعاء ٢٠٠٣م، ص٢٦.

[7] - درج بعض دارسي التاريخ؛ لاسيما التاريخ القديم على التسليم عند الحديث عن أسس الحضارة؛ إذ ليس صحيحًا القول: "أسس الحضارة اليمنية القديمة"، فتاريخ اليمن القديم عرف حضارات وثقافات مختلفة باختلاف العصور التي توالت عليه؛ كالعصور الحجرية، عصر البرونز، العصر التاريخي، أو عصر الممالك القديمة، وكل حضارة قامت على أسس تختلف تمامًا عن أسس غيرها من الحضارات.

يقينًا؛ أن ظهور حضارة جديدة في منطقة ما، أو الدخول في عصر جديد يتحقق من خلال اجتماع العديد من الأسس-سياسية، اقتصادية،اجتماعية، وبيئية- بعضها مع بعض؛ لتصيغ شكل العلاقات الجديدة؛ التي تحدد ملامح هذه الحضارة أو ذاك العصر وحقيقتهما، غير أن الأساس الاقتصادي- في الغالب- يظل هو العامل الأكثر وضوحًا في تأدية هذا الدور[1]؛ ولايستبعد- في كثير من الأحوال- أن باقي الأسس عبارة عن انعكاس للعامل الاقتصادي ذاته، أو ناتجة عن تأثيراته المختلفة.

لعله من المفيد عند الحديث عن دور التجارة في قيام ممالك اليمن القديمة، وفي مسار تطورها وازدهارها اللاحقين، التعريج قليلا للتطرق إلى العلاقة التاريخية المفترضة بين التجارة والزراعة في الزمن السابق لقيام الممالك؛ إذ يشكل ذلك منطلقًا مناسبًا للوقوف على هذا الموضوع[2].

فإذا كان الحديث يدور عن أن بداية الاستقرار وظهور المستوطنات الموسمية ثم الدائمة في العصر الحجري الحديث ارتبط- في الأصل- بظهور نشاط الرعي، والوصول إلى مرحلة الجمع المكثف للثمار[3]؛فإن الزراعة- دون ريب- وطّدت دعائم الاستقرار، ووسعت دائرة الاستيطان بزيادة عدد المستوطنات، كما كانت عاملاً رئيسًا في التطورات الحضارية التي شهدها جنوب شبه الجزيرة العربية؛ كظهور المجتمعات المركبة في القرى الزراعية-الرعوية، ومرورها بمرحلة التمدن في المرتفعات الشرقية[4]، وكذلك نشأة

---

[1] - تختلف أسس قيام العصور والحضارات التي عرفها جنوب شبه الجزيرة العربية بعضها عن بعض؛ فالحضارة المستقرة التي ظهرت في العصر الحجري الحديث والمتمثلة بظهور المستقرات والمستوطنات الموسمية ثم الدائمة، ربما كان أساسها ممارسة الرعي، والوصول إلى مرحلة الجمع المكثف للثمار، من ناحية. يُنظر: إدريس: "قراءة..."، ص٢٨٣-٢٨٤. وبالمقابل فإن الزراعة – إلى جانب ظهور صناعة الفخار- تُعد أساس اقتصادي مهم لعصر البرونز في هذه المنطقة، إذ غيرت شكل الاستيطان وتقدمت بموجبها الأنظمة الاجتماعية فيها؛ لتظهر مجتمعات مركبة، مرت بمرحلة التمدن وصولا إلى نشوء المدن، إيدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص ٤٣-٤٤.

[2] - معظم النقاشات التي دارت - ولاتزال تدور- حول موضوع أسس الحضارة اليمنية القديمة وعوامل تطورها وازدهارها؛ لاسيما الاقتصادية تكاد تنحصر بين التجارة والزراعة، يُنظر الجبلي: "الحضارة اليمنية..."، ص١٠-١٣.

[3] - إدريس: "قراءة..."، ص٢٨٦.

[4] - إيدينز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص٢٢،كذلك إدريس: المرجع ذاته، ص٢٨٩.

مدن عصر البرونز في المرتفعات الوسطى[1]، غير أن التجارة سابقة على الزراعة؛ إذ ظهرت دلائلها في المنطقة منذ وقت مبكر في العصر الحجري الحديث؛ ومع ذلك يدين النشاط التجاري للزراعة بفضل واسع في مسيرة تطوره اللاحقة،-كما جاء سابقًا-. وعليه يمكن ترتيب الأسس الاقتصادية المذكورة أعلاه وتعيين أدواتها بالنسبة لعصور قبل التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية كالتالي:

١- <u>الرعي والجمع المكثف للثمار</u>؛ كانا أساس نشأة المستقرات والمستوطنات وبداية الاقتصاد المنتج.

٢- <u>الزراعة</u>: كرست -أكثر- ثقافة الاستقرار والاستيطان؛ إذ وفر ظهورها-إلى جانب الرعي- أساسًا مهمًا للتخلي عن فكرة الترحال لانتفاء أسبابها؛ ومن ثم فقد ترتب على ممارسة الزراعة والانتظام بسكن دائم عدة نتائج كان أثرها واضحًا على تقدم الإنسان في هذه المنطقة لاسيما مع ظهور مزيدًا من تقسيم العمل؛ منها على سبيل المثال:

أ. تحسين وسائل الإنتاج، وكذا الأدوات التي يحتاجها الاستقرار.

ب. تقدم صناعة الفخار، وربما ظهور حرف أخرى في ظل ظهور البرونز، ووجود الأحجار شبه الكريمة.

ج. تطور نمط بناء المستوطنات[2]، بما يتلاءم مع طبيعة تعقيدات الحياة وتطورها.

د. ظهور أنظمة اجتماعية مواكبة لتطور الأنظمة الزراعية ونموها[3].

هـ. نمو النشاط التجاري ودخوله مرحلة جديدة؛ إذ وفر النشاط الزراعي وكذا النشاط الحرفي محاصيل ومواد للتبادل بين المجتمعات المستقرة في ظل حاجة بعضهم لبعض ووجود فائض في الإنتاج[4].

---

[1] - إدريس: قراءة...، ص ٨٨.

[2] - جاء أعلاه أن النشاط التجاري في عصور قبل التاريخ مر بمرحلتين: الأولى قبل ظهور الزراعة- نشاط استجلابي في معظمه- والأخيرة بعد ظهور الزراعة -تطورت فيها العلاقات التجارية التبادلية داخليًا وخارجيًا- يُنظر الفصل الأول ص٥٢-٥٧.

[3] - إيانز (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة..."، ص٤٤، كذلك إدريس:المرجع السابق، ص٢٨٨.

[4] - إدريس: المرجع ذاته، ص٢٨٦.

[5] - إدريس: المرجع السابق، ص٢٨٦.

٣- التجارة؛ وإن لم تشكل عاملا اقتصاديًا رئيسًا- مقارنة بالزراعة- بالنسبة لحضارات وثقافات عصور قبل التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية[1]، غير أنها أدّت دورًا مهمًا وغير عاديًا منذ نشوئها؛ وظهرت تأثيراتها في مختلف مناشط الحياة لدى سكان هذه المنطقة؛ وفي السطور التالية نماذج من هذه التأثيرات:

أ. ساهمت التجارة في مرحلتها الأولى قبل الزراعة (النشاط الاستجلابي)- وكذلك في مرحلتها التالية بعد الزراعة- في تحسين تقنية صناعة الأدوات (Artifacts) التي استخدمها الإنسان للحصول على القوت وكذلك أدوات الزينة؛ إذ من خلال النشاط التجاري تمّ جلب العديد من المواد الخام التي صُنعت منها هذه الأدوات[2].

ب. التجارة-أيضًا- بمرحلتيها (الاستجلابية والتبادلية) عززت مسارات شبكة الطرق الداخلية- وفيما بعد الخارجية- التي يفترض أن خطوطها الأولى قد ظهرت بفعل ثقافة الترحال؛ التي ميزت المجتمعات القائمة على جمع الثمار والصيد، وبنمو النشاط التجاري ازدهرت هذه الطرق وتوسعت[3].

ج. مكنت التجارة سكان المستوطنات من سد حاجاتهم من المواد التي لاتتوفر مقومات إنتاجها لديهم؛ لاسيما بعد ظهور فائض الإنتاج بسبب زيادة النشاط الزراعي والرعوي، ونمو صناعة الفخار ، وكذلك ظهور مواد خام جديدة؛ كالبرونز وبعض الأحجار شبه الكريمة على وجه الخصوص[4].

د. حالت التجارة دون أن تصطبغ المستوطنات بطابع العزلة التامة؛ لعدم ثبوت قيام علاقات أخرى بينها- على الأقل حتى الآن-؛ ومن ثم فإن الاحتمال كبيرًا بأن تكون الخبرات المختلفة والأفكار قد وجدت في النشاط التجاري سبيل ممهد للانتقال والانتشار بين مجتمعات تلك المستوطنات.

هـ. يمكن الافتراض بأنه-إلى حدٍ ما- ساهمت التجارة في نمو وتطور مدن عصر البرونز، بما وفرت من عائدات؛ تمّ استغلالها في تطوير هذه المدن وتسويرها، وربما

---

[1] - ربما لاينطبق ذلك على أواخر عصر البرونز، قبيل دخول المنطقة العصر التاريخي؛ كما سيأتي لاحقًا.

[2] - لمعرفة أهم هذه المواد، وبالمثل الأدوات يُنظر الفصل الأول ص ٨٤ من هذه الدراسة.

[3] - حول هذا الموضوع يُنظر الفصل الأول ، ص٥١-٥٨، من هذه الدراسة.

[4] - إدريس: "قراءة..."، ص٢٨٦.

في تعزيز مكانة السلطة فيها- رغم أن المدن في هذا العصر قامت على الزراعة كأساس اقتصادي-[1].

و ذات الافتراض في النقطة السابقة؛ يمكن أن ينطبق على مساهمة التجارة في نمو الأنظمة الاجتماعية وتطورها.

مع تقدم لاريب أن الزراعة في التاريخ القديم- بصفة دائمة- كانت عاملاً أساسيًا لديمومة الإستقرار والاستيطان؛ كونها توفر أسباب المعيشة المباشرة[2]؛ فهي مصدر مهم لكثير من المواد الغذائية التي يحتاجها الناس؛ سواء على موائد طعامهم، أو طعام حيواناتهم، فضلا عن أنها مصدر للعديد من المواد التي ارتبطت بالأنشطة الإنسانية الأخرى؛ كالحرفة والتجارة، غير أنه لايمكن اعتماد الزراعة أساسًا لقيام ممالك اليمن القديمة من خلال الأخذ بالسبب ذاته؛ وهو أنها توفر أسباب المعيشة المباشرة، ذلك لأن قيام الممالك يمثل تقدم حضاري- لمجمل الأوضاع السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، وحتى الدينية-احتاج إلى أكثر من مجرد عامل يوفر أسباب المعيشة لحدوثه[3]، بمعنى أن هذا التقدم الحضاري المتمثل بقيام الممالك تطلب وجود عامل اقتصادي يمكنه أن يلبي مجمل-أو لتكن أهم- الشروط اللازم توافرها لقيام هذه الكيانات؛ كشكل سياسي/ اجتماعي غير مسبوق في المنطقة؛ ومن هنا قد يكون مناسبًا الأخذ بالرأي القائل بأن التجارة كانت العامل المركزي لنشؤ ممالك العربية الجنوبية[4]؛ وذلك للأسباب التالية:

---

[1] - إدريس: "قراءة..."، ص٢٨٩.

[2] - عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٣٣٢.

[3] - على فرض أن تطورًا غير عادي قد حدث لأنظمة الزراعة في المنطقة- قبيل ظهور الممالك- فإن هذا التطور لن يكون تأثيره أكثر من تحسين ظروف المعيشة والحياة، غير أنه من الثابت أن الزراعة حققت هذا التقدم- غير العادي- فيما بعد؛ أي في عهد الممالك ذاته، إذ تم الاهتمام من قبل هذه الممالك بتطوير منشآت الزراعة والري وكل ما يتعلق بهذا النشاط الاقتصادي؛ كنتيجة بالضرورة- للازدهار الذي عرفته فيما بعد، يُنظر: برنسو، اولي:" بدايات الري"، ص٥٤، كذلك بروتون، جون فرانسوا:"العربية السعيدة في عصر ملكة سبأ" في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٢م ص٩-١٢. أيضًا: ايدنز (وآخر):"جنوب شبه الجزيرة العربية..."، ص٥٣-٥٤.

[4] - يُنظر إلى مجموعة العلماء والمؤرخين المعتنين بهذا الرأي في الجبلي:" الحضارة اليمنية..."، ص١٢-١٣. كذلك الدوري: التكوين التاريخي...، ص٢٦. أيضًا ايدنز (وآخر):" جنوب شبه الجزيرة العربية..."، ص٤٤.

كذلك:

Edens, Ch:" Before Sheba ", op- cit,p.85.

كعامل اقتصادي، مع عدم الإنكار أو التقليل لدور الزراعة في هذا الأمر.

١- تُعد التجارة نشاط إنساني يلبي حاجات (نواقص) المجتمعات في كل المجالات -منذ النشأة الأولى-؛ لذا كان تطورها تطورًا ديالكتيكيًا وطرديًا مع تطور المجتمعات في جنوب شبه الجزيرة العربية ونموها؛ بحيث تنمو التجارة مع نمو المجتمعات، كما تتطور حياة المجتمعات مع ازدهار النشاط التجاري[١].

٢- الخبرات التي تراكمت في مجال النشاط التجاري في جنوب شبه الجزيرة العربية على مدى عشرات القرون، وكذلك أرجحية تطور العلاقات التجارية مع سواحل شرق أفريقيا، لاسيما الشمالية[٢]، كونها علاقات موغلة في القدم- منذ العصر الحجري الحديث-[٣]، بالإضافة إلى عدم استبعاد وجود مثل هذه العلاقة مع مناطق سواحل الهند الغربية؛ طالما أن هذه المناطق كانت تتاجر مع شرق شبه الجزيرة العربية في عصر البرونز[٤]؛كل هذه الجوانب تدعم افتراض تدفق مزيد من المواد المتداولة والسلع؛ ومن ثم زيادة في حجم النشاط التجاري على المستوى المحلي مع نهاية عصر البرونز وقبيل العصر التاريخي، وفي هذا الصدد يجب عدم إغفال زيادة المحاصيل الزراعية ومنتجات الحرف التي كانت -دون شك- من نتائج تطور أنظمة الزراعة[٥].

---

١- تطورت موضوعات التجارة ومضمون مواردها مع نمو المجتمعات وتنامي حاجاتها تماشيًا مع تطورها الحضاري؛ فبعد أن كانت بداية التجارة مع المواد الخام بما يلبي حاجة الناس لصنع الأدوات والآلات؛ أضيف لها-فيما بعد- محاصيل الزراعة ومنتجات الحرف؛ توفيرًا لمتطلبات المعيشة والحياة، ثم مالبث أن تضمن قوامها موادًا تلبي الاحتياجات الروحية والدينية، كالبخور والطيوب مثلا، والحقيقة يمكن القول أن تطور موضوعات التجارة ومضمونها لازال مستمرًا إلى يومنا هذا، وبالمقابل فإن الازدهار الذي يحققه النشاط التجاري كان يؤدي إلى تطور المجتمعات في كل الاصعدة السياسية ،الاقتصادية، والاجتماعية، إلى درجة أن البعض يربط عمران المدن وازدهارها بنمو تجارة القوافل وتطورها ، يُنظر بروتون،جون فرانسوا: "العربية السعيدة في عصر ملكة سبا"، حوليات يمانية، ، ص١٤.

٢- إدريس:"جذور..."، ص٣٧ ، كذلك يُنظر موضوعا فوكت (وآخر): " ثقافة صبر..."، ص٤٣-٤٤، و فوكت:"صبر، مدينة..."، ص٤٨. وكلاهما في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبا.

٣- إدريس: المرجع ذاته، ص٢٦.

٤- Vogt,Burkhard:"Bronze Age Maritime Trade in The Indian Ocean: Harapan Traits on The Oman Peninsula, in Julian Reade (ed): The Indian Ocean in Antiquity,Kengan Paul International (London and New York), In association With The British Museum (London), 1996, p.127.

٥- إدريس: "الزراعة..."، ص٢٨٨، من المرجّح حدوث زيادة في عدد السكان؛ تؤكده زيادة عدد المستوطنات، يُنظر إدريس: ذاته.

٣- تطور التجارة الداخلية في هذا الوقت، بالضرورة انعكس إيجابيًا على العلاقات بين المستوطنات والمجتمعات المحلية؛ ليس فقط على صعيد التكامل في تلبية حاجة بعضهم إلى بعض، في ظل تنوع الموارد واختلاف أقاليم جنوب شبه الجزيرة العربية اقتصاديًا[1]؛ بل أيضًا على صعيد نقل الأفكار والخبرات العملية؛ الذي- ربما- حال دون وجود تفاوت كبير في مستوى التطور الحضاري بين هذه المستوطنات ومجتمعاتها قبيل قيام الممالك، وهو الأمر الذي ربما يفسر ظهور معظم هذه الممالك في ذات الوقت، أو- على الأقل- في أوقات متقاربة[2].

٤- ثورة اقتصادية محلية استثنائية تحققت لسكان جنوب شبه الجزيرة العربية، جراء توسع النشاط التجاري الخارجي[3]؛ وذلك من خلال طرق سلعهم وبضائعهم دروب البر الطويلة إلى جانب مسالك البحر؛ فلم تعد التجارة الخارجية- منذ قبيل فجر التاريخ على الأقل- قاصرة على التبادل مع مناطق ماوراء البحار؛ بل تعدته إلى الخروج برًا؛ باتجاه مناطق ماوراء شمال شبه الجزيرة العربية*.

---

[1] - ايدينز (وأخر):" جنوب شبه الجزيرة العربية..."، ص٢٣،كذلك إدريس: "قراءة..."، ص٢٨٨.

[2] - تعاصرت ممالك اليمن القديمة بعضها مع بعض زمنًا ليس بقصير؛ على عكس ممالك الرافدين التي قامت الواحدة على أنقاض الأخرى، الأمر ذاته ينطبق على معظم ممالك بلاد سورية القديمة؛ فكرب إيل وتر في نقشه التذكاري الموسوم (Res3945 =GL1000A) يذكر أوسان، حضرموت وقتبان كممالك كانت قائمة في عهده، غير أن هناك من يرى أن معين قامت كمملكة في زمن ما بعد عهد كرب إيل وتر، وربما كان سبب تأخر قيامها هو وجود شكل سياسي تميزت به منطقة الجوف، يتمثل بممالك المدن التي قامت على خط واحد في وادي مذاب؛ فلم تحتج المنطقة لوجود مملكة كبيرة عند نشأة الممالك الأخرى. فيما يتعلق بزمن ظهور مملكة معين يُنظر: روبان،كريستيان:" ثروة معين" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١٠٢، كذلك إيدينز (وأخر): " جنوب شبه الجزيرة العربية..." ص٤٤،أيضا الشيبة: دراسات...، ص٤٤،كذلك عربش،منير:"رؤى جديدة لكتاب تاريخ مملكة قتبان من خلال الآثار والنقوش"، في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثالث،صنعاء ٢٠٠٦، ص٦١.أيضا باوير(وآخر):تاريخ اليمن القديم...،ص٢٦-٢٧.

[3] - تعد الثورة التجارية هذه في نظر الباحث ثورة محلية كون مقدماتها ونتائجها ارتبطت-أساسًا- بجنوب شبه الجزيرة العربية، رغم تأثيراتها على المستوى الخارجي، أما كونها ثورة استثنائية؛ ذلك لأن التجارة الخارجية كانت تمارس في غير منطقة من مناطق العالم القديم؛ لكن لم يترتب عليها في تلك المناطق؛ الطفرة التطورية ذاتها؛ التي ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية،والمقصود هنا أن هذه الثورة تمثل خصوصية تفرد بها هذه المنطقة على عكس الثورة الزراعية، أو الثورة الصناعية.

* - تم التطرق لقيام التجارة البرية أعلاه، يُنظر ذات الفصل، المبحث الثاني، ص٧١-٨٢.

أمّا وأنها (ثورة)؛ فذلك لأنه سبقتها مقدمات تمثلت بمجموعة من الظروف الداخلية والخارجية التي هيأت قيامها، كما ترتب عليها نتائج؛ تُعد بالمنظور الحضاري/الاقتصادي؛ حاسمة لإحداث التطور. يمكن الوقوف على أهم هذه المقدمات والنتائج على النحو التالي:

**أولاً: المقدمات:**

١- زيادة المحاصيل الزراعية بسبب تطور أنظمة الزراعة والري[١]، كذلك ارتفاع معدلات الإنتاج الحرفي بفعل مزيد من تقسيم العمل والتخصص؛ كان كفيلا بظهور مزيد من فائض الإنتاج؛ جنبًا إلى جنب مع المواد التي يتم جلبها من مناطق شرق أفريقيا والهند.

٢- نمو التجارة المحلية؛ ويمكن الافتراض أنها وصلت إلى مرحلة من التكثيف، بحيث لم تعد الأسواق الداخلية كافية؛ وظهرت الحاجة إلى أسواق خارجية أخرى لتصريف؛ السلع والبضائع.

٣- استغلال إمكانيات الجمل في نقل السلع والبضائع إلى مسافات بعيدة[٢].

٤- تفعيل الطرق البرية التي تخترق صحراوات شبه الجزيرة العربية ومناطقها؛ بحيث أصبحت تربطها بعضها ببعض من ناحية، وتصلها بالمناطق الواقعة إلى شمالها من ناحية أخرى[٣].

٥- إنتاج المنطقة لمحاصيل ذات جودة عالية، كانت ضرورية للعديد من شعوب العالم القديم[٤]؛ كاللبان والمر وبعض الصموغ (يُنظر جدول ١ )، ويبدو أن الطلب عليها

---

١- حول تطور هذه الأنظمة يُنظر جانتل، بيير: " السيطرة على الري"، في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص٧٦، كذلك برونو، أولي:" واحة مارب"، في الكتاب ذاته، ص٧٧-٧٨، أيضًا ماركولونغو، بونز:" أنظمة الري في براقش"، في الكتاب ذاته، ص٧٨.

٢- سبق الحديث عن ترويض الجمل، ثم تطويعه للعمل كناقل للبشر والبضائع، ينظر ذات الفصل ، ص وبهذا الصدد؛ يشار للتنويه إلى ظهور تخصص آخر؛ تمثل بتربية الإبل.

٣- يفترض أن الطرق البرية في شبه الجزيرة العربية -أو معظمها- قد اختطت وطرقت بفضل الصادرين الأوائل، والمجموعات الرعوية، وكذلك الهجرات القديمة التي خرجت باتجاه الشمال (العراق وسورية).

٤- السقاف: إيلاف...، ص٤١.

تزايد؛ إذ لن تُعد هذه المواد سلعًا تجارية ذات مردود عالي ما لم تكن مطلوبة بشدة في الأسواق[1].

٦- رغبة الممالك الأخرى وشعوبها في إقامة علاقات تجارية؛ توفر لهم حاجتهم من السلع المطلوبة- كما حدث مع مصر الفرعونية على سبيل المثال- من ناحية، ومن ناحية أخرى تمكنهم من إيجاد أسواق جديدة لتصريف منتجاتهم.

٧- حاجة سكان جنوب شبه الجزيرة العربية- لاسيما في المناطق الداخلية - لكسر حدة العزلة طويلة الأمد التي مروا بها؛ وذلك عن طريق الاتصال بمواطن الحضارات في الشمال.

٨- تطور الأنظمة الاجتماعية التي يفترض أنه صاحب تطور الأنظمة الزراعية[2]، ونمو التجارة المحلية.

٩- يُرجح أن بلاد الرافدين وسورية صارتا أكثر استعدادًا للدخول بعلاقات تجارية نشطة مع جنوب شبه الجزيرة العربية، لاسيما بعد ظهور إمكانية الاستفادة من الجمل هناك مع بداية العصر الحديدي[3].

**ثانيًا: الفنانق:**

١- انتقال الثقل الاستيطاني، والكثافة السكانية إلى المنطقة الشرقية؛ على امتداد حواف الصحراء المعروفة برملة السبعتين (مفازة صيهد)[4]،حتى الجوف، مع تناقص للمستوطنات وعدد السكان في المرتفعات مقارنة مع عصر البرونز[5].

٢- نمو المدن على مخارج الأودية الشرقية التي تصب في صحراء رملة السبعتين، و كذلك على مسار طريق التجارة وصولا إلى وادي مذاب في الجوف، مالبثت بعضها

---

[1] - الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٥٣.

[2] - إيمار (وآخر): "جنوب شبه الجزيرة العربية..."، ص٤٤؛ مالك إدريس: "الزراعة..."، ص٢٨٨.

[3] - إيمار و(آخر): المرجع نفسه، ص٦٥.

[4] - ذات المرجع، ص٤٤.

[5] - عبدالله، يوسف محمد: أوراق...، ص٢٣١؛ إيمار و(آخر): المرجع نفسه، ص٥٦-٥٧.

أن أصبحت ممالك مدن على هذا الطريق-لاسيما مدن الجوف[1]- مع ازدياد النشاط التجاري، بينما المدن التي تحف برملة السبعتين صارت عواصم للممالك اليمنية القديمة[2].

٣- قيام الممالك اليمنية القديمة؛ كاستجابة منطقية (ضرورية) للتطورات الاقتصادية التي توالت بفعل ثورة التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ فمن المرجّح أن سطوع شمس التجارة الخارجية، وتنامي الثروات؛ وربما تركزها بيد من قادوا النشاط التجاري أمور فرضت الحاجة لخلق كيان سياسي يستطيع أن يحافظ على هذا النشاط ويوفر له أسباب النمو، وبالمقابل يُفترض أن تطور شكل العلاقات الاقتصادية قد صاحبه تطور في شكل العلاقات الاجتماعية؛ فتطلب الأمر وجود شكل أرقى للسلطة مواكب لهذه التطورات؛ قادر على أن ينظم مصالح المجتمع، كما أنه لايستبعد أن النتية المطلوبة في التعاملات التجارية أوجبت قيام سلطة الممالك؛ طالما أن النشاط التجاري يتم مع مناطق وشعوب تحكمها ممالك- في بلاد الرافدين وسورية ومصر[3]-، وربما كان ذلك من الأسباب الرئيسة التي مكنت جنوبيي شبه الجزيرة العربية من السيطرة على التجارة ردحًا طويلا من الزمن، وفي هذا الصدد يجدر التنويه إنه- حتى الآن- لم يتم الوقوف على أدلة تشير إلى أن النشأة الأولى للمالك اليمنية القديمة قد

---

[1] - بروتون، جان-فرانسوا: " معابد معين والجوف (اليمن): جوانب المسألة " في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثالث، صنعاء ٢٠٠٦، ص٥٣. كذلك :عبدالله، يوسف محمد: أوراق...، ص٣٣١-٣٣٢.أيضًا: عريش،منير:"رؤى..."، ص ٦١ و ص٦٤.أيضًا: الشيبة: دراسات...، ص١٩٧-١٩٩.

[2] - عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٣٣١. كذلك الجرو: موجز...، ص٨٥. وكذلك: الجرو: دراسات في التاريخ ...، ص١٠٨.أيضًا: عريش،منير:"رؤى..."، ص٦٤، بالإضافة إلى عرودكي،بدر الدين: " التطبق الذي يسبق الفصل الثالث الموسوم (بلاد العرب السعيدة)"، في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبا، ص٥٩ أيضًا:

Brunner,Ueli:" Geography and Human Settlements in Ancient Southern Arabia ", in Arabian archaeology and epigraph,by P.J.Schmidt A/S. Vojcns,Vol.8, Denmark 2, November 1997.P.197.

[3] - فكرة إقامة الممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية بحد ذاتها قد تكون منقولة -بفعل النشاط التجاري- من مناطق المدنيات الشمالية تلك، كون هذه المدنيات عرفت الأنظمة الملكية منذ زمن بعيد لا يقل عن ٢٠٠٠ عام قبل ظهور ممالك اليمن القديمة.

ترافقت مع فعل حربي أو نشاط عسكري[1]، كما حدث عند قيام الدولة المصرية القديمة على سبيل المثال، وغيرها من الممالك والدول.

٤ـ ظهور الكتابة الأبجدية في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ إذ يُرجح أن انتقال فكرتها من سورية إلى هناك كان بسبب النشاط التجاري بين المنطقتين، على أساس أن التجارة كانت وسيلة أكيدة لنقل الثقافات والأفكار وكذا التقنيات[2].

٥ـ تطور الزراعة وأنظمتها، وظهور مشروعات الري الكبرى بفعل تدفق الثروات الناتجة عن التجارة وذلك بإشراف الممالك والملوك؛ إذ يرى البعض أن تقدم الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية كان سببه النشاط التجاري[3].

٦ـ الازدهار في مجال البناء، بظهور العمارة الفخمة، والتطور في بناء المعابد[4].

أخيرًا، فيما يتعلق بالعلاقة بين التجارة ونشأة الممالك اليمنية القديمة؛ تُجدر الإشارة إلى أن التجارة دخلت مرحلة جديدة مع ظهور الممالك، فأصبح ترتيب الحقب التاريخية للتجارة في العصور القديمة[5]، على النحو التالي:

أـ حقبة التجارة قبل ظهور الزراعة.

بـ حقبة التجارة بعد ظهور الزراعة.

جـ حقبة الثورة التجارية (فجر التاريخ وبعده).

---

[1] ـ يذكر هنا أن ظهور الممالك يُعد شكل من أشكال التطور المدني الذي أخذ وقتًا ليس بقصير ليتبلور في قالبه النهائي كممالك، ولم يكن قيامها عن طريق الغزو وفرض السيطرة، بل تطور حدث داخل المجتمعات ذاتها ـ على الأقل عند النشأة ـ ينظر: صالح، عبدالعزيز: تاريخ شبه الجزيرة...، ص٣٩.

[2] ـ Robin,Christion:"Saba and The Sabaeans" in ST.John Simpson (Ed),Queen of Sheba.Treasures from Ancient Yemen.The British Museum Press.London2002, P.57-58.

[3] ـ إدينز و(آخر):"جنوب شبه الجزيرة العربية..."، ص٤٤. الدوري، عبدالعزيز: التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت سبتمبر ١٩٨٤م، ص٢٥ـ٢٦.

[4] ـ إدينز و(آخر): المرجع ذاته، ص٤٤، كذلك:

Robin,Christion: Op-cit, P.58.

التطور في بناء المعابد داخل المدن وخارجها ـ لاريب ـ يعطي الطباع عن مدى تأثير تدفق ثروات النشاط التجاري، وفي هذا الصدد لاضير من القول أنه ربما كان من أسباب بناء المعابد خارج المدن هو توفير أماكن للتعبد لأولئك الذين يستخدمون طرق التجارة، لاسيما المعابد التابعة للمدن الواقعة على هذه الطرق؛ مدن الجوف أنموذجًا.

[5] ـ منذ ظهورها في العصر الحجري الحديث؛ حتى قبيل ظهور الإسلام.

# الفصل الثالث

# التجارة وازدهار ممالك اليمن القديمة

المبحث الأول: تأثير التجارة على الوضع السياسي بين الممالك

المبحث الثاني: تأثير التجارة على أوضاع الممالك الاقتصادية.

المبحث الثالث: تأثير التجارة على أوضاع الممالك الاجتماعية.

المبحث الرابع: تأثير التجارة على الوضع الديني في الممالك.

المبحث الخامس: دور الممالك في تقدم النشاط التجاري وازدهاره.

ارتفعت وثيرة النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة-على الأرجح- منذ مطلع الألف الأولى قبل الميلاد وخلالها- باعتباره نشاط اعتمد عليه اقتصاد هذه الممالك[1]، ولم يؤد ذلك إلى ذيوع صيتها وإطباق شهرتها آفاق أهم مناطق العالم القديم فحسب؛ بل أن تأثيراته طالت الممالك ذاتها وعلى مختلف الأصعدة.

فبعد أن أصبحت الممالك حقيقة"واقعية"في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ تدير مجريات الأمور هناك، وتنظم أشكال العلاقات التي تتحكم بمناحي الحياة[2]؛ باعتبارها شكل أو سلطة سياسية-اجتماعية جاءت ملبية-بالضرورة- لتطور مجتمعات هذه المنطقة منذ فجر التاريخ[3]-تقريبًا-؛ أخذت التجارة تؤدي دورًا أساسيًا؛ بل ومحوريًا في استمرارية هذه الممالك وكذلك في ازدهارها على مدى القرون اللاحقة؛ فانعكست تأثيراتها على أوضاع الممالك السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا الدينية؛ بحيث أملت- بشكل أو بآخر-على هذه الممالك واقع تحديد علاقات بعضها ببعض، وعلاقاتها مع الخارج، كما أن تدفق الثروات الناتج عن النشاط التجاري ساهم بقسط وافر في تقدم الأنشطة الاقتصادية الأخرى، ومن ثم تطور العلاقات الاجتماعية التي سادت في هذه الممالك، بالإضافة إلى تأثيرها على الجانب الديني من حيث بناء المعابد وشكل العبادة، في السطور التالية شيء من التفصيل عن بعض جوانب هذه التأثيرات على النحو التالي:

---

[1] -الشيبة: دراسات...، ص٣٧.

[2] -العودي، حمود: المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي-دراسة عن المجتمع اليمني-، الطبعة الثانية، سبتمبر ١٩٨٩م-(بدون دار نشر أو مكانه)، ص٦٦-٦٨.

[3] -على الرغم من أن دور التجارة في قيام الممالك صار واضحا في هذا المنعطف من هذه الدراسة، كما أن الوضوح ذاته ينطبق على مسألة النشأة المحلية لهذه الممالك؛ إذ أن ظهورها انبثق من داخل المجتمعات ذاتها؛ في سياق تطور تاريخي محلي لشكل ومضمون السلطة؛ الذي فرضه واقع التطور الاقتصادي-الاجتماعي، غير أنه من غير الواضح-حتى الآن- تفاصيل إعلان قيام الممالك؛ من حيث الكيفية التي ظهرت فيها، وكذا الأساس الذي تم اعتماده لاختيار الهيئات الحاكمة، ناهيك عن اختيار أوائل الملوك والحكام وتتويجهم وغيرها من المسائل المتعلقة بالخطوات الأولى لظهور سلطة الممالك، وباطلاع ممالك المدن في الجوف.

## المبحث الأول: تأثير التجارة على الوضع السياسي بين الممالك.

في الواقع؛ لايمكن الإدعاء بأن التجارة هي من حددت الشكل السياسي لممالك اليمن القديمة، غير أنها- دون شك- كان لها دورًا مهمًا في صياغة أشكال العلاقات السياسية[1] التي نشأت بين هذه الممالك؛ على اعتبار أن التجارة هي النشاط الاقتصادي الوحيد الذي شكل قاسمًا مشتركًا فيما بينها-على الأقل- طيلة الألف الأول قبل الميلاد[2]؛ فتراوحت هذه العلاقات بين السلم والحرب، بما يحقق هذه المصلحة المشتركة، ويحفظ عدم اختلالها عند حدوث نزعة نحو الاستئثار بها من قبل هذه المملكة أو تلك- كما سيأتي لاحقًا-.

أن القول بأن التجارة كان لها يدًا طولا في بلورة العلاقات التي سادت بين ممالك اليمن القديمة في عهد ازدهارها تدعمه جملة من الأسباب؛ يمكن استعراضها على النحو التالي:

أ.قلة الصراعات والحروب بين الممالك في الألف الأولى قبل الميلاد[3]-على الأقل حتى القرن الثاني فيها[4]- وهو زمن شهد ازدهار الممالك مثلما شهد ازدهار التجارة البرية.

---

[1]- لطول المدة الزمنية التي عاشتها ممالك اليمن القديمة، وتعاقب الكثير من الملوك على عروشها؛ فإنه لابد من حدوث تغيرات في شكل العلاقة السياسية التي كانت تربط بينها، بالإضافة إلى عدم ثباتها على وتيرة واحدة؛ كما سيتم توضيحه لاحقًا.

[2]- نشطت بين الممالك تجارة داخلية؛ تبادلت خلالها ما تحتاجه من مواد وسلع لاتتوفر فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى مرور قوافل التجارة المتجهة نحو الشمال عبر عواصمها ومدنها، ومايترتب على ذلك من فوائد وعائدات مشتركة تستفيد منها كل الممالك، الشيبة: دراسات...، ص٣٧. كذلك سبيمان: تاريخ الممالك...،ص١١٩.

[3]- ينظر المسروري، نبيل عبدالوهاب: الحياة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال نقوش مسند بالقيس، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (٦)، صنعاء ٢٠٠٤م، ص١١٦-١١٧.

[4]- القرنان السابقان للعهد الميلادي شهد الكثير من الاضطرابات في جنوب شبه الجزيرة العربية، ينظر روبان، كريستيان: "الممالك المحاربة، القرن الأول قبل الميلاد- القرن الثالث الميلادي " في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١٨٠.

ب. عدم وجود تمردات داخلية، أو خروج على الممالك من قبل الشعوب (القبائل) التي تنضوي تحت إطارها[1].

ج. لم تكن الممالك - ذاتها - معتمدة بأي حال من الأحوال على الغزو في اقتصادها؛ إذ يبدو أن التجارة والزراعة؛ كنشاطين اقتصاديين هما ما اعتمدت عليهما الممالك في زمن الازدهار، إلى جانب تنمية الثروة الحيوانية والحرفية[2]، ومن هنا يمكن القول بأن ممالك اليمن القديمة - قبل ظهور حلف قبائل حمير نهاية القرن الثاني قبل الميلاد - لم تكن ممالك توسعية، أي لم تسع للتوسع بغرض التوسع الصرف على حساب جاراتها من الممالك الأخرى[3].

مما تقدم، يرجح أن السلام هو قاعدة، أو أساس الوضع الذي حكم العلاقة بين هذه الممالك، بينما الحرب هو الوضع الاستثنائي الذي كان يسودها بين الفينة والأخرى، ويبدو أن النشاط التجاري - إلى حد ما - كان هو السبب في قيام هذين الشكلين من العلاقات (السلام والحرب) - القاعدة والاستثناء - بين الممالك، والسطور التالية ربما تحمل؛ التبريرات المقبولة لكل ما جاء أعلاه؛ وتوضح أثر التجارة على مصير السلام والحرب بين هذه الممالك على النحو التالي:

---

[1] - يذكر أن ممالك اليمن القديمة قامت من خلال اتحاد عدة شعوب، ويبدو أن للطبيعة الجغرافية لجنوب شبه الجزيرة العربية دورًا في تحديد الشعوب التي تقاربت واتحدت في إطار كل مملكة، والشعب - كما يقراه الكثيرون - عبارة عن تنظيم اجتماعي يضم مجموعة من البيوت (القرى)؛ جمعت بينها روابط المصالح الاقتصادية أكثر منها روابط الدم والنسب، هذا الأمر (بالطبع) يعزز الرأي الذي يرى بأن التجارة كان لها دورًا أساسيًا في قيام الممالك. للمزيد ينظر الشبيبة: دراسات...، ص١٥؛ وكذلك الجرو، اسمهان: دراسات في التاريخ الحضاري...، ص٢٣٩، أيضا العودي، حمود: المدخل الاجتماعي...، ص٩٧-٩٩. أيضا النعيم، نوره عبدالله بن علي: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ٢٠٠٠م، ص٨٤-٨٨.

[2] - الشبيبة: دراسات...، ص٣٧.

[3] - حتى ما قامت به مملكة أوسان؛ عندما اقتطعت بعض من أراضي حضرموت وشبوة وتهديدها لسبأ، وما تلى ذلك من ردة فعل لمملكة سبأ، وتدخل المنطقة في حروب طاحنة إثر كل ذلك لم يكن بغرض التوسع، ينظر شرح هذا الترجيح في المبحث ذاته؛ عند الحديث عن (التجارة وعلاقات الصراع والحرب بين الممالك)، ص

### أ.التجارة والعلاقات السلمية بين الممالك:

طالما وأن التجارة كانت عاملا أساسيًا لنشأة ممالك اليمن القديمة؛ فإنه من المعقول الافتراض بأن علاقات سلمية سادت بين الممالك؛ منذُ البداية ولزمن طويل، الأمر الذي أتاح الفرصة أمامهما للظهور والنمو- كما جاء سابقًا[1]-، ويبدو أن الممالك في ظل ترتيب أوضاعها، هيأت- بطريقة ما- نظامًا أو أسلوبًا مشتركًا؛ تمكنت عن طريقه من تنظيم النشاط التجاري وإدارته فيما بينها- داخليًا وخارجيًا-؛ بما يضمن نصيب كل مملكة في هذا النشاط؛ لاسيما وأن واقع الممالك هو تقاسم مقومات النشاط التجاري فيما بينها[2]؛ إذ أن بعض هذه الممالك كانت تسيطر على السواحل الجنوبية التي تصل إليها سلع مناطق ما وراء البحر (شرق أفريقيا والهند)[3]، وبعضها كانت أراضيها تنتج أهم المحاصيل -اللبان والمر- التي تاجرت بها هذه الممالك مع الخارج[4]، ناهيك عن البعض الآخر من الممالك التي لايمكن للقوافل إلا أن تمر عبر أراضيها؛ ومنه ما كانت تمثل البوابة الشمالية لطرق التجارة البرية المتجهة نحو العراق وسورية ومصر[5].

لذلك يمكن الاطمئنان إلى القول بأن هذه الممالك احتاجت بعضها لبعض، كما يمكن الترجيح بأن التكامل في سبيل ناجح النشاط التجاري ظل هو السائد بينها

---

[1] - يُنظر الفصل الثاني، المبحث الثاني، ص٦٨.

[2] - لم تمتلك أحدى هذه الممالك كل أسباب التجارة؛ بحيث تستغني عن الأخريات؛ بل كل مملكة تميزت ببعض منه فقط، وعليه لم تستطع أية مملكة أن تنفرد بالنشاط التجاري وتحتكره لصالحها.

[3] -حضرموت وأوسان، والأخيرة حلت محلها قتبان فيما كانت تسيطر عليه من سواحل، حول قتبان يُنظر الشبية: دراسات...، ص٣٦.

[4] - حضرموت وقتبان بالذات، إلا أن بعض المحاصيل كانت تنمو خارج أراضيها كالمر على سبيل المثال يُنظر:

Van Beek:"Frankincense and Myrrh" ,op-cit, P.72-75.And Van Beek,Gus W.:" Ancient Frankincenes Producing Areas",In Bowen R.L.and Albright F.P.(ed): Archaeological Discoveries,Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1958,P.139-141.And Groom:"The Frankincense Region", Proceedings of the Tenth Seminar for Arabian Studies, held at East Center, Cambridge, London July 1975,P.81.

[5] - سبأ وممالك مدن الجوف، ثم مملكة معين.

- ولقرون عديدة في الألف الأولى قبل الميلاد-، ومن ثم فإن التجارة كانت بمثابة وحدة اقتصادية اتفقت عليها الممالك وعاشتها واقعًا آنذاك[1]؛ وهو الأمر الذي يدعم مسألة تأثير النشاط التجاري في تقرير شكل العلاقة السياسية بين هذه الممالك، وعليه، فإنه -على ما يبدو- كانت حاجة الممالك للأمن والاستقرار والسلام أكثر من حاجتها - بمعنى أدق أكثر من اضطرارها- لإشعال الصراعات والحروب فيما بينها، ومدعاة هذا الاعتقاد تؤيده الكثير من الشواهد التاريخية؛ لعل أهمها: التطور الهائل الذي حدث للبُنى التحتية لممالك اليمن القديمة؛ لاسيما في عواصمها وأهم مدنها وما حولها، بل إن الازدهار الذي حققته تلك الممالك في مختلف المجالات[2] لهو خيرُ شاهدٍ على ذلك؛ فما كان للممالك أن تزدهر دون حصولها على ثروة، ودون تقريرها وضعًا سياسيًا مستقرًا في المنطقة، وفيما يخص الثروة-ذاتها-فإنه لم يكن بوسع الممالك أن تحوزها لولا اشتغالها بالتجارة[3]، أما ما يتعلق بخلق المناخ السياسي المستقر؛ فيبدو أن النشاط التجاري المشترك بين الممالك هو الذي فرض عليها أن ترتضيه أساسًا؛ ضمن أسس العلاقات التي ربطت بينها.

**ب.التجارة وعلاقات الصراع والحرب بين الممالك:**

من الطبيعي أن تندلع الصراعات وكذلك الحروب بين الممالك بين الحين والآخر؛ طالما كانت متجاورة مدة قرون من الزمان، وطالما جمع بينها نشاطًا

---

[1] - إذ حق (جاز) الحديث عن وحدة حقيقية تحققت لليمن في التاريخ- لاسيما الألف الأولى قبل الميلاد- فهي لن تتعدى الوحدة الاقتصادية؛ التي حققها تكامل النشاط التجاري بين ممالك اليمن القديمة، ويمكن عدّها ميزة انفردت بها المنطقة آنذاك؛ إذ -على الأرجح- لايوجد لها رديف يذكر- على الأقل- في الشرق القديم، يضاف إليها وحدة الحروف الأبجدية التي استخدمتها الممالك؛ على الرغم من اختلاف لغاتها، كما لايمكن إغفال وحدة الفكر الديني لدى الممالك؛ والذي ربما كان للتجارة دورًا في حدوثه.

[2] - سيتم التطرق للعديد من شواهد الحضارات البُنى التحتية، والمجالات الأخرى في سياق الحديث عن تأثير التجارة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية لاحقًا.

[3] - بما أنها لم تعتمد في اقتصادها على الزراعة فإنه لامصدر للثروة التي حققتها هذه الممالك سوى التجارة، كما لايجب النظر إلى هذه المسألة بمنظور اليوم؛ إذ إن مصادر الثروة في الوقت الحاضر تتعدى التجارة بالطبع-وإن كانت جميعها تدور في فلكها- فمن مصادر الثروة اليوم السياحة والمعلومة والاشتغال في مجال السمسرة (العمل كوسيط) على سبيل المثال لا الحصر.

اقتصاديًا مشتركًا؛يذرّ عليها ثروات متعاظمة؛ فكان لابد أن تشعر هذه المملكة أو تلك بشيء من القوة بحيث تندفع نحو مزيد من الكسب-في ظل تغيّر حكامها وساستها مع مرور الزمن- مخلة بذاك التوازن التي رتّب أوضاع النشاط التجاري فيما بينها، فيتبع ذلك تصدي أو رد العدوان من قبل الممالك المتضررة الأخرى، وفي حروب كرب إيل وتر خير مثال على ذلك؛ إذ يبدو أن مملكة أوسان بعد ان بلغت شأنًا رفيعًا من الازدهار بسبب نشاطها التجاري البحري والبري؛ وجدت في ذاتها القوة - في عهد الملك مرتع[1]-لتمد نفوذها على حساب جارتها (قتبان وحضرموت بالذات)[2]؛ ولايُستبعد أن هدف مملكة أوسان من هذا التوسع كان تعزيز أو زيادة تحكمها بالنشاط التجاري من خلال سيطرتها على كل السواحل الجنوبية، وكذلك مناطق إنتاج أهم المحاصيل المطلوبة خارجيًا، وبالإضافة إلى السيطرة على بدايات الطريق البري[3]، كما أن ممالك مدن الجوف هي الأخرى؛ ربما وجدت في الاضطراب الذي أحدثته مملكة أوسان في الجنوب فرصة مواتية لتضييق الخناق على مملكة سبأ؛ في سبيل تحقيق مزيد من المكاسب على حساب ذلك التوازن في النشاط التجاري بين الممالك[4].

في الواقع؛ يبدو أن موقف مملكة سبأ وردّة فعل كرب إيل وتر- كما جاء في نقش النصر- أزاء تحركات مملكة أوسان العدائية، وكذا ما قامت به ممالك الجوف؛ يوفر ما يدعم الطروحات المذكورة أعلاه؛ والتي ترى أن النشاط التجاري-ربما- تأثيره قويًا في نشوب الصراعات والحروب بين الممالك؛ لاسيما أن النظرة تتجه نحو احتمالية أن تكون أهداف كرب إيل وتر ذاتها من حملاته تلك لاتخرج عن هذا السياق؛ وهي السيطرة على طرق التجارة بين السواحل الجنوبية وشمال شبه الجزيرة العربية[5]، أو

---

[1] - ملك أوسان الذي قضى عليه وعلى مملكته كرب إيل وتر كما جاء في نقش النصر (REs3945=GL1000A)؛ السطران (٤) و(٥).

[2] - الجرو، اسمهان: دراسات في التاريخ الحضاري...، ص٢٤٣.

[3] - على الأقل؛ ذلك ما يوحي به اعتداؤها على أراضي حضرموت.

[4] - إن عرض مثل هذه الافتراضات ماهو إلا محاولة لقراءة واقع الصراع والحرب من زاوية أخرى؛ تكون فيها المصالح المشتركة-لاسيما النشاط التجاري-سببًا محتملا لتأجيجها، وهذا لايعني-بأي حال من الأحوال- أن كل الحروب والصراعات في عهد ازدهار الممالك؛ كانت التجارة هي السبب الوحيد لاندلاعها.

[5] - روبان: "تأسيس إمبراطورية..."، ص٩١.

على شكل إشارة التوازن السليم للنشاط التجاري؛ مع معلقية كل من سبأ حضرموت وعودة سريعة ومقتضبة لنقش النصر (RES 9345=GL1000A) يمكن ملاحظة ما يكفي من الأسباب الدفع بهذه الطروحات إلى دائرة الضوء والاهتمام؛ وهي كالتالي:

1- يتحدث النقش فيما يتحدث عن انتصارات كرب إيل وتر الحربية، ولعل ضمنها ثمان حملات خمسٌ منها كانت موجهة ضد أوسان وممالك الجوف بالإضافة إلى حملة عسكرية ضخمة ضد شعبي مهلر وأمير[1] بين الجوف ونجران، وعليه فإن أقوى حملات مملكة سبأ والتي يتفاخر بها كرب إيل في النقش كانت مرسلة ضد مدن هددت بل ربما أوقفت مصالح سبأ التجارية.

- يذكر كرب إيل في ذات النقش إنه طلب من معاشرة سبأ أن يقودوا شعوبهم وأن يتحدوا؛ بحيث يذود كلٌ منهم عن ماله[2]، وكأنه يحثهم الدفاع عن مصالحهم؛ ولن تكون المصالح التجارية بمنأى عن ذلك.

- إرسال مملكة سبأ؛ دونًا عن الممالك الأخرى- حضرموت وقتبان على وجه الخصوص- حملات حربية قوية ضد مملكة أوسان ، علمًا بأن أوسان كانت قد أضرت مملكتي حضرموت وقتبان ضررًا مباشرًا؛ باقتطاع الكثير من أراضيها؛ وهو ما ينم على أن مملكة سبأ كانت قد تضررت كثيرًا- بشكل مباشر أو غير مباشر- من اعتداءات أوسان تلك، وأغلب الظن أن الضرر كان اقتصاديًا، ولن يبتعد عن حرمان السبئيين من مكاسب النشاط التجاري؛ الذي يُعد من اهم المصادر الاقتصادية التي اعتمدوا عليها؛ لاسيما وأن موقع مملكة سبأ كان وسط طريق التجارة البرية؛ إذ يُذكر أن سبأ في القرن الثامن قبل الميلاد-قبل حروب كرب إيل وتر- كانت تسيطر على مأرب وصرواح وماحولها والسفح الجنوبي من الجوف[3]، وفي هذا الصدد يمكن التقاط بعض الإشارات الواردة في نقش النصر ذاته، والتي تومئ إلى كل ذلك:

---

[1] -اللسبة، عبدالله حسن:" كرب إيل وتر الكبير أول موحد لليمن"، في كتاب الندوة العلمية الموسومة اليمن وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ (١٢-١٤ ابريل ٢٠٠١م)، الطبعة الأولى، ص٣٥.

[2] -ينظر نقش (RES 3945=GL1000A)، الجزء الأخير من السطر الأول، وبداية السطر الثاني.

[3] - روبان: " تأسيس إمبراطورية...."، ص٩١.

أ. يفاخر كرب إيل وتر بأنه أعاد رعايا سبئيين (أولاد المقه)، أحرارًا وعبيدًا من مناطق أوسان ومدنها بعد أن انتصر عليها[1]، ويبدو أن إقامة هؤلاء السبئيين في هذه المناطق كان بغرض تولي شؤون مملكة سبأ التجارية في مناطق مملكة أوسان؛ إذ أن كرب إيل لن يُفاخر بإنقاذ هؤلاء القوم، ويُعد ذلك إنجازًا؛ يسجله في نقشه مالم تكن لهم مكانة اجتماعية، اقتصادية في المجتمع السبئي؛ فلا يبدو عليهم أنهم أسرى حرب (جنود)، أو سكان مناطق سبئية؛ اقتادهم الأوسانيون في وقت سابق[2].

ب. يشير نقش النصر إلى مملكتي حضرموت وقتبان كحليفتين لمملكة سبأ، وأن كرب إيل أعاد لهما مناطقهم التي كانت تحت السيطرة الأوسانية[3]، فما الذي يدفع منتصر في الحرب إلى إعادة أراض حررها واستولى عليها مادام لديه القدرة على اجتياح مناطق حضرموت وقتبان ذاتها، وكأن كرب إيل قد هَدِف إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل التحركات الأوسانية؛ التي عطلت على سبأ وحلفائها أهم أنشطتهم الاقتصادية؛ وهي التجارة.

ج. يبدو أن كرب إيل وتر قد هدف من حروبه في منطقة الجوف ومايليها شمالا؛ باتجاه نجران إعادة ترتيب أوضاع المنطقة؛ بما يحفظ مصالح مملكته من النشاط التجاري[4]؛ إذ أن وقائع حروبه هناك والإجراءات المتباينة التي اتخذها تجاه ممالك مدن الجوف جميعها تدل على أنه كان يسعى إلى بقاء زمام الأمور تحت سيطرته؛ بحيث يضمن عدم علو كعب مملكة على غيرها من الممالك في هذه المنطقة، فلا تفكر في

---

[1] - يُنظر النقش (RES 3945=GL1000A)، السطر (٦).

[2] - لايوجد - حتى الآن- ما يشير إلى قيام حروب بين المملكتين قبل عهد كرب إيل وتر، مع أن الأمر غير مستبعد.

[3] - يُنظر النقش (RES 9345=GL 1000A)، السطران (١٢) و(١٣).

[4] - الشرية: دراسات...، ص٤٥-٤٦.

الانفراد بإدارة النشاط التجاري على حساب الممالك الأخرى[1]، وفيما يلي عرض موجز لأهم إجراءات كرب إيل تجاه ممالك الجوف كما جاءت في نقش النصر:

• توّجت حملات كرب إيل بانتصار مملكة سبأ الساحق على ممالك مدن (نشان) و(نشق) و(مُهامر) و(أمير)؛ فتمّ إحراق مدنها، وسوق الآلاف من ماشيتها، كما فرضت الجزية عليها جميعًا[2].

• تعامل كرب إيل وتر تعامل متناقض مع مدينة نشان؛ إذ قام بتخريب سورها، كما هدم المدينة وقصرها، لكن لم يقم بحرقها، وأبقى على ملكها (سمه يفع)؛ غير أنه فرض على الملك وعلى مدينة نشان أن يقبلا بسكن قوم من سبأ في المدينة، وأن يبنى لهم (سمه يفع) معبدًا للمقه في وسط المدينة[3]، وفي هذا الصدد تمّ احلال قوم آخر من سبأ في مدينة نشق[4].

---

[1] يبدو للباحث أن علاقة ممالك مدن الجوف بعضها مع بعض-قبل حروب كرب إيل- كانت تقوم على أساس وجود اتحاد أو تحالف اختياري، هدفه الرئيس الحفاظ على المصالح المشتركة بينها؛ بحيث تبقى كل مملكة مستقلة بذاتها، على أن تقود هذا الاتحاد أو التحالف إحدى الممالك بحسب قوتها ومكانتها، وعليه تكون القيادة مؤقتة؛ تتغير بتحول موازين القوى بين هذه الممالك، وفي كل الأحوال يبدو أن أهم مصلحة مشتركة بينها كان النشاط التجاري، والحقيقة هذا النوع من العلاقة عرفته الممالك الفينيقية، وهي ممالك تجارية في الأصل، كانت تتحد أو تتحالف بعضها مع بعض في سبيل مصلحة مشتركة، أو صدًا لعدوان خارجي، يُنظر حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د.جورج حداد، وعبدالكريم رافق، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت ب ت، ص٩٢. كذلك هتو أحمد أرحيم: تاريخ الشرق القديم (١)سورية، الطبعة الثانية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٩٩٩، ص٢٤٩.

[2] يُنظر النقش (RES 3945=GL 1000A)، السطور من (١٤) إلى (٢٠)؛ باستثناء السطر (١٨).

[3] لايرجح أن هدف كرب إيل وتر هو السيطرة على نشان؛ لأنه أبقى على سلطة الملك (سمه يفع)، يُنظر رودان: "أسيس إمبراطورية..."، ص٩١، كما أنه لم يترك فيها حامية عسكرية؛ بل أسكنها جالية سبئية، فلن يكون نشاط هذه الجالية هناك سوى القيام بمهام التجارة لصالح مملكة سبأ، يُنظر ذات النقش، السطر (١٦).

[4] يُنظر النقش ذاته، السطر (١٧).

• لم يتعرض كرب إيل وتر لمملكتي (هرم) و(كمنهو)؛ بل أنه أعاد لهما أراضيهما ومصادر المياه؛ التي كان ملك نشّان قد جردهما منها[1].

تُعد حروب كرب إيل وتر التي خاضها ضد كلّ من أوسان وممالك الجوف أنموذجًا مناسبًا لمعرفة أثر النشاط التجاري في تفجّر الصراعات والحروب بين ممالك اليمن القديمة-على الرغم من قلتها- في زمن ازدهارها في الألف الأولى قبل الميلاد؛ إذ أن تفاصيل أهم حروب مملكة سبأ بعد زمن كرب إيل وتر-بحسب ما وفرته النقوش حتى الآن- تعطي ذات الانطباع حول موقف النشاط التجاري بالنسبة لتلك الحروب؛ فقد خاضت مملكة سبأ عديد حروب ضد مملكة قتبان-الحليفة السابقة لمملكة سبأ في حربها ضد مملكة أوسان- كما دخلت في حروب أخرى ضد بعض ممالك المدن الواقعة إلى الشمال منها (أمير، مهأمر، نجران، وكذلك يثل)[2]، وعلى الرغم من أن النقوش-في العادة- لاتذكر أسباب تلك الحروب[3]؛ إلا أنه يكفي معرفة أن أطراف تلك الحروب (سبأ، وقتبان، وممالك مدن الجوف وما يليها)، هي ممالك تتعاطى التجارة كمصدر اقتصادي مهم؛ للاستنتاج بأن النشاط التجاري؛ بإشكاليات دوافعه التنافسية كان مؤثرًا -ومن المرجح بقوة-؛ بحيث يمكن احتسابه ضمن أهم أسباب نشوب تلك الصراعات

---

[1] -يُنظر النقش (RES 3945=GL 1000A)، نهاية السطر (١٦)، والسطر (١٧) كله. يبدو أن مملكة نشّان في عهد ملكها (سمه يفع)- قبل حروب كرب إيل وتر- كانت تقود تحالف ممالك مدن الجوف آنذاك، غير أنها اتجهت نحو تقويض مصالح الممالك المجاورة-ربما بسبب جراءة مملكة أوسان في الجنوب حينما اعتدت على مصالح الممالك الأخرى- وشرعت بالتحكم بمجريات الأمور في منطقة الجوف ومايليها شمالا، فما كان من كرب إيل وتر بعد انتصاراته هناك ؛ إلا أن حرص على أن تستعيد تلك الممالك مكانتها السابقة؛ لاسيما (أمير) و(كمنهو)- بعد أن عاقب نشّان والممالك المتحالفة معها-؛ بحيث يعيد توازن الأمور بين جميع الممالك هناك، حتى يضمن استتاب الأمن، ويبدو أن الغرض هو الحفاظ على المصالح التجارية لمملكته.

[2] - ورد ذكر حروب مملكة سبأ ضد قتبان وممالك المدن تلك في النقوش التالية: (RES 3943)، (RES 3850)، (Ja 555)، (Ja 550)، (CIH 375)، يُنظر بعض تفاصيل تلك الحروب، لاسيما حروب سبأ ضد قتبان في النفيف، عبدالله حسين العزي: مملكة قتبان من القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، دراسة تاريخية من خلال النقوش، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د.عبدالله حسن الشرية، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء ٢٠٠٧م، ص١٣٦-١٣٨.

[3] -السروري، نبيل: الحياة العسكرية...، ص١١٦.

والحروب، وفي هذا الصدد، وبما كانت التجارة وراء خوض مملكة (حضرموت) الحروب فيما بعد[1].

هكذا، يتضح أن التجارة سجلت حضورا جليا، ربما بصفة دائمة، في مسار طبيعة العلاقات السياسية التي ربطت ممالك اليمن القديمة بعضها مع بعض، إذ إن التجارة سببا مهما، قد يكون الأهم، في تقرير الممالك الأخذ بخيارات السلام والتعاون فيما بينها، كما كانت في الوقت ذاته سببا، لا يقل أهمية، لاضطرارها خوض الصراعات والحروب ضد بعضها البعض؛ غير أن هذا الاضطرار، على مايبدو، يهدف ترتيب أوضاع التجارة؛ بحيث تفرضه الممالك التي تتجه نحو بسط سيطرتها على النشاط التجاري وطرقه ومسالكه، وبالمقابل تلجأ إليه الممالك المتضررة حفاظا على مصالحها في هذا النشاط.

عموما، أكانت التجارة راية سلام، أو طبلَ حربٍ في العلاقات التي سادت بين الممالك؛ فإنها-دون شك- ساهمت مساهمة كبيرة في إقامة العديد من التحالفات، التي غالبا ما كانت تظهر فيما بينها- في أوقات السلم أو الحرب-، وهي تحالفات تحكمها طبيعة المصالح المشتركة بالطبع؛ ومن أمثلة تلك التحالفات؛ التي وردت لها إشارات في بعض النقوش[2] مايلي:

- تحالف مملكتي (حضرموت) و(قتبان) مع مملكة (سبأ) في حرب الأخيرة ضد مملكة أوسان في بداية القرن السابع قبل الميلاد[3].
- تحالف مملكة (قتبان) مع مملكة (معين) في القرن الأول قبل الميلاد[4]، يرى

---

[1] - بروتون، جان فرانسوا، "ذهبة والحواضر اليمنية القديمة، من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلادي" في كتاب ذهبة عاصمة حضرموت القديمة، ص١٧٢-١٧٣.

[2] - في الواقع هذه النقوش ليست وثائق التحالفات ذاتها، ولكن يرد فيها ما يشير إلى قيامها؛ فهي في الغالب نقوش قدمت للآلهة، وتم فيها تقديم الشكر لها على التمام لعصة التحالف والاتحاد بين الملوك، وكذلك بين الممالك، وجدير بالذكر أن تضمين هذه الدراسة لمثل هذه التحالفات هو على سبيل المثال وليس الحصر؛ فهي أمثلة لتحالفات قامت قبل الميلاد وبعده.

[3] - إنظر النقش (RES 3945=GL 1000A) ، السطر (١٣).

[4] - إنظر نقش (RES 2999)، إذ يرد فيه ذكر اسم ملك معين ذو ذي هبد، إلى جانب اسم الملك القتباني.

البعض أن قيام هذا التحالف كان بغرض تضييق الخناق على مملكة سبأ[1].

- تحالف- ربما معاهدة سلام- بين ممالك (سبأ وذوريدان)، و(حضرموت) و(قتبان)، وذلك في الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي[2].
- تحالف مملكة (سبأ) مع مملكة (حضرموت)، مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين[3].

آخر ما يكمن ذكره بخصوص تأثير التجارة على علاقات ممالك اليمن القديمة بعضها مع بعض؛ هو وجود جاليات بعض الممالك في عواصم الممالك الأخرى وبعض مدنها، على سبيل المثال الجاليات المعينية في (تمنع) و(شبوة)[4]، وكذلك الجالية القتبانية في مدينة (يثل) المعينية[5]، ناهيك عن السبئيين الذين وطنهم كرب إيل وتر في مدن الجوف؛ لاسيما (نشان) و(نشق)- كما جاء أعلاه-[6].

---

[1] - الشيبة: دراسات...، ص٤٢.

[2] - يُنظر نقش (CIH 315) ، السطران (٥) (٦)، وكذلك السطران (٩)، و(١٠).

[3] - يُنظر النقش (CIH 155= GL 138)، وكذلك النقش (تامي ١٩)، السطر (١٢)؛ الذي يذكر أن عقد التحالف بينهما قد تم في مدينة ذات غيلم على وادي بيحان، وحريّ بالتنويه أن هذه المدينة تقع ضمن أراضي قتبان؛ مما يعني أن أجزاء من أراضي قتبان صارت في هذا الوقت تحت سيطرة حضرموت، يُنظر بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥م، ص٣٦. كذلك الارياني، مطهر علي: نقوش مسندية وتعليقات، الطبعة الثانية، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء ١٩٩٠، تعليق رقم (٦)، ص١١٩.

[4] - عبدالله، يوسف محمد: أوراق...، ص٢٤١. كذلك بروتون، جون فرانسوا: "العربية السعيدة في عصر مملكة سبأ" في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الول، صنعاء ٢٠٠٢م، ص١٤. أيضا روبان، كريستيان: الممالك المحاربة، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١٨١. كذلك النفيف: مملكة قتبان...، ص١٤١-١٤٢.

[5] - يُنظر نقش (RES 2999). كذلك بافقيه: تاريخ اليمن القديم ، ص٢٩

[6] - يُنظر المبحث ذاته في هذه الدراسة، ص١١١.

## المبحث الثاني: تأثير التجارة على أوضاع الممالك الاقتصادية

انعكس ازدهار النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة إيجابيًا على بقية أنشطتها الاقتصادية؛ لاسيما الزراعة، والحرفة، وتربية الحيوان، ليس هذا فحسب؛ بل امتدّ تأثير هذا الازدهار إلى مجالات جديدة وأنشطة؛ تمكنت الممالك عن طريقها من زيادة مواردها الاقتصادية، ولم يتوقف هذا التأثير عند هذا الحد؛ ولكنه توسع- على مايبدو- بحيث حسّنت التجارة أحوال فئات غير قليلة من السكان؛ وذلك من خلال مساهمتها -التي لاغبار عليها- في ابتكار مهن وحرف لم يعرفها الناس من سابق[1]، وتكريس مزيد من التخصص- كما سيأتي لاحقًا-؛ فكانت النتيجة ازدهارًا اقتصاديًا عاشته الممالك؛ قرونًا عديدة في الألف الأولى قبل الميلاد.

### ١- تأثير التجارة على النشاط الزراعي:

تأتي الزراعة في مقدمة الأنشطة الاقتصادية التي شهدت تقدمًا واضحًا بتأثير نجاح الممالك في نشاطها التجاري[2]، فعلاقة التجارة بالزراعة علاقة قديمة- كما جاء سابقًا[3]-، غير ان هذه العلاقة شهدت تطورًا نوعيًا وكميًا غير مسبوق- على الأرجح-؛ فإذا كانت الزراعة قد زودت النشاط التجاري بأهم المحاصيل التي تاجرت بها الممالك مع العديد من شعوب وممالك العالم القديم-البخور (اللبان والمر) على وجه الخصوص-؛ فإن عائدات النشاط التجاري من كل بد قد ساهمت في ذلك التقدم الهائل التي شهدته الزراعة وأنظمة الري في قرون الألفية الأولى السابقة للميلاد[4]، وليس أدل على ذلك من العدد الكبير للسدود ومنشآت الري التي شيدتها الممالك، وتمّ العثور على

---

[1] -لن يكون القول مبالغًا: بأن ذلك التحسّن في الأحوال شمل -أيضًا- الناس والقبائل خارج نطاق مناطق ممالك اليمن القديمة، على امتداد طرق التجارة البرية باتجاه شمال شبه الجزيرة العربية وشرقها، وذلك لمرور قوافل التجارة على أراضيها.

[2] -بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص١٨٥.

[3] -يُنظر الفصل الثاني، المبحث الثالث، ص٩٢-٩٥.

[4] - الدوري: التكوين التاريخي...، ص٢٦.

بقاياها في مختلف أراضيها الزراعية تقريبًا[1]، وهو الأمر الذي جعل الزراعة في زمن ازدهار الممالك تصل إلى مرحلة توصف بمرحلة الإنتاج المكثف[2].

في الواقع؛ إن تشييد منشآت الري واستزراع الأراضي[3] لابد أنهما قد تطلبا من الممالك أن توفر الكثير من الموارد المادية- إلى جانب الموارد البشرية بالطبع-، ولن يحتاج الأمر لكثير من التفكير للوصول إلى أن التجارة كانت من أهم المصادر التي جلبت للمالك تلك الموارد، والتي بواسطتها تحقق ليس فقط انتعاش النشاط الزراعي؛ بل وازدهار الحياة العامة للممالك[4].

يُعد بناء سد مأرب مثلا بارزًا لما تطلبته عمليات بناء وتشييد المرافق الزراعية من موارد[5]، وعليه يمكن أن يُقاس ما كان على الممالك أن توفره حتى تمكنت من بناء منشأتها المائية والزراعية، التي وصلت من خلالها إلى تلك المكانة الزراعية الراقية بين حضارات العالم القديم، وبما أن النشاط التجاري لايأتي من ورائه إلا تحقيق الأرباح- طالما كان مزدهرًا- فإنه لايُستبعد أن تكون الممالك قد استفادت منه في تمويل مشروعاتها الزراعية[6]؛ التي تدل عليها الآثار الباقية في مختلف مناطق اليمن.

---

[1] -لمزيد من التفصيل يُنظر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص١٨٦. كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٥-٢١، أيضا الهاتف، لطف على ناصر: الموارد المائية وأثرها في زراعة اليمن قبل الإسلام، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف د.عبدالقادر الشيخلي، قدمت إلى كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ٢٠٠٣م، ص٩٣ و ص١١٨.

[2] - الشيبة: أفول الحضارة...، النسخة المنقحة (غير منشورة)، ص١٤.

[3] -تكفلت بذلك السلطات المركزية (الحكومات) في ممالك اليمن القديمة؛ يُنظر عبدالله، يوسف محمد: أوراق...، ص٧٨. كذلك الشيبة: المرجع ذاته، ص١٩.

[4] - عبدالله، يوسف محمد: المرجع السابق، ص٧٣.

[5] - ليس ذلك فقط؛ بل أن عمليات تنظيف وترميم سد مأرب الدورية كانت تتطلب الكثير من الإمكانيات؛ التي كان على مملكة سبأ-من ثم حمير- أن توفرها، إذ أن نقشي (CIH 540) و(CIH 541) يقدمان الكثير من المعلومات حول ذلك. للمزيد يُنظر عبدالله، يوسف محمد: المرجع ذاته، ص٨٩. كذلك الجرو: دراسات في تاريخ...، ص٣٧. أيضًا شيبمان: تاريخ الممالك...، ص١٢٤.

[6] -هناك من يشكك بهذا الطرح؛ بالقول أنه " لاشيء يضمن أن أرباح التجارة كانت تستثمر بشكل كثيف في الزراعة، في حين كانت تمول البرامج العمرانية المدنية والدينية "، يُنظر بروتون: العربية السعيدة...، حوليات بمائة ٢٠٠٢، ص١٤، ومع ذلك صحيح أنه لاتوجد -حتى الآن- نقوش تتحدث صراحة عن أرباح تجارية يتم استغلالها في القيام بمشروعات زراعية، لكن ليس صعبًا على المرء أن يستنتج ذلك؛ فإذا لم تكن أرباح التجارة قد ساهمت في هذه المشروعات؛ فما هي -إذًا- مصادر التمويل الأخرى التي تكلفت بتقديم تلك الإمكانيات لإتمام المشروعات التي أوصلت الزراعة إلى هذا المستوى من الرقي ؟!!.

### ٢- تأثير التجارة على الأنشطة الاقتصادية الأخرى:

ظهر تأثير النشاط التجاري على الأنشطة الاقتصادية الأخرى- غير الزراعية- أنه تفاوت مابين التأثير المباشر والتأثير غير المباشر، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

#### أ. التأثير المباشر للتجارة:

هو ذلك التأثير الذي أدى إلى ظهور عديد مهن وأنشطة وموارد اقتصادية لم يكن لها أن تظهر مالم تشكل التجارة عصاداً اقتصادياً مهماً لممالك اليمن القديمة، ومالم يحقق النشاط التجاري نجاحات ومكاسب؛ ساهمت أيما مساهمة في ازدهار الممالك ذاتها وازدهارها؛ السطور التالية تستعرض أهم تلك المهن والأنشطة، وتوضح مدى ارتباط وجودها بسير عمليات التجارة في مختلف مراحلها:

#### أ-١- مهن وأنشطة ارتبطت بظهور نظام القافلة[1]:

تُعد هذه المهن والأنشطة من أهم مقومات نظام القافلة؛ التي يلتزم مالك (ملاك) القافلة تأمينها والحرص على اكتمالها قدر الإمكان؛ فهي ضرورية منذ لحظات انعقاد القافلة وانطلاقها، وتستمر مع القافلة حتى عودتها، ويبدو أن هذه المقومات-المهن والأنشطة- كانت ذا أهمية بالغة؛ بحيث يعوّل عليها أصحاب القوافل تحقيق الأهداف التي تخرج من أجلها قوافلهم؛ ربما أهمها:

- رئاسة القافلة.
- حراسة القافلة.
- مرشد القافلة (دليل القافلة).

---

[1] نظام نقل التجارات؛ نشأ بسبب اتساع التجارة وزيادة البضائع المتبادلة، فظهرت حاجة أصحابها للتأمين على حياتهم وبضائعهم، لايعرف متى بدأ استخدام في نقل التجارة على وجه الدقة، غير أن هذا النظام تم استخدامه في غير منطقة من العالم القديم، أما القسم فيه الجزيرة العربية فقد تعاملت به- تاريخياً- منذ الألف الأولى قبل الميلاد، ويذكر أن استخدامه أحدث تطوراً كبيراً في مجال التبادل التجاري، أما عزز علاقات ممالك اليمن القديمة مع الأقسام الأخرى في شبه الجزيرة العربية لذاتها، وكذلك مع بقية أقطار الشرق القديم، للمزيد ينظر على ، جواد: المفصل... الجزء السابع، ص٣١٧-٣٣٠، كمال الهاشمي: تجارة القوافل... ص٩-١١.

- القائمون على شؤون القافلة وخدمتها[1].

بقدر ما يمكن أن تكون هذه المهن والأنشطة قد كلفت تحقيق مردود طيب ووفير لأصحاب القوافل؛ فإنها شكلت- كذلك- موارد اقتصادية؛ ليس فقط لممتهنيها من سكان ممالك اليمن القديمة؛ بل ولعدد واسع من الناس على امتداد طرق التجارة البرية؛ إذ يبدو أن نظام القوافل-مع واقع طول المسافة التي تقطعها قوافل التجارة ابتداءً من مناطق تجميع السلع والبضائع (الموانئ الجنوبية غالبًا) وصولا إلى أسواق تصريفها في شبه الجزيرة العربية- قد أدى إلى خلق واقعًا اقتصاديًا ربما غير معهود؛ ويمكن وصفه بالمزدهر في عديد مناطق على امتداد هذه الطرق شمالا، ومن أهم مظاهر هذا الوضع الاقتصادي المزدهر في هذه المناطق ظهور محطات الراحة التي احتاجت لها قوافل التجارة على هذه الطرق؛ وتركزت أغلبها حول مواضع المياه[2]، وبحكم ما تقدمه هذه المحطات من خدمات لأعضاء القوافل من بشر ودواب[3]؛ فقد وفرت لسكانها إمكانيات اقتصادية كبيرة؛ يبدو أنهم استمروا معتمدين عليها طالما كانت التجارة البرية مزدهرة[4].

---

[1] - ورد ذكر مرشد القافلة (الدليل) في نقش (Ja 750) السطر (٢)؛ يُنظر المعجم السبئي، ص٥٥. ولمزيد من التفصيل حول طبيعة هذه المقومات (المهن والأنشطة) يُنظر ناشر: التجارة بين...، ص١٥١-١٥٤.

[2] - علي، جواد: المفصل...، الجزء السابع، ص٣٢٤، كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٦١. أيضًا شهاب: أضواء ...، ص٧٩.

[3] - بما أن رحلة القافلة-ذهابًا وإيابًا- تستمر ربما شهورًا عديدة؛ فإن هذه المحطات كانت توفر كل احتياجاتها على الطريق؛ بما فيها أماكن المبيت، والطعام، والماء، وكذا أعلاف الحيوانات، ولابأس بالتذكير بما ورد عند بليني حول كثرة المحطات على الطرق البرية، إذ يذكر أن بين تمنع وغزة- على طريق البخور- توجد (٦٥) مرحلة؛ يُنظر:

**Pliny: Natural History, H. Rackham (Tr), Loeb Classical Library, London,1969,BK 12.P.47.**

يرى البعض أن المراحل المذكورة عند بليني ماهي إلا محطات لاستراحة القوافل، النعيم: الوضع الاقتصادي...، ص٢٠٨.

[4] - مزيدًا من التفصيل حول هذه المحطات واعتمادها على التجارة إلى درجة أن بعضها تطورت إلى مدن وقوافل وأسواق؛ بل وإلى عواصم ممالك (تجران والبتراء) على سبيل المثال، يُنظر العمري: طريق البخور...، ص٥٥-١٠٠.

## ١-٢- مهن وأنشطة ارتبطت بظهور الموانئ[1] وازدهارها:

اتخذت الموانئ دورًا مهمًا في النشاط التجاري لممالك اليمن القديم؛ إذ أن ازدهار التجارة البرية في الألف الأولى قبل الميلاد جعل من هذه الموانئ بوابات جنوبية لاستقبال السلع والبضائع وكذا تصديرها، ومع انتعاش التجارة البحرية- فيما بعد- أصبحت الموانئ تشكل مدنًا وأسواقًا رائجة[2]؛ ارتبطت بعلاقات تجارية- على مايبدو- مكثفة- مع غيرها من الموانئ في الهند وشرق أفريقيا ومصر[3]، وعليه فإن نشاط هذه الموانئ-بالضرورة- شكل موردًا اقتصاديًا مهمًا للممالك التي تعاقبت السيطرة عليها.

من المفترض أن النشاط التجاري على بر هذه الموانئ وبحرها قد ساهما في ظهور مهن وأنشطة اقتصادية- هي الأخرى- كانت مزدهرة طالما بقيت هذه الموانئ نشطة ومؤدية لدورها التجاري؛ وعلى الرغم من عدم العثور -حتى الآن- على وثائق نقشية توضح طبيعة هذه المهن والأنشطة، ومدى حجمها في الموانئ وأسواقها[4]؛ إلا أن معرفة ذلك قد لايكون عسيرًا إذا ما تلمّس المرء سبيله إلى ذلك من خلال المعلومات المتوفرة عن طبيعة النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة بشكل عام، وحركة التجارة في الموانئ بشكل خاص؛ لاسيما مايرد في كتابات الكلاسيكيين؛ وفي مقدمتها ماجاء في كتاب الطواف عن حجم التبادل التجاري ونوعيته في الموانئ التي تقع ضمن نطاق أراضي تلك الممالك.

---

[1] - نشطت على سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية مجموعة من الموانئ في التاريخ القديم؛ منها على سبيل المثال لا الحصر-من الغرب إلى الشرق- موانئ: (موزا/موشج)، (عدن)، (قنا)،(موشا/سمهرم)؛ للمزيد حول أوضاعها وأوضاع غيرها من الموانئ- على الأقل منذ النصف الثاني من القرن الأول الميلادي-ينظر الشذرة: ترجمات يمانية...، ص٧٧-٨٢، كذلك : The Periplus: Sec 21-32,p.30-35

[2] - لم تتزامن- على مايبدو- كل الموانئ بعضها مع بعض؛ بل أخذت أدوارها-في الغالب- بالتناوب أو التعاقب، وفي الحقيقة لايمكن- حتى الآن- الوقوف على تواريخ محددة لنشأة معظم هذه الموانئ؛ ولذلك لقلة الدراسات الأثرية، وشحة المصادر النقشية.

[3] - شبوان: تاريخ الممالك...، ص١٢٢-١٢٣.

[4] - من المستغرب عدم العثور على الأرشيفات في الموانئ التي قامت فيها أعمال البحث الأثري؛ إذ يبدو المفترض أنه من الطبيعي أن تحتوي هذه الموانئ -كتلك العواصم والمدن المهمة- أرشيفات يوثق فيها كل شاردة وواردة، وتحفظ للملوك وممثليهم ما يحصلون عليه من تلك الموانئ؛ كالأرباح التجارية والضرائب.

فالمعلومات التي تضمنها كتاب الطواف عن المناشط التجارية في أسواق أهم موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية؛ كسقطرى، وسمهرم، وقنا، وعدن، وموزا[1]، على سبيل المثال يمكنها أن تساعد في معرفة أهم المهن والأنشطة التي ظهرت بتأثير النشاط التجاري والملاحي في هذه الموانئ؛ وأهمها على الأرجح:

- مشرف الميناء أو الحاكم[2].
- جابي الضرائب وخازن المال[3].
- العاملون في مخازن السلع والبضائع[4].
- القائمون على ترتيب شؤون السفن، وكذلك القوافل الواردة الميناء[5].
- التجار المحليون[6].
- الحراسة أو الحامية[7].

---

[1] - حول موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية يُنظر: The Periplus: Sec 21-32,p.30-35 كذلك الشيبة: ترجمات يمانية...، ص٧٧-٨٢، وللمزيد حول ميناء قنا يُنظر: الشعيبي، خالد صالح: ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، إشراف د.أحمد بن أحمد باطايع، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠٠٧م.

[2] - ورد في نقش (CIH 728)، موزع بين سطري (١-٢)، إذ جاء فيه كلمة عاقب (ع ق ب) بمعنى مشرف، في الواقع هذه الكلمة لازالت تستخدم في بعض أسواق اليمن (المعقب/ معقب السوق) للمزيد حول عاقب يُنظر: الحمد: أحوال...، ص١٧١-١٧٣. وقد يكون هو ذاته ممثل الملك في الميناء (الوالي) يُنظر الشعيبي: ميناء قنا...، ص٢٥. كما ورد في كتاب الطواف عند الحديث عن ميناء السوق (موزا) ذكر حاكم الميناء يتلقى هدايا التجار مع الملك؛ يُنظر: The Periplus: Sec 24,p.31

[3] - الشعيبي: ذاته.

[4] - وجود المخازن في الموانئ أمرًا مرجحًا، وقد ورد في كتاب الطواف إشارة إلى ذلك- على الأقل- في موضعين يُنظر: The Periplus: Sec 27,30,p.34.

[5] - ليست هناك حاجة لشرح ما يتعلق بالخدمات التي يفترض أن توفرها الموانئ للسفن وما تحمله من بضائع وسلع، ولطواقمها، وبالمثل قوافل التجارة؛ على الرغم من أن السفن التي ترتاد الموانئ قد جاء ذكرها في مواضع عديدة في كتاب الطواف يُنظر هامش ، ص ، غير أن ذكر قوافل التجارة في الميناء ترد في ذات الكتاب في موضع وحيد- تقريبًا- يُنظر: The Periplus: Sec 27 ,p.34.

[6] - ورد ذكر التجار العرب في الموانئ وأسواقها في فقرات عديدة من كتاب الطواف منها على سبيل المثال: The Periplus: Secs 21, 30,p.30-35

[7] - جاء ذكر للحراسة في كتاب الطواف في الفقرة التي تتحدث عن جزيرة سقطرى باعتبارها الميناء على الطريق الى مصر والهند (It under-guard) يُنظر: The Periplus: Sec 31,p.35

أما ما يتعلق بالأنشطة المرتبطة بوسائل النقل البحري[1]؛ يبدو أنها لن تخرج عن قائد السفينة، الملاحون[2]، المهنيون الذين يخدمون على السفن[3].

إن النشاط الملاحي والتجاري في البحار المحيطة بجنوب شبه الجزيرة العربية منذُ وقت مبكر؛ يجعل مسألة افتراض وجود ورش صناعة السفن وصيانتها أمرًا واردًا[4].

وهكذا؛ يمكن تصوّر حجم الحركة والنشاط في هذه الموانئ؛ وما وفرته من إمكانيات.

## أ-٣- مهن وأنشطة ارتبطت بالمراكز التجارية والأسواق:

من نافلة القول أن المراكز التجارية والأسواق تدين للتجارة بفضل نشأتها وازدهارها[5]، إذ هي نتاج عبقري من نتائج النشاط التجاري وثمرة من ثمار ازدهاره؛

---

[1] - من المستغرب شحة النقوش التي تتحدث عن السفن-كذلك الموانئ-؛ على الرغم من الحجم الهائل-على مايبدو- للنشاط الملاحي/ التجاري لممالك اليمن القديمة المطلة على السواحل؛ لاسيما وأن سكان الممالك حرصوا على التدوين واهتموا بتسجيل الأحداث في مختلف المجالات (الرسمية والشخصية)، حول موضوعات النقوش ينظر عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٤٢-٦٨. أما أهم المصادر التي ذكرت السفن والقوارب في الموانئ أو تضمين للحديث عنها يُنظر الآتي:

أ. نقش (إرياني ١٣)، السطر (١٣).

ب.نقش (RY 533) السطر (٩).

ج. Theophrasti Eresii, Historia Plantarum, Lib. Ix, Sec (IV, 5). نقلا عن الشيبة: ترجمات...، ص٢٤.

د. The Periplus: Sec 21, 24, 25, 26, 27 ,31, 31 , p.30-35.

[2] - طالما هناك ذكر لسفن وقوارب؛ فمن المقبول افتراض وجود قادة لها وكذلك ملاحون، وقد ورد ذكرهم في كتاب الطواف: The Periplus: Sec 21, p.30.

[3] - الطباخون، ومن يقومون بأعمال خزن السلع والبضائع، وغيرهم ممن يقومون بأعمال الخدمات في السفينة.

[4] - إن التسليم بوجود سفن وقوارب وتجارة بحرية يفرض التسليم بوجود ورش صناعة السفن وصيانتها.

[5] - نشأت أسواق ومراكز التجارة في كل عواصم ممالك اليمن القديمة، وموانئها، وأهم مدنها؛ فكان لها دورًا كبيرًا- ومحوريًا- في اقتصاديات هذه الممالك، كما ظهرت العديد منها في بقية أقسام شبه الجزيرة العربية؛ لاسيما شمالها وشرقها، للمزيد حول هذه الأسواق ومراكز التجارة، وضرورة قيامها، ومقومات ظهورها، وكذا دورها الاقتصادي والحضاري، يُنظر الشامي: الواقع الاقتصادي...، ص٦٣-٨٢. كذلك ناشر: التجارة بين...، ص١٠٤-١٠٦.

فلا سوق دون تجارة، وخير شاهد على ذلك هو ظهور الكثير من الأسواق والمراكز التجارية على امتداد طرق التجارة البرية، وتحول بعضها إلى مدن وعواصم ممالك؛ ذاع صيتها وتعاظم دورها بسبب مكانتها التجاري؛ غير أنه بمجرد تراجع النشاط التجاري على هذه الطرق انهارت العديد منها وطواها النسيان[1].

ساهمت الأسواق والمراكز التجارية في ظهور مهن وأنشطة؛ كانت من الضروري بمكان أن تظهر لكي تنتظم الأسواق ومناشطها؛ بما يعود بالفائدة على الممالك، وعلى المنتفعين منها، وكذا مريديها، وأهم ما يمكن أن يذكر من هذه المهن والأنشطة الآتي[2]:

- مشرف (كبير السوق)[3].
- جابي الضرائب[4].
- أصحاب المتاجر[5].
- الكتبة[6].

---

[1] - قد تجتمع عديد أسباب لسقوط واندثار بعض مدن الأسواق والممالك التجارية التي قامت على طرق التجارة البرية؛ وهي في الغالب أسباب سياسية واقتصادية؛ بيد أن تراجع مكانتها التجارية-لهذا السبب أو ذاك- يمثل عامل مهم ضمن العوامل التي حسمت أمر أفولها، مملكة الأنباط وعاصمتها البتراء تُعد خير أنموذجًا على ذلك؛ إذ أن خوف الرومان من تصاعد مكانة البتراء سياسيًا وتجاريًا في المنطقة دفعهم إلى تفعيل خطوط تجارية أخرى- برًا وبحرًا- فكان ذلك كفيلا بتراجع مكانة البتراء التجارية؛ الأمر الذي عجّل باتهيار المملكة.

[2] - سيتم الاعتماد على بعض النقوش للتدليل على وجود معظم هذه الأنشطة والمهن في الأسواق ومراكز التجارة، بينما المتبقى منها سيتم افتراض وجودها بناءً على طبيعة الأنشطة التي تمارس فيها.

[3] - وردت كلمة (مشرف) في النقش القتباني (RES 4337 A,B)، السطور (١٦ ، ١٧، ٢٢ ، ٢٧) في [A] والسطور (١-٢، ٦، ٢٨) في [B]. كما وردت كلمة (كبيرالسوق) في نقش (CIH 603 A= RES 2860) موزع بين السطرين (٦-٧)، كذلك في نقش (RES 2861) موزع بين السطرين (٨-٩).

[4] - ورد صراحة في نقش (CIH 603 A=RES 2860)، السطر (٢)؛ كما يُفهم من بعض النقوش وجود مسئول عن الضرائب يُنظر على سبيل المثال: (CIH 601=RES 2726=SH10)، السطر (١٦). ونقش (RES 4337 A,B)، في سطور عديدة متفرقة في ل[A] و [B].

[5] - ينظر نقش (RES 4337 A,B)، في سطور عديدة ومتفرقة في [A] و [B].

[6] - الرأي بوجود كتبة في السوق يزكيه ما جاء في بعض النقوش من إبرام العقود؛ بما فيها عقود البيع والشراء على نحو ورد في نقش (Ja 2856=G; 913)، كما ورد عند بليني إشارة إلى ذلك عندما ذكر الحصة من اللبان؛ والتي يحصل عليها الكتبة في الأسواق يُنظر: Pliny: Natural History, BK XII, Sec 64, P.47؛ كذلك الشبية: ترجمات...، ص١٢.

- الحراس[1].
- الكيالون[2].
- القائمون بالخدمات العامة في السوق؛ كالحمالين، ومن يأمنون مستلزمات القوافل من طعام وشراب وأعلاف للدواب، ويفترض ان تحتوي مرافق الأسواق ومراكز التجارة أماكن تستخدم كنُزُل، يستريح فيها مرافقو القوافل، وكذلك مساحات تربض فيها دوابها، وعليه لايستبعد وجود من يعملون على توفير متطلبات هذه المرافق وخدماتها.

من كل ما تقدم؛ فإن النشاط التجاري بفعل تأثيره في نشأة المراكز التجارية والأسواق، وكذا ازدهارها؛ يكون قد ساهم - منطقيًا- في خلق المهن والأنشطة الاقتصادية التي ظهرت فيها، كما ساهم في استمراريتها؛ طالما كانت التجارة رائجة.

بما ان الشيء بالشيء يُذكر؛ فإنه في سياق الحديث عن تأثير التجارة المباشر على الأنشطة الاقتصادية؛ لابد من الإشارة إلى مسألة سك العملة، واستخدامها كنظام متقدم في التعاملات التجارية؛ إذ حدث- على الأرجح- بتأثير مباشر للنشاط التجاري؛ بعد أن توسع حجم تبادلات ممالك اليمن القديمة مع الخارج[4].

**ب.التأثير غير المباشر للتجارة:**

لئن كانت التجارة مصدرًا مهمًا من مصادر الثروة التي حازت عليها ممالك اليمن القديمة؛ فقد ظهرت لها تأثيرات غير مباشرة على بعض من الأنشطة الاقتصادية التي لم يرتبط ظهورها وكذلك أداءها-بشكل مباشر- بخطوات سير العمليات التجاري[5]؛ وإنما بفعل هذه التأثيرات تطورت هذه الأنشطة وتقدمت؛ بحيث أصبحت تشكل موارداً

---

كذلك الشبيهة: ترجمات...،ص٦٧.

1- Pliny: Natural History, BK XII, Sec 64, P.47.

2- افتراض وجودهم نابع من طبيعة تداول بعض السلع في الأسواق-الحبوب واللبان على سبيل المثال- ؛ والتي تعتمد على الكيل في التعامل التجاري، كما ورد إشارة لوجودهم عند بليني، عندما ذكر كيل اللبان في شبوة بغرض تثمينه ينظر: Pliny: Natural History, BK XII, Sec 63, P.47 كذلك الشبيهة: ترجمات...، ص٦٦.

3- بافور (وآخر): تاريخ اليمن القديم...، ص٢٠١.

4- سيدوف، اكسندر و دافيد، بريان: "سك النقود والمسكوكات"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١١٨. ولمزيد من التفصيل حول سك العملة ينظر الفصل ذاته، فيه.

5- هي أنشطة اقتصادية ترتبط- ثانيًا وأصلًا- عن مناشط التجارة وأجراءاتها وتشكل- في الغالب- في صميم ما ظهر من تخصص في مجالي الحرفة والرعي، وكان للنشاط التجاري تأثيرًا قويًا في تفعيلها وتوسيعها-كما سيأتي لاحقًا-.

مادية- ربما ثابتة- ليس فقط للممالك؛ بل أيضا لبعض الشعوب والقبائل-بحكم التخصص-، وكذلك لمن امتهنها (اتخذها مهنة) من السكان، ليس ذلك فحسب؛ بل انعكس تقدم هذه الأنشطة وازدهارها بشكل إيجابي على تقدم النشاط التجاري ذاته، السطور التالية تحمل تفاصيل أكثر عن أهم هذه الأنشطة وأثر التجارة عليها:

**ب-١- في المجال الحرفي:**

من المهام الرئيسة التي اضطلعت بها التجارة- كنشاط اقتصادي محوري- في التاريخ القديم هو الترويج لكل ما تنتجه الأنشطة الاقتصادية الأخرى- بما فيها النشاط الحرفي-من منتوجات، والبحث عن أسواق رائجة لها وتصريفها[1]، وعليه؛ ما من شك بأن أثر التجارة كان مباشرًا على تقدم الإنتاج الحرفي وازدهاره؛ من خلال توفير الموارد اللازمة، وإتاحة الفرصة لتبادل المواد الخام الضرورية لاستمرارية الإنتاج الحرفي وزيادته، وأخيرًا من خلال دور التجارة في تصريف منتجات النشاط الحرفي.

غير أن التأثير غير المباشر للتجارة في هذا المجال، ظهر من خلال دورها في تقدم تقنيات بعض الحرف؛ لعل أهمها: حرفة البناء،وحرفة التمثل (بناء التماثيل الحجرية والبرونزية)[2].

فيما يخص حرفة البناء، فإن التأثير غير المباشر للتجارة يتجلى من خلال ما ترتب من نتائج؛ جراء تدفق ثروات التجارة على الممالك؛ إذ كانت (الثروات) عاملا محفزًا لها؛ للقيام بالمشروعات الإنشائية الكبرى؛ ممثلة بالعمارة الضخمة (سدود، قصور، معابد) وغيرها من المنشآت[3]؛ التي لازالت آثار بعضها باقية؛ كخير شاهد على تقدم حرفة البناء.

---

[1] -يُعد بيع الأراضي والعقارات وشراؤها، وكذلك العمل في مجال الوساطة التجارية من المهام التي تكفلت بها التجارة أيضًا.

[2] - الشيبة: أقول...، النسخة المنقحة (غير منشورة)، ص١٦، الحديث هنا يقتصر على بعض الحرف؛ كالنشطة الاقتصادية مارسها عدد من الناس-على مايبدو غير قليل- وشكلت مصدر دخل لهم، وتطور هذه الحرف-بتأثير التجارة- لابد أنه انعكس إيجابيًا على حياتهم.

[3] -أسوار المدن، والحصون، والطرق المعبدة، والممرات المحفورة في الجبال( مبلقة مثلا)، ومنشآت الموانئ على سبيل المثال، للمزيد يُنظر الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١٩٥-٢٣٠. حول منشآت الموانئ (ميناء قنا أنموذجًا) يُنظر الشعيبي: ميناء قنا...، ص١٢٨-١٤٥.

إلا أن تأثير التجارة على هذه الحرفة لايمكن حصره في ذلك فقط؛ بل أنه يتعداه؛ بحيث يمكن أن يُعد الازدهار التجاري للممالك عاملا مهمًا من عوامل تطور تقنيات البناء وفنونه؛ فالتطور التي شهدته الممالك بتأثير نجاح النشاط التجاري أتاح لها-على مايبدو- الاستمرار في عملية البناء والتوسع في العمران قرونًا من الزمن، من ثم فإن الاستمرارية في حركة البناء من شأنه أن يؤدي إلى التحسن الدائم لتقنيات أعمال البناء والتشييد؛ بما يتواكب مع تطور المجتمعات ونموها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أدى الاتصال بالحضارات الأخرى عن طريق العلاقات التجارية إلى انتقال الكثير من التأثيرات الفنية الخارجية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية[1]، ومنها التأثيرات الفارثية (البارثية)، وكذلك التأثيرات الهيلينستية القادمة من العراق وسورية ؛ لاسيما في مجال زخرفة البناء التي ظهرت على الأعمدة والجدران؛ ويمثل قصر (شقر) في شبوة أنموذجًا جيدًا لوجود مثل هذه التأثيرات[2].

**ب-٢- في مجال تربية الحيوان:**

بخلاف التأثير المباشر للتجارة على مجال تربية الحيوان؛ الذي يظهر في أسواق بيع ء الماشية وشراءها[3]، فإن تأثيرًا غير مباشر أظهره النشاط التجاري على هذا المجال- أيضًا-؛ لاسيما فيما يتعلق بتربية الإبل؛ إذ كان لازدهار التجارة دورًا كبيرًا في تكريس مزيدٍ من التخصص على مستوى هذا النشاط؛ فمع توسع التجارة البرية في الألف الأولى قبل الميلاد- بالضرورة- كانت الحاجة شديدة لتأمين دائم لوسيلة النقل؛ الإبل على وجه الخصوص كونها-دون غيرها من حيوانات النقل[4]- قادرة على خفر

---

[1] - لمزيد من التفصيل يُنظر ناشر: التجارة بين...، ص١٨٦-١٩٣.

[2] -سنيه، جاك:" القصر الملكي بشبوة (الهندسة المعمارية، وتقنية البناء، وتصور شكل المبنى)"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت، ص٧٧. كذلك أدوان، ريمي: النحت والرسوم في قصر شبوة الملكي، في الكتاب ذاته، ص٧٩ و ص٨٣-٨٤.

[3] - النقشان التاليان يمثلان نموذجين للنقوش التي تتحدث عن بيع وشراء الماشية (RES 3910=GL 524)، (Ja 2856=GL 913).

[4] - كالبغال والحمير يُنظر الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٣٧.

تراب الصحراوات لنقل السلع والبضائع التي تتاجر بها ممالك اليمن القديمة مع أسواق الممالك في مصر وسورية والعراق.

إن اللجوء إلى استخدام نظام القوافل؛ مع انتعاش التجارة البرية وتوسعها أتاح الفرصة أمام محطات الراحة ومراكز التجارة على الطرق البرية للقيام بمهمة أخرى[1] تمثلت بتوفير الإبل البديلة لقوافل التجارة؛ إذ أن استبدال الإبل المتعبة بغيرها نشيطة كان أمرًا شائعًا على الطرق الطويلة-على مايبدو-؛ بل أن هناك من يرى أن ذلك لايتم فقط عن طريق البيع والشراء للإبل؛ ولكن-أيضًا-من خلال استئجارها من أصحابها في المحطة أو المدينة التي تتوقف عندها القافلة[2]، غير أن النموذج البارز للتخصص في مجال تربية الإبل تقدمه قبيلة أمير-بين الجوف ونجران-؛ بحيث يُصف سكانها بأنهم مربّو إبل، ويبدو أن هذه الحرفة كانت تذر عليهم الكثير من الأموال؛ لاسيما وأنهم - على الأرجح- كانوا يزودوا الممالك بالإبل التي تحتاجها قوافلهم التجارية[3]، في الواقع؛ كرب إيل وتر-ربما- قدم الدليل على احتراف هذا الشعب تربية الإبل؛ عندما ذكر في نقش النصر إنه غنِمَ مئتي ألف من الماشية؛ تضمنت بقرًا وإبلا وحميرًا جراء حملته على مهامر وأمير[4].

**ب-٣- في مجال الضرائب[5]:**

لاتكاد موارد ممالك اليمن القديمة من النشاط التجاري تتوقف عند الأرباح التي تجنيها من عمليات البيع والشراء فحسب؛ بل شكلت عائدات الضرائب التي فُرضت

---

[1] -تم التطرق للمهام التي انيطت بمحطات الراحة ومراكز التجارة على الطرق البرية؛ يُنظر المبحث ذاته، ص

[2]-Groom, Nigel :Frankincense and Myrrh, astudy of the trade, Longman, London and New Work, Librairie du Leban, 1981, p.211.

[3]-Wissmann: Zur Geschichte, taff III A Himyar, Ancient History, pp.129, 137.

نقلا عن الحمد: الأحوال...، ص٤٤٥.

[4] -يُنظر نقش (RES 3945 =GL 1000A)، السطر (١٩).

[5] - يُذكر أنه - حتى الآن- لم يتم العثور على نقوش بعينها؛ تحوي قوانين ضريبية عامة، تشمل مواد وأحكام الضرائب في كل مملكة- وإن لايُستبعد وجودها-، وما جاء عن الضرائب في النقوش عبارة عن نصوص تحدد الضرائب على أنشطة محددة، وبشكل متفرق، لكنها بالمجمل ساعدت- لوقا ما- الباحثين على وضع تصور عام حول الضرائب في ممالك اليمن القديمة؛ يُنظر الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٩٢، كذلك النعيم: التشريعات...،ص١٨٧.

على عروض التجارة- السلع والبضائع المتداولة في مراكز التجارة والأسواق- مورد آخر استفادت منه الممالك، كما استفادت منه معابدها[1].

بيد أن الممالك لم تكتف بفرض الضرائب على مناشط التجارة فقط؛ ولكنها فرضتها-أيضًا- على عدد آخر من الأنشطة الاقتصادية؛ يذكر منها على سبيل المثال:

- ضرائب زراعية؛ أهمها: ضريبة الأرض[2]، أو استئجارها[3]، الضريبة على المحاصيل[4].
- ضريبة على السلع الغذائية[5].
- ضريبة على المستوطنين[6].
- ضريبة الرأس[7].
- ضرائب المعابد؛ أهمها: الضريبة على المحاصيل الزراعية[8]، الضريبة على القاطنين في أراضي المعبود[9]، ويُذكر أنها ضرائب مقدسة[10].

مرة أخرى؛ يبدو أن تأثيرًا غير مباشر يحسب للتجارة فيما يتعلق بفرض تلك الأنماط من الضرائب، ذلك لأن إقرار الضريبة- في العادة- يكون على الأنشطة التي تشهد ازدهارًا فعليًا وثابتًا، وطالما أن تطور النشاط التجاري وتقدمه قد انعكس تأثيره إيجابيًا على اقتصاديات ممالك اليمن القديمة وأنشطتها[11]؛ فإنه من المقبول افتراض أن ذات التأثير للنشاط التجاري كان قد مسّ تلك الأنشطة، مما أدى إلى انتعاشها إلى درجة أن سلطات الممالك فرضت الضرائب عليها، وبذلك تكون التجارة قد ساهمت بطريقة

---

[1] - مزيد من التفاصيل يُنظر الصمد: الأحوال...، ص٢٧٠-٢٧٦.

[2] - نقش (CIH 601= RES 2726= Sh10)، السطر (٨).

[3] - يُنظر: الصمد: المرجع السابق، ص٢٧٢.

[4] - نقش (CIH 563 + 956).

[5] - نقش (M 356 = RES 3695)

[6] - نقش (CIH601 = RES 2726 = Sh10)، سطور متفرقة.

[7] - النقش ذاته، السطر الثامن، كذلك نقش (RES 3879).

[8] - في النقائب عشر المحصول؛ يُنظر على سبيل المثال النقوش: (RES 4176)، السطر (٥)، (الريحاني ٢٦)، (GL 1361).

[9] - نقش (GL 1143)

[10] - نقش (RES 4176)، السطر (٩).

[11] - بحسب ما تم تناوله وترجمته في صفحات هذا البحث.

غير مباشرة في خلق موردٍ اقتصاديٍّ؛ استفادت منه الممالك وهيئاتها الدينية[1]. الجدير بالذكر في موضوع الضرائب-عمومًا-؛ أن سلطات الممالك لم تكن لتتهاون في أمور تحصيل الضرائب وتأديتها؛ إذ كانت تفرض غرامات[2]، وعقوبات على المتهربين والمتقاعسين عن سدادها؛ تصل-أحيانًا- إلى معاقبتهم بزيادة الضريبة المقررة عليهم إلى الضعف أربع مرات[3]، كذلك عقوبة الإبعاد أو النفي لمدة محددة من الزمن[4]، إلا أنها- أحيانًا أخرى- كانت تمنح مهلة للسداد[5].

---

1- يُظن أن جزءًا واسعًا منها تصرفها الممالك للصالح العام مثل: إقامة المشاريع العامة، وبناء أسوار المدن وحصونها، ومشاريع الري؛ يُنظر: النعيم: التشريعات...، ص١٨٨، وبالنسبة للمعابد فإن جزء من عائدات الضرائب يتم إنفاقه في إقامة الولائم الدينية في الأعياد، وكذا إطعام الحجيج، يُنظر النعيم: ذاته، وكذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١٦٢. في هذا الصدد؛ قد تكون هناك ضرائب استثنائية تفرضها الممالك لصالح المجهودات العسكرية والحربية؛ لاسيما عند نشوب الحروب، الحمد: الأحوال...، ص٣٧٢-٣٧٣.

2- انظر (CIH 603A = RES 2860)، كذلك (RES 4325).

3- انظر (CIH 563 + 956)، السطر (٥).

4- انظر ذاته.

5- انظر (RES 2695).

## المبحث الثالث: تأثير التجارة على أوضاع الممالك الاجتماعية

ثمة قناعة سائدة في الوقت الحاضر[1] بأنه من المتعذر تركيب لوحة واضحة، تحدد طبيعة البنية الاجتماعية لممالك اليمن القديمة، وتحدد التراتبية المجتمعية فيها[2]، ومن ثم ليس بالإمكان تكوين صورة شاملة- نسبيًا- لمجمل الأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمعاتها[3]*.

بيد أن تطورات الأوضاع السياسية والاقتصادية في ممالك اليمن القديمة في الألف الأولى قبل الميلاد- من كل بد- ألقت بظلالها على الأوضاع الاجتماعية فيها[4]- بكل ما اعتراها من تعقيدات وإشكاليات-، وتأسيسًا على ذلك؛ ليس هناك مايمنع ترجيح ظهور تأثيرات مهمة للنشاط التجاري على العديد من تفاصيل الحياة الاجتماعية التي عاشها سكان هذه الممالك آنذاك، فيما يلي عرض لأهم الجوانب الاجتماعية التي تأثرت بالنشاط التجاري وبازدهاره:

### ١- التعايش بين سكان الممالك:

لاريب أن التجارة- بعلاقاتها الداخلية والخارجية- ساهمت بطرق مختلفة في القضاء على العزلة التي من المفترض أن تصاب بها مجتمعات ممالك اليمن القديمة؛

---

[1] - بحسب المعطيات الأثرية المتوفرة ، والقراءات التي أتاحتها النقوش المدروسة-حتى الآن- بمختلف أنواعها.

[2] - هي غير تراتبية السلطة وبنياتها في الممالك، فالمقصود هنا صعوبة تحديد التركيبة الطبقية لمجتمعات الممالك وفئاتها، وكذلك القصور في معرفة المكانة الاجتماعية التي تميز السكان بعضهم عن بعض، بالإضافة إلى الأدوار الاجتماعية التي تؤديها كل طبقة وفئة.

[3] - الشبيبة: أقول...، نسخة منقحة (غير منشورة)، ص١٥-١٦ وص٤٢، كذلك الحمد: الأحوال...، ص١٣٥-١٣٦.

* - من الدراسات المهمة التي تناولت- في موضوعات متفرقة- بعض الأوضاع الاجتماعية لممالك اليمن القديمة مايلي الشبيبة: دراسات...، ص٢٥٨-٢٨٤، كذلك الحمد: المرجع السابق، الفصلان الثاني والثالث، ص١٠٥-٣٠٤، وهناك دراسة عن بنية السلطة في مملكة سبأ في كتاب لولدن، أ.ج: دولة مكربي سبأ (الحكم الكاهن السبئي)، ترجمة د.فاند طروبان، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٤م، ص٢٧٥-٣٠٩.

[4] - الدوري: التكوين التاريخي...، ص٢٥ ،كذلك الشبيبة: أقول...، ص١٥.

طالما ذأب دارسو تاريخها القديم في وصفها بأنها مجتمعات زراعية في الأساس[1]؛ فالنشاط التجاري كنشاط اقتصادي اشتركت فيه جميع الممالك، وفر إمكانية الحركة للسكان بين الممالك بدلا من التقوقع في حدود ممالكهم، كما أن المراكز التجارية والأسواق شكلت مواقع مهمة لتواصلهم واحتكاك بعضهم ببعض، وما يتبع ذلك من نشوء للعلاقات، ونقل للأفكار، وتبادل للخبرات، وغير ذلك.

لعل أهم ما يمكن الاستدلال به لتدعيم فكرة التعايش بين سكان ممالك اليمن القديمة، هو ما جاء في بعض النقوش من أمور استيطان- أو توطين- لبعض الأقوام، وكذلك وجود الجاليات من المتعاطين بالتجارة في عواصم الممالك ومدنها التجارية[2]، بالإضافة إلى ماجاء في كتابات الكلاسيكيين، لاسيما كتاب الطواف بشأن وجود جاليات- أغلبها تجارية- في بعض الموانئ والمدن، وكذا اجتماع الملاحين العرب وأصحاب السفن والمتاجرين في أسواقها[3]، وعليه يمكن الحديث بشيء من الطمأنينة عن وجود نوع من الاندماج الاجتماعي بين سكان الممالك ومجتمعاتها، وتعايش قائم

---

[1] - على سبيل المثال يُنظر بوتون: " العربية السعيدة..."، في حوليات ٢٠٠٤م، ص١٠، كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٢٣٩، في هذا الصدد وبعد هذا المشوار في هذه الدراسة، لايتحمس الباحث للرأي الذي يصف مجتمعات ممالك اليمن القديمة بأنها مجتمعات زراعية، وأن حضارتها زراعية؛ فالمجتمع الزراعي- في الغالب- مجتمع مغلق، يعيش نمطية معينة من العلاقات- تضيق به الأفق بما رحبت-، وهو مجتمع شديد التمسك بالأرض -لابيع أو تأجير لها إلا فيما نذر-، قليل التأثير بمحيطه الخارجي ونادرًا ما يتأثر به، كما لايسمح بوجود الغريب، ويقاوم التغيير، حاجاته محدودة وقوانينه محددة؛ ومن ثم فإن نتاجه الحضاري لن يخرج عن هذا الإطار، غير أن المطلع على نتائج الأبحاث الأثرية، وما خرجت به قراءات النقوش المدروسة- حتى الآن-، كذا ماروته كتابات الكلاسيكيين عن تلك المجتمعات- بما فيها من مبالغات أحيانًا- سيجد أنها مجتمعات أكثر من أن تكون زراعية فحسب؛ بما أبدعته في المجالات العمرانية، والصناعات الحرفية، والمعاملات التجارية، والمعتقدات الدينية، بالإضافة إلى مجالات التشريع، والفنون والفكر، ناهيك عن نجاحها في صياغة علاقاتها المدنية والإنسانية على المستوى الداخلي والخارجي، ومن ثم – بتواضع جم- يقترح الباحث؛ في وصف هذه المجتمعات استعمال العبارة التالية: (مجتمعات مدنية زراعية -تجارية).

[2] - بالنسبة للاستيطان أو التوطين يُنظر على سبيل المثال النقوش: (M 202 = RES 2980 = Fa14) (YM 23206) (CIH 601= RES 2726 = Sh10)، وفيما يتعلق بالجاليات يُنظر نقشا: (VL.9)، (RES2999)، كما يُنظر بالفقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢٨-٢٩. أيضًا بروتون: " العربية السعيدة..."، في كتاب حوليات ٢٠٠٢، ص١٤. أيضًا الدفيف: مملكة قتبان...، ص١٤١-١٤٢.

[3] - The Periplus: Secs 21,26, 28, 30, 31, p.30-35.

كذلك الشيبة: ترجمات...، ص٧٧-٨٢. على الرغم من الاعتقاد السائد بأن كتاب الطواف ينتمي للعهد الميلادي (النصف الثاني من القرن الأول)كما يرجح، يُنظر الشيبة: "دراسات...، ص٢٢٣؛ إلا أن ما جاء فيه عن الموانئ -على الأرجح- لايختلف عما كان في القرون السابقة للميلاد.

على المصالح؛ وكان التجارة بما قامت به من دور في التقريب بين السكان قد ساهم في بلورة بعض المفاهيم الاجتماعية؛ ربما أهمها القبول بالآخر، وإلا كيف يفسر قبول الغريب والتعامل معه؛ بل وحصوله على بعض الحقوق ومراعاتها طالما يؤدي الواجبات المنوطة به[1].

## ٢- التواصل الاجتماعي بين الجاليات في الخارج ومجتمعاتها المحلية:

ترتب على واقع تقدم النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة أن استقرت مجاميع من سكانها في مناطق خارج نطاق جنوب شبه الجزيرة العربية؛ على هيئة جماعات استيطانية[2] أو على مستوى الأفراد[3]؛ إلا أنهم -على مايبدو- ظلوا على اتصال بمجتمعاتهم المحلية- اتصلا فعليًا ومعنويًا-، أما الفعلي فقد دلت عليه بعض النقوش التي تمّ العثور عليها في بعض المدن- لاسيما المعينية-؛ والتي تشير إلى مساهمة أصحابها في القيام ببعض الأعمال الإنشائية لصالح تلك المدن- على الأرجح المدن التي ينتمون إليها-، وأهم الأعمال المذكورة في تلك النقوش مايلي:

- بناء البوابة الرئيسة وجزء كبير من السور الجنوبي لمدينة براقش[4].
- بناء قلعة (محفد) في الجانب الشرقي من قرناو[5].
- بناء برج على سور براقش[6].

---

[1] - يُنظر القانون التجاري القتباني على سبيل المثال، نقش (RES 4337).

[2] -أبرز المستوطنات هي المستوطنات المعينية في ددان (العلا)، والحجر (مدائن صالح)، ومعان، والأخيرة يبدو أن أقوام سبئية حلت محل المعينيين فيها، ولا يُستبعد وجود المستوطنات أخرى استقر فيها سكان من ممالك اليمن القديمة، يُنظر بالفقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢٧، كذلك أبو الغيث، عبدالله: العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، الجزء الأول، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٤٧-٤٨. كذلك العمري: طريق البخور...، ص١٣١-١٣٣ و ص١٣٦-١٣٧.

[3] -النماذج المتوفرة تتمثل في (زيد إل بن زيد) المعيني في مصر؛ يُنظر نقش (RES 3427)، وكذلك المعينيين(حنا وزيد إل) في جزيرة ديلوس اليونانية؛ يُنظر نقش (RES 3570)، بالإضافة (غالب/ غلبهم كل...)-يبدو الاسم ناقصًا- وهو من حضرموت في الجزيرة ذاتها؛ يُنظر نقش (RES 3952).

[4] - نقش (RES 3022).

[5] - نقش ( RES 2771).

[6] - نقش (RES 2930).

- المساهمة في بناء سور مدينة معين[1].
- القيام بأعمال إنشائية تتعلق بالري في قرناو[2].

لايتوقف الاتصال الفعلي عند حدود البناء والتشييد؛ بل أن المعنيين في ددان دأبوا على إرسال ضرائب التجارة إلى الملك في الوطن الأم عن طريق الحاكم (الكبير)؛ الذي ربما كان يتم تعيينه من قبل الملك المعيني ذاته[3]*.

بينما التواصل المعنوي للمستوطنين في الخارج مع مجتمعاتهم في الداخل يظهر من خلال النقوش التي تذكر أسماء الآلهة المعبودة في مدنهم جنوب شبه الجزيرة العربية، وكذلك من خلال الإهداءات التي يقدمونها بأسماء تلك الألهة[4].

الجدير بالقول فيما يرتبط بهذا الموضوع؛ أن العلاقة بين المستوطنين في الخارج ومجتمعاتهم المحلية كانت- على الارجح- أقوى بكثير مما جاء ذكره أعلاه؛ وربما الدراسات المستقبلية لجديد النقوش- لاسيما الخشبية- تكشف المزيد من المعلومات عن تلك العلاقة.

## ٣- الوضع الاجتماعي للمرأة:

من الصعوبة- في الوقت الراهن- معرفة حقيقة المكانة الاجتماعية التي تبوأتها المرأة في مجتمعات ممالك اليمن القديمة؛ غير أن الشذرات من المعلومات التي وفرتها

---

[1] - نقش (MAFRAY-Ma'in 13).

[2] - نقش (RES 3707).

[3] -علي، حواد: المفصل...، الجزء الثاني، ص١٢١.

* ذكر الباحث نماذج للعلاقة الفعلية التي ربطت المستوطنين في الخارج من مواطني مملكة معين بمدنهم من خلال النقوش، ولايستبعد وجود علاقات مماثلة ربطت مواطني الممالك الأخرى بمدنهم وممالكهم؛ على الرغم من أنه لم يتم العثور على نقوش تدل على ذلك حتى الآن.

[4] - بالعودة إلى النقشين اللذين عثرا عليهما في جزيرة ديلوس اليونانية يُلاحظ الآتي: نقش (RES 3570)، منقوش على مذبح، صاحباه من معين، ورد فيه أنهما يهديان هذا المذبح لمعبودهم (ود) إله معين الرئيس. أما نقش (RES3952)، منقوش على بلاطة من المرمر، صاحبه من حضرموت، ورد فيه إنه إهداء لإله حضرموت (سين ذي اليم).

النقوش المدروسة حتى الآن- تدفع إلى اهتمام أعمق وضعها الاجتماعي على هذا الصعيد أو ذاك.

إن الشك يكاد يكون بحكم المعدوم حول تأثير النشاط التجاري على وضع المرأة الاجتماعي في تلك المجتمعات؛ فالتجارة بعلاقاتها المختلفة خلقت علاقات اجتماعية أكثر انفتاحًا؛ بما سمحت به من احتكاك لمجتمعات جنوب شبه الجزيرة العربية بعضها مع بعض، وبما أتاحته من فرص التواصل الحضاري مع مدنيات وحضارات المجتمعات الأخرى؛ لاسيما مجتمعات الشرق القديم[1]، وعليه لابد أن مكانة المرأة قد تأثرت- بالقدر ذاته التي تأثرت به مجتمعاتها جراء ذلك الانفتاح في العلاقات الاجتماعية.

فيما يلي عرض لما جاء في بعض النقوش[2] عن أهم مظاهر الوضع الاجتماعي للمرأة في مجتمعات ممالك اليمن القديمة، مع تلمس تأثيرات النشاط التجاري عليها[3]:

---

[1] - بافقيه، محمد عبدالقادر: توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ترجمة د.محمد علي زيد، الطبعة الأولى، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٧م، ص٢١.

[2] - إن الحديث عن مكانة مرموقة حظيت بها المرأة على جميع المستويات في اليمن القديم ( يُنظر الجرو، اسمهان: " نماذج من مبدأ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة "، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية (جامعة عدن) ، العدد (٢٤)، نوفمبر ٢٠٠٦م، ص٢٢) يُعد أمرًا مبالغًا فيه- على الأقل حتى الآن- إذ أنه باستثناء ما جاء في المصادر الدينية بشأن ملكة سبأ- سبأ مأرب أو سبأ الشمال- وما جاء في نقش (إريماي ١٣)، السطر (٧) من ذكر للملكة (ملك حلك) زوجة ملك حضرموت- إذا جازت القراءة والتفسير- فإن المصادر بما فيها النقوش لم تشر إلى وضع سياسي للمرأة تمكنت من خلاله أن تؤدي دورًا مؤثرًا في سياسة القصر -حتى وإن كان دور غير علني؛ على غرار نساء القصور في المجتمعات الأخرى، والأزمنة اللاحقة، الدولة العباسية على سبيل المثال- كما أنه ليس هناك مايشير إلى أن المرأة خلفت للعروب وأقدامها، وحققت انتصارات فيها، يضاف إلى ذلك أن المرأة لم تذكر ضمن قوام المجالس الاستشارية للممالك، مع العلم أن التشريعات التي عثر عليها لم تبين مكانة مرموقة للمرأة. وهكذا بالنسبة لدورها في الجانب الاقتصادي، إلا أنه -بالمقابل- لايمكن تجاهل المكانة الاجتماعية التي تحظى بها المرأة داخل الأسرة باعتبارها عنصرًا مؤثرًا في الأسرة والمجتمع؛ والتي بلغت بها حظيت بها في مجتمعات ممالك اليمن القديم كما سيأتي في متن هذا الموضوع لاحقًا.

[3] - وهي النقوش المتوفرة والمدروسة حتى الآن فقط.

[4] - من المهم الإشارة إلى أنه ربما لم تكن للمرأة ذات الوضع الاجتماعي في كل مجتمعات ممالك اليمن القديمة، وكذلك في كل المناطق حتى في إطار المملكة الواحدة؛ كما أن مكانتها الاجتماعية-على الأرجح- لم تكن على الوتيرة ذاتها، بل ربما تأثرت وتبدلت على امتداد القرون التي أزدهرت فيها الممالك في الألف الأولى قبل الميلاد، وسيتم الاكتفاء هنا بذكر بعض المظاهر لاجتماعية للمرأة؛ لعلها تساعد على معرفة تأثير النشاط التجاري على مكانة المرأة الاجتماعية.

## أ. المرأة في تشريعات الممالك:

قليلة هي النقوش التشريعية التي خصصها مشرعو الممالك للمرأة، أو التي ذُكرت فيها المرأة إلى جانب الرجل؛ ففي نقش سبئي؛ يُصنف بأنه تشريع جنائي جاءت فيه المرأة على قدم المساواة مع الرجل في نيل عقوبة الإعدام في حال ارتكاب جريمة قتل[1].

نقشان آخران يندرجان ضمن التشريعات الاجتماعية أتيا على ذكر المرأة، أحدهما معيني؛ يُنظم الزواج في (ددان) بين المعينيين (ذكور وإناث) وأهل ددان؛ بحيث تصبح الددانية مواطنة معينية بمجرد زواجها من رجل معيني، بينما ذرية المرأة المعينية (أبناء وبنات) يكتسبون حقوق المعينيين حتى لو كانوا من أب ددانيّ[2]. أما الأخر؛ فهو قانون اجتماعي لمدينة مطرة[3] السبئية؛ وفيه يمنع المشرّع زواج المطرية من الغرباء وإن كانوا من المناطق المجاورة لمدينة مطرة[4].

وهكذا فإن هذين النقشين (التشريعين)، يوحيان بمدى انفتاح العلاقات الاجتماعية- تأثرًا بالنشاط التجاري دون شك-؛ وعلى الرغم من أن النقش الأخير يُحرم المرأة حق من حقوقها؛ إلاّ أنه يدلّ على أن الأصل في زواج المطريات-وهن سبئيات- هو حقهن في الزواج من خارج المدينة، وأنه كثر- حينها- زواج النساء من الغرباء، فأصبح يهدد العلاقات الاجتماعية في مطرة، لذلك اضطرت سلطات المدينة إلى إصدار هذا القانون.

## ب. المرأة سياسيًا وإداريًا:

يشير البعض إلى احتمالية تولي المرأة وظيفة المقتوي[5]، وهي وظيفة تبدو على قدر من الأهمية؛ كونها تتدبر شؤون شخصية مهمة في المجتمع، كملك أو قيل أو قبيلة بذاتها[6].

---

[1] نقش (CIH 126 = Hofner 42 = GL 105)، السطور (٨) (١١) (١٣).

[2] نقش (RES 3699)، يبدو هنا أن المرأة لها مكانة اجتماعية متميزة؛ بحيث يُسمح لها بالزواج من ددانيّ- يدل على علاقات اجتماعية منفتحة-، كما أنها تتمتع بحق منح زوجها المواطنة المعينية.

[3] - على بُعد ٤٥ كم؛ شمال شرق صنعاء، الجرو: "نماذج..."، هامش (٤٨)، ص٣١.

[4] - نقش (Qutrat 1)، السطور (٣) (٤) (٥).

[5] - الجرو: المرجع السابق، ص٣١.كذلك الحمد: الأحوال...، ص٢٥٨.

[6] - كما أنها تعني أمير الجند. يُنظر المعجم السبئي، ص١٠٩.

## ج.المرأة اقتصاديًا:

في الجانب الزراعي؛ يبدو دور المرأة أشد وضوحًا؛ فعلاقتها بالأرض قديمة، تبدأ منذ البدايات الأولى للتقسيم الاجتماعي للعمل بين المرأة والرجل[1]، عندما تولت مهمة جمع الثمار بينما انصرف الرجل نحو الصيد، وبعد ظهور الزراعة كان دورها مهمًا في زراعة الأرض وتحمل أعبائها؛ فلا غرابة أن المرأة في مجتمعات ممالك اليمن القديمة قد امتلكت أراض زراعية، لاسيما وأنها قدمتها ضمن ما كانت تقدمه من هبات إلى المعبد[2]، أما التجارة فلا يُستبعد أن يكون لها دورًا فيها أيضًا؛ ففي نقش حضرمي يرد أن امرأة أولت زوجها الثقة بالمتاجرة بأموالها[3]، ومن ثم فإن امتلاك المرأة لذمة مالية خاصة بها في مجتمعات ممالك اليمن القديمة مسألة واردة.

## د.المرأة في الجانب الديني:

إن وجود آلهة أنثى؛ مثل (عثترم) في معبد خاص، زواره من النساء[4]- كما يُعتقد- وكذلك (ذات حميم)[5] في إطار مملكة حضرموت؛ إنما يُعد مؤشرًا للمكانة الدينية المهمة التي نالتها المرأة في هذه المملكة[6].

في الواقع أن المعلومات التي وفرتها النقوش حول تألية المرأة تجعل من السهولة بمكان تقبل فكرة أن تكون المرأة في مجتمعات ممالك اليمن القديمة قد تقلدت مناصب رفيعة في المعابد؛ ربما أهما:

---

[1] - يُنظر الفصل الأول ، المبحث الأول، ص٢٩، هامش (٤).

[2] - الجرو: نماذج...، ص٢٣

[3] - ذاته.

[4] - لوندين، أو بتروفسكي: " نقوش حضرموت الداخل"، في كتاب حضرموت القديمة والمعاصرة، الأبحاث الميدانية لعام ١٩٨٧م، المركز اليمني للأبحاث والثقافة والآثار والمتاحف وأكاديمية العلوم السوفيتية، سيئون ١٩٨٧م، ص٧٥.

[5] - ذكرت في عديد نقوش، منها على سبيل المثال: نقشا (Rb 1/84 No 179 a-e Soyce 705)، السطور (١٢)، (٥)، (٦). و (Rb 1/84 No 198 a-f= Soyce 706)، السطران (١)، (٧).

[6] - الاحتمال قائم حول إمكانية الطور- مستقبلا- على ما يطرأ الانطباع ذاته عن مكانة المرأة الدينية في الممالك الأخرى؛ لاسيما وأن المعبودة (شمس) ظهرت كمعبودة رئيسية في حمير؛ يُنظر النعيم: التشريعات...، ص٧٧.

- رشوت (رش)، وهو لقب لصاحب منصب ديني[1]، هناك من يعتقد أنه منصب (كاهن)[2]، ففي نقش قتباني جاء ذكر سيدة تدعى (بران)؛ وصفها بأنها رشوت الإله عم في معبد (دي دبور)[3]. نقش آخر لكنه سبئي يشير إلى أن (ودد إل بن هلك أمر بن حزفرم كانت تتولى منصب (رشو) في ذلك العام)[4] - عام كتابة النقش-.
- أمنهت (أمنهات) المشرفة على معامل المعبد[5].
- أمنت (أمن)، أمينة، وكيلة، مشرفة في المعبد[6].
- لوات (لوا)، مشرفة الأراضي الخاصة بالمعبد[7].

إذا كان للمرأة وضعًا مميزًا في الجانب الديني؛ إذ تولت مناصب مهمة في المعبد مثلها مثل الرجل؛ وهي مناصب- على مايبدو- كانت المعابد تعتمد عليها في تسيير شؤونها؛ بل ربما شكلت أساس نشاطها.

وقد لايكون ذلك كل ما تحصلت عليه المرأة من حقوق في مجتمعات ممالك اليمن القديمة؛ إذ ربما النقوش غير المدروسة- الخشبية على وجه الخصوص- تكشف المزيد من المعلومات التي توضح حقيقة وضعها الاجتماعي ومكانتها في تلك المجتمعات؛ لاسيما وأنها أدركت المساواة مع الرجل في عديد مسائل؛ كحقها في الإرث؛ بما في ذلك إرث المنصب أو الوظيفة عن أبيها[8]، وكذلك الحق في اللجوء إلى السلطة لإنصافها[9]، ناهيك عما جاء أعلاه من أمثلة.

---

[1] - المعجم السبئي، ص١١٨.
[2] - الجرو: " نماذج..."، ص٢٢.
[3] - نقش (CIAS 47.11.01.F 71).
[4] - نقش (CIH 555)، السطور (٨)،(٩)، (١٠).
[5] - نقش (RES 2912)، نقلا عن الحمد: الأحوال...، ص٢٦١.
[6] - ذاته.
[7] - نقشا (RES 3356/ 3697)، نقلا عن الحمد: المرجع ذاته، ص ٢٦٠-٢٦١.
[8] - نقش (CIH 95)، السطر الثاني. كذلك الجرو: نماذج...، ص٢٣.
[9] - نقش (Ja 700).

## المبحث الرابع: تأثير التجارة على الوضع الديني في الممالك

لايزال المشهد الديني في ممالك اليمن القديمة غير مكتمل، كما أن الخلفية التاريخية لآلهتها غائبة[1]، غير أن ذلك لايمنع تأكيد مسألة حضور الدين وتأثيره في كل مناحي حياة سكانها[2]، بيد أن هذا التأثير- على مايبدو- له ما يميزه؛ فهو مرتبط بالواقع أكثر من ارتباطه بالمثاليات والماورائيات-على الأقل حسبما يُستنبط من النقوش المتوفرة حتى الآن-؛ إذ لم تُظهر النقوش؛ لاسيما الدينية مايوحي بوجود علاقة تربط آلهة هذه الممالك بالغيبيات المغلفة بالأساطير، والخوارق من الأفعال[3]، كما لم ترد معلومات تشير إلى تالية الأبطال من أسلافهم أو حتى الملوك[4].

في الواقع لايمكن تكهن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء ذلك التميز الوظيفي للدين في ممالك اليمن القديمة، وهو تميز انسحب على الدين ذاته، فأصبح-بصفة عامة- مرتبطًا بواقع المجتمع، ومحققًا لمصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية[5]؛ إذ لاتذكر النقوش أن الآلهة قد أحاطت ذواتها بعالمها العلوي الخاص[6]، بل على العكس كل ماورد فيه يوحي بمدى تواشج الآلهة في علاقتها مع مجتمعات الممالك؛ فلم تكن

---

[1] - بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢٠١، كذلك موللر، وللتر: " الدين"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١٢١، كذلك الشيبة: دراسات...، ص٥٣، أيضًا عريش، منير:" عالم الآلهة في مملكة قتبان اليمنية قبل الإسلام"، في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الأول، صنعاء ٢٠٠٢، ص١٧.

[2] - عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٥١، كذلك الجرو:" دراسات في التاريخ..."، ص١٢٩ و ص١٨٠-١٨٢، أيضًا عريش: المرجع السابق، ص٢٠-٢١.

[3] كما هو الحال في ديانات ومعتقدات بعض مناطق الشرق القديم، مثل مصر الفرعونية، وممالك بلاد الرافدين، وبلاد الإغريق.

[4] - باستثناء ما يعتقد عن دخول أحد ملوك أوسان إلى عالم الإلهة في آخر أيام المملكة ، الشيبة: دراسات...، ص٧٧،كذلك عريش المرجع السابق، ص١٨، أيضًا د.أحمد باطويل، اتصال شخصي في ١٨/ مايو/٢٠٠٩م.

[5] - عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٥١، كذلك الجرو:" دراسات في التاريخ..."، ص١٨٠-١٨٢.أيضًا شيبمان: تاريخ الممالك...، ص١٤٠.

[6] - على غرار الآلهة المصرية في العصر الفرعوني والآلهة السومرية والآشورية والبابلية في بلاد الرافدين؛ ينظر صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول (مصر والعراق)، ص٣٥٨-٣٥٩ وص٤٧٠-٤٧٣، أيضًا ساكز، هادي: عظمة بابل، ص٣٣٩-٣٤٢ و ص٣٦٧-٣٦٩.

وظيفة الدين ضبط سلوك المجتمع فحسب؛ ولكنها-أيضًا- كانت تلبي متطلبات واقعه المعاش؛ بحيث صار الإله ومعبده ملاذًا لإصلاح الذات[1]، أو حافزًا لتحقيق الإنجازات[2].

لم يكن الوضع الديني في ممالك اليمن القديمة بمنأى عن تأثيرات النشاط التجاري؛ إذ يُرجح أن التجارة أدّت دورًا في بلورة واحدية الفكر الديني ليديها، وكذا في تعايش الآلهة بعضها مع بعض[3]؛فنظام الممالك الديني قام- في الأساس- على تعدد الآلهة[4]، مع انفراد كل مملكة بعبادة إله خاص بها؛ كان يُعد إلهها الرسمي[5]، وكذا اجتماع كل الممالك على تقديس إله مشترك؛ يبدو إنه كان مُقدّمًا على كل الآلهة في جميع الممالك[6].

حقيقةً من غير الممكن أن يكون تأثير النشاط التجاري في زمن ازدهار ممالك اليمن القديمة في الألف الأولى قبل الميلاد قد مس جوهر العقيدة وطبيعة الدين؛ إلا أن هذا التأثير -دون ريب- لامس مواضع مختلفة فيما يتعلق بالدين كنشاط إنساني /اجتماعي على نحو ما سيأتي في السطور التالية:

---

[1] -بدليل نقوش الاعتراف والتكفير الكثيرة على نحو:(RES 3956)،(RES 3957)،(CIH 504)،( CIH 568) (Ja720)(M202= RES 2980) على سبيل المثال لا الحصر.

[2] - يُنظر النقوش: (RES 3945 = GL 1000A) (CIH 366a)، (CIH 315) (CIH 155 = GL 138)، (Doe 6)، (Ja 118)، (RES 3962)، (RES 3965)، (RES 3022)، (RES 2771) على سبيل المثال لا الحصر.

[3] -على نحو ما سيأتي لاحقًا.

[4] -لكل عشيرة إله، ولكل شعب إله، كما لكل منطقة أو مدينة إله خاص؛ وهكذا يُنظر: شيبمان: تاريخ الممالك...، ص١٤٠، كذلك النعيم: التشريعات...، ص٧٧.

[5] - الآلهة الرسمية لكل مملكة كما يلي: (المقه) في سبأ، (عم) في قتبان، (سين/سيان)في حضرموت، (ود) في معين و أوسان وجميعها تمثل القمر. للمزيد حولها يُنظر: بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢٣، الشيبة: دراسات...، ص٥٥-٥٨، وص٧٢، وص٧٦-٧٧، كذلك موللر: " الدين "، ص١٢٢، ١٢٣. أيضًا الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١٣١-١٣٥.

[6] - هو الإله (عثتر)، ورد بالاسم ذاته في نقوش كل الممالك، كما انه يُقدم على كل الآلهة إذا جاء ذكره إلى جانبهم في النقوش، يُنظر على سبيل المثال النقوش: السبئية (RES 3945 = GL 1000A)، السطران (١)، (٢)، (RES 3965) السطر (٤)، (Ja 831) السطر (٣)، القتبانية (Doe 6) السطر (٦)، (RES 3965) السطر (٩)، (Ja 118) السطر (٤)، المعينية (RES 2980)

١ـ هناك من يرى أن الصلات الحضارية التي قامت بين سكان جنوب شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجي[1]ـ كنتيجة للنشاط التجاري- قد أدت إلى تطور الفن الديني لديهم؛ إذ تراجعت الظواهر الدينية البدائية؛ والمتمثلة بالطوطمية والفيتيشية الروحية؛ لتحل محلها الديانة الفلكية التي عبروا عنها بالزهرة والقمر والشمس[2].

٢ـ لا يُستبعد أن يكون قد ترتب على وحدة النشاط التجاري بين الممالك وما تبعها من مراعاة للمصالح المشتركة، وكذا ظهور علاقات اجتماعية ذات سمة تعايشية بين سكانها- على نحو ما جاء سابقاً[3]ـ أن تجسد شعور بالتسامح الديني حتى في الأوقات التي ظهرت فيها الخلافات بين الممالك، ودخلت في صراعات بعضها ضد بعض. وأفصح الأدلة على سيادة هذا التسامح تقدمها النقوش؛ التي تتحدث عن الحروب والانتصارات؛ إذ لا يذكر المنتصر في نقشه عن الحرب أو المعركة التي ينتصر فيها انه قام بالتنكيل بآلهة الطرف المهزوم، أو تحقيرها، أو أنه أجبر السكان على التخلي عن عبادتها[4]، كما لم تشر النقوش إلى تهديم المعابد أو التعرض لها أثناء تلك الصراعات والحروب.

٣ـ سريان مبدأ حرية المُعتقد، واحترام حق الآخر في اختيار الإله وعبادته، ويتجلى ذلك:

أ. في المجمع الديني لكل مملكة، والذي يضم عدد كبير من الآلهة؛ تمثل آلهة الشعوب والعشائر المنضوية في إطار المملكة[5].

---

[1] ـ بالتأكيد قبل ظهور ممالك اليمن القديمة.

[2] ـ الشيبة: دراسات...، ص٤٥ـ٥٥.

[3] ـ يُنظر الفصل ذاته، المبحث الثالث، ص١٢٩ـ١٣١.

[4] ـ يُنظر على سبيل المثال: (RES 3945 = GL 1000A)،(RES 3943)،(Ja 643)،(RES3858)(AS1)؛ الشيبة: المرجع السابق، ص٦٠؛ هولفاد فيلمان: تاريخ الممالك...، ص١٣٩ـ١٤٠، أيضاً عريش، منير؛ شيابكات، جوديس؛ مجموعة القطع الأثرية من محافظة الجوف في المتحف الوطني بصنعاء، الجزء الأول؛ المعهد الفرانسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٦، ص١٦؛ أيضاً الشعب: التشريعات...، ص٧٦.

ب- وفي الاعتراف بالآلهة وذكرها في النقوش، لاسيما في نقوش التحالفات والاتحادات التي قامت تحت سيادة الممالك[1]، وكذلك في النقوش التي يدونها أفراد الجاليات التي تعيش في كنف ممالك غير ممالكها[2].

ج.في السماح للمستوطنين أو أعضاء الجاليات بإقامة المعابد وعبادة آلهتهم في المناطق التي يسكنوها خارج ممالكهم[3].

٤-تشير الدراسات الأثرية إلى أن بناء المعابد الضخمة يعود إلى زمن ازدهار الممالك في الألف الأولى قبل الميلاد[4]، كما يعود إلى ذات الزمن تطور فنون بناء المعابد؛ بما فيها التصميم الهندسي والزخرفة، وكذا المواد المستخدمة في البناء[5]، ومن المرجح أن ذلك كان بتأثير تدفق الثروات على الممالك، أكان عن طريق أرباح التجارة أو عن طريق عائدات الأنشطة الاقتصادية الأخرى- المتأثرة أصلا بالنشاط التجاري على نحو ما جاء أعلاه-[6].

٥-الازدهار الذي حققته الممالك في جميع المجالات؛ بما فيها المجال الاقتصادي - التجارة والزراعة على وجه الخصوص-؛ انعكس إيجابيًا على وضع المعابد، إذ

---

1- يُنظر النقوش: (CIH 366a)، (CIH 957)، (RES 3949)، (RES 2831= M85)، على سبيل المثال. كذلك الشرية: دراسات...، ص٨٢.

2- الشرية: المرجع ذاته، ص٥٩.

3- أوضح مثال على ذلك الجاليات الأميرية (جاليات شعب أو قبيلة أمير) التي كانت تعبد الإله (ذا سماوي)، فقد كانت معبد له في نمتع عاصمة مملكة قتبان، يُنظر عريش: عالم الإلهة...، ص١٩-٢٠. ولايُستبعد وجود معابد له في أماكن أخرى ضمن أراضي الممالك الأخرى ؛ بسبب النشاط التجاري، يُنظر الشرية: المرجع السابق، ص٥٩.

4- الشرية: المرجع ذاته، ص٨٨، كذلك بروتون: معابد معين...،ص٥٣. أيضًا دي ميغري، إيساندرو: "بئل" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١٣٨-١٣٩. فوكت، بوركهارد: "معابد مأرب" في الكتاب ذاته، ص١٤٠. أيضًا غالانزمان، وايام: "أوام (معرم بلقيس كما يسمى اليوم)، معبد الملقه الكبير"، في الكتاب ذاته، ص١٤٥. سالر: "الدين"، ص١٣٣. كذلك بـاوير (وآخر): تـاريخ الـيمن...، ص٦٩. أيضًا الجرو: دراسات في ...، ص١٤٤.

5- المرجع ذاته، المبحث الثاني ، ص١١٥-١٢٨.

تعددت مواردها وأصبحت ثابته ودائمة، فتكدست فيها الثروات[1]، لذلك يغلب الظن أن القائمين على شؤون هذه المعابد- في سبيل استثمار تلك الثروات- انخرطوا في النشاط التجاري -على نحو ما- لصالح معابدهم[2].

٦- يرى البعض أن المعابد التي أقامتها الممالك خارج أسوار المدن؛ على بُعد بضعة مئات الأمتار منها- وهي غير المعابد المقامة داخلها- بأنها معابد مركزية اتحادية؛ ترتادها الشعوب التي تقطن المناطق المجاورة لهذه المدن وتشترك في عبادة إله رسمي هو الإله الخاص بالمملكة[3]، كما تقام فيها الاحتفالات العامة، كالاحتفال بقيام الأحلاف الموحدة، أو الاحتفال بالصيد الشعائري[4]، إلا أنه لايُستبعد وجود سبب آخر - يضاف للأسباب المذكورة- لتشييد هذه المعابد خارج المدن؛ وهو توفير خدمة العبادة لأعضاء قوافل التجارة من المتعاطين بالتجارة الداخلية والخارجية؛ فهذه المعابد يمكنها أن تجنب قوافل التجارة، وتجعل مسارها غير بعيد عن مدنها من ناحية، ومن ناحية أخرى هذه المعابد يمكنها أن تجنب المدن ما يحتمل أن يسببه تجمع القوافل من ازدحام، وربما فوضى عندما يرغب أعضاؤها في التعبد في المعابد الموجودة داخل أسوارها[5].

---

[1] - تميزت المعابد بالغنى والثروات في زمن ازدهار الممالك، إذ تنوعت مواردها ومصادر دخلها، للمزيد حول موارد المعبد يُنظر شيمان: تاريخ الممالك...، ص١٤١، كذلك الجرو: دراسات...، ص١٦١-١٦٣.

[2] -شيمان: ذاته، أيضًا الجرو: المرجع ذاته، ص١٦٣، كذلك النعيم: التشريعات...، ص٧٥.

[3] -الجرو: المرجع ذاته، ص١٥٥.

[4] - موللر: "الدين"، ص١٣٣، كذلك بروتون: "الميثولوجيا"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبا، ص١٤٦.

[5] -مجرد رأي واحتمال، ربما يوافق سير واقع المدن؛ التي كانت تشكل أسواق ومراكز للتجارة الداخلية والخارجية، كعواصم الممالك، ومدن الموانئ وغيرها.

## المبحث الخامس: دور الممالك في تقدم النشاط التجاري وازدهاره.

لمّا كان أثر النشاط التجاري قد ظهر على أوضاع ممالك اليمن القديمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية؛ في زمن تفوقها في الألفية الأولى قبل الميلاد؛ فإنه من الضروري التطرّق إلى الدور الذي قامت به الممالك-ذاتها- تجاه التجارة، وما تكفلت القيام به في سبيل تنظيمها وتنشيطها وحمايتها، وكذا تسهيل حركتها وتداولاتها؛ وهو الأمر الذي ساهم ليس-فقط- في ازدهار النشاط التجاري؛ بل وفي استمراريته -أيضًا-، وفيما يلي أهم ما قامت به الممالك في هذا الصدد:

### ١-إصدار القوانين المنظّمة للنشاط التجاري في الأسواق:

أصدرت ممالك اليمن القديمة قوانين وأحكام؛ هدفت إلى تنظيم النشاط التجاري في أسواقها، لعلّ أهمها؛ بحسب النقوش المتوفرة - حتى الآن-ما يلي:

#### أ.قانون قتبان التجاري[1]:

قانون خاص بسوق مدينة (تمنع)، أصدره الملك القتباني شهر هلال بن يدع اب، الذي حكم في القرن الثاني قبل الميلاد[2]، يُعد هذا القانون أنموذجًا مهمًا لقوانين تنظيم العلاقات التجارية في الأسواق، وأهم ما يلفت الانتباه في هذا القانون- بعيدًا عن تفاصيل بنوده[3]- مايلي:

- إشراف الدولة على النشاط التجاري في سوق العاصمة (تمنع).
- الاهتمام بتحصيل الضرائب، والتشديد على أدائها.
- منح التاجر غير القتباني (الأجنبي) حقوق مهمة- طالما ألتزم العمل ببنود هذا القانون- منها: حق امتلاك متجر في السوق[4]، حق الشراكة مع التجار القتبانيين

---

[1] القانون (RES 4337 A.B.C) محمود

[2] من ملوك قتبان في القرن الثاني ق.م، كتب القانون على كتلة حجرية، ووضعها وسط السوق.

[3] لمعرفة التفاصيل بنوده يُنظر عبدالله، يوسف؛ أوراق...، ص٢٤٠-٢٤١، كتلك الجرو: دراسات...، ص٩٣-٩٧.

[4] أبات التعم: التشريعات...، ص١٨٢-١٨٥، النص وترجمته ص٦٤٥-٦٥٦.

[5] امتلاك متجر بالنسبة للأجنبي يُعد حقًا، كما يُعد واجبًا؛ إذ لايسمح له بممارسة التجارة إلا إذا امتلك متجرًا في السوق أو استأجره.

في الأنشطة التجارية داخل السوق، الحق في الحماية من عمليات الغش؛ التي قد يتعرض لها، حق تأجير متجره للغير- مع أدائه لضريبة التأجير-.

- تمييز التجار القبائليين عن الأجانب في بعض الأمور مثل: امتياز المتاجرة مع القبائل المجاورة، امتياز بالإعفاء من ضريبة الحبوب[1].
- مكافحة الدولة لعمليات الغش والتهريب؛ والحفاظ على حق المواطن (المشتري) في الحصول على السلع داخل السوق.

## ب. قانون بيع وشراء الحيوانات في صرواح[2]:

قانون ينظم بيع وشراء الثيران والإبل والحمير في صرواح، إذ يُلزم المشتري أو شريكه بعدم التراجع بعد إبرام عقد الشراء، كما يمنعهما من مقاضاة البائع، يبدو أن هذا القانون لايحافظ على حق السبئيين في هذا النوع من البيع والشراء فحسب، بل - أيضا- يحافظ على حق كل من كان في حماهم، أو يستوطن أرضهم من الغرباء[3].

## ج. قانون يمنع بيع أو تأجير الأحرار[4]:

يعالج هذا القانون مشكلة ربما كانت قد تفشت، تتعلق ببيع الأحرار أو تأجيرهم، إذ يُحذر فيه الكبير (المسئول) من تحرير عقود بيع الأحرار كالرقيق، كما يذكر القانون أن من يقوم بهذه المخالفة، يتعرض لعقوبة؛ يقررها كبار القوم.

---

[1] - يُنظر نقش (RES 4337 B)، السطور (٣)(٤) (٥)، كما أن إعفاء القبائليين من ضريبة الحبوب يفتح الباب للعديد من الاحتمالات منها تشجيع المزارعين القبائليين أو تجارهم على بيع محاصيل الحبوب داخل السوق؛ فربما كان الطلب الخارجي على الحبوب شديدا، أو ربما كان تهريب هذه المحاصيل قد زاد تعقيدا، لاسيما وأن القانون يمنع ممارسة البيع والشراء أولا، كما يحصرهما داخل السوق.

[2] - نقش (CIH. 913= RES 2856).

[3] - النقش ذاته، السطر (٣).

[4] - نقش (CIH 693 = Ital 344 = RES 2861).

د. قانون بيع الحبوب في مدينة نشق[1]:

يُلزم هذا القانون التاجر بيع الحبوب في سوق المدينة وبحضور مسئول الضرائب، يفرض عقوبة على من يقوم ببيعها خارج المدينة؛ على هيئة غرامة يحددها مجلس المدينة وكبيرها.

هناك نقش آخر (RES 3910)، يُعد من نقوش قوانين التجارة؛ لكنه صدر بعد الميلاد بحوالي ثلاثة قرون؛ في زمن شمر يهرعش، يتضمن تنظيم محدود للتجارة؛ بحيث يعطي فرصة لمشتري الماشية مدتها شهرًا؛ يمكنه خلالها أن يُعيد ما أشتراه، على أن يدفع للبائع أجرة الاستخدام، كما يحفظ للبائع حقه في حالة نفوق (موت) الحيوان وهو في كنف المشتري خلال ذلك الشهر.

## ٢- بناء الأسواق ومنشأتها[2]:

في سبيل جذب قوافل التجارة؛ اجتهدت الممالك في بناء الأسواق التجارية في العواصم والمدن المهمة، ومن أجل الارتقاء بهذه الأسواق عملت على تشييد العديد من المنشآت فيها؛ بغرض خدمة النشاط التجاري والمحافظة على ديمومته، لعلّ أهمها: المتاجر[3]، والمخازن[4]، والأبنية الإدارية[5]، وغيرها من المنشآت التي يحتاجها النشاط

---

[1] - نقش (CIH 603 A = RES 2860).

[2] - في الحقيقة لاتتوفر معلومات متكاملة حول هذا الموضوع؛ والسبب يتعلق بالمسألة الأثرية؛ التي لازال البحث فيها غير مكتمل، وسيكتفي الباحث بذكر نماذج لتلك المنشآت بغرض إظهار اهتمام الممالك -المفترض- بتشجيع التجارة، وترتيب أمورها في الأسواق.

[3] - لعلّ سوق (تمنع) عاصمة مملكة قتبان يعطي أوضح مثال على إنشاء المتاجر (الدكاكين)، إذ ألزم القانون القتباني التجاري (RES 4337) من يمارس التجارة في سوق تمنع أن يمتلك أو يستأجر متجرًا فيه، وقد حاذف الحظ الباحث بزيارة أطلال هذا السوق، ولاحظ ما يمكن أن يكون بقايا تلك المتاجر، وهي – على مايبدو- كانت مبنية بتنظيم دقيق؛ يتناسب مع طبيعة السوق التجاري.

[4] - وجود مخازن في أسواق التجارة مسألة ضرورية، ومن المرجح أن كل أسواق الممالك قد شهدت بناء المخازن ، وربما ما وجد في ميناء قنا- باعتباره ميناء وسوق- من مخازن ومستودعات يشجع على هذا الترجيح، يُنظر الشعيبي: ميناء قنا...، ص١٣٥-١٣٧، كما أن الإشارات الواردة في كتاب الطواف تمثل دليلا آخر، يُنظر: The Periplus: op-cit, Seca 27, 30, p.34.

[5] - الأبنية الإدارية في ميناء قنا على سبيل المثال؛ يُنظر: الشعيبي: المرجع السابق، ص١٣٥.

التجاري، بالإضافة إلى قيامها بتحصين الأسواق بالأسوار وأبراج الحماية، مع الحرص على تخصيص باب واحد لدخول القوافل[1]، والهدف من ذلك هو تنظيم النشاط التجاري، والإشراف عليه.

**٢- تعبيد الطرق وشق الممرات:**

بغرض تيسير حركة القوافل التجارية – والتنقل عمومًا- على الطرق ، لاسيما الوعرة منها، عملت الممالك على بناء أجزاء- تبدو واسعة- من الطرق البرية وتعبيدها، وكذا تبليطها بالحجارة[2]، إذ يبدو أن الملوك كانوا حريصين على توجيه تلك القوافل باتجاه مراكز ممالكهم التجارية وأسواقها، ، وأحكام السيطرة على منافذ الطرق بحيث لاتحيد القوافل أو تبتعد إلى مسارات أخرى؛ وذلك بهدف السيطرة على النشاط التجاري وموارده؛ في سبيل تحقيق كل فائدة ممكنة من هذا النشاط ، أكان أرباح أو ضرائب.

ليس هذا فحسب؛ بل أن الممالك- قتبان وحضرموت على وجه الخصوص- أظهرت إمكانيات كبيرة وراقية في مجال شق الممرات والمعابر في الطرقات الجبلية، ومقدرة هندسية تكاد تكون فائقة، وأبرزها:

* في قتبان:

أ. ممر عقبة مبلقة[3].

ب.ممر نجد مرقد[4].

ج.ممر ظرم[5].

---

[1]- Pliny: Natural History, BK 12, Sec.63.

[2]- في زيارة ميدانية للباحث إلى بعض عواصم الممالك ومدنها، تمكن من مشاهدة أجزاء من تلك الطرق المبلطة بالحجارة؛ لاسيما الطرق الخارجة من ميناء قنا القديم والتي تبدو متجهة نحو ميفعة القديمة.

[3]- مربط بين وادي بيحان ووادي حريب، أمر بفتحة المكرب القتباني (يدع أب ذبيان بن شهر)، وهندس له مهندس المملكة (اوس هم بن يصر هم بن مدهم)، والذي يُعتقد انه كان وراء كل أعمال البناء في مجال الطرقات.

[4]- ممر على المرتفعات المحاذية لصفة صحراء صهيد؛ بين وادي بيحان وحريب.

[5]- مربط بين وادي ابلح ووادي جوبان ، المتفرعان من وادي حريب.

* في حضرموت:

أ. ممر عقبة عقيبات[1].

ب.ممر عقبة فتورة[2].

كل تلك الممرات والمعابر والطرق الجبلية[3] تشهد على أن ممالك اليمن القديمة قد عرفت مجال هندسة الطرق منذُ وقت مبكر، ولضمان طرق القوافل لها؛ عملوا على بناء خزانات وأحواض لحفظ المياه على جوانبها؛ لتزويد أعضاء القوافل وكذا دوابها بما تحتاجه من مياه أثناء عبورها تلك الطرقات والمعابر[4].

**٣-استخدام النقود وسكها[5]:**

لئن استخدمت ممالك اليمن القديمة النقود، ثم شرعت في سكها، تكون قد قدمت مساهمةً جليلةً، وفضلا كبيرًا للنشاط التجاري، إذ يُعد اختراع النقود والتعامل بها أسلوبٌ متقدمًا، ساعد على تنظيم وتطوير أنشطة التجارة ومعاملاتها[6].

---

[1] - عند أعالي وادي (عرمة)، يربط شبوة (العاصمة) بالجول، ويؤدي إلى وادي (حضرموت) عبر وادي (عمد)، أحد روافد وادي حضرموت ومنه إلى الجنوب باتجاه ميناء قنا.

[2] - ممر يؤدي إلى وادي (دهر) و(رخية)، يربطه بين وادي (عرمة) والجول، ويُعتقد أن الطريق لازال مطروقا يُنظر: بيرن/ جاكلين: الشواهد الكتابية...،في كتاب شبوة عاصمة حضرموت، ص٢٥، كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٢٢٢.

[3] - لمزيد من التفصيل حول هذه الطرق والممرات يُنظر: بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٣٤-٣٥، كذلك الشيبه: دراسات...، ص٣٩، الجرو: المرجع السباق، ص٢٢١-٢٢٢، الجرو: موجز...، ص ١٤٢، الشعيبي: ميناء قنا...، ص١١٧-١١٨، أيضًا الذفيف: مملكة قتبان، ص١١٦-١١٧.

[4] -الشيبه: ذاته، كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٢٢١، أيضًا الذفيف: المرجع ذاته، ص١١٧.

[5] - يذكر أن اختراع النقود قد ظهر في منطقة (ليديا) في أسيا الصغرى، يُنظر هودوي، سيردوس: موسوعة العملة (العملة في الحضارة الأغريقية)، ترجمة ملاذ حفار، ومأمون عابدين، الطبعة الثانية، دار المعرفة، دمشق ١٩٩٣م، فبعد أن ظهر لدى الآشوريين أسلوب البيع والشراء بواسطة تقدير السلع بأوزان المعادن الثمينة (الذهب والفضة)، تمكن الليديون من تطوير هذا الأسلوب في القرن السابع قبل الميلاد؛ إذ لاحظوا أنه بإمكانهم تفادي تقدير السلع بأوزان هذه المعادن وما يسببه ذلك من إشكاليات بين البائع والمشتري، وذلك عن طريق صنع قطع من الذهب ذات حجم ووزن واحد، ومحدد بعيار وثابت، ثم أصبحت هذه القطع تحمل ختم الملك الخاص، لتظهر بذلك أولى العملات. يُنظر كونتنو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة د.محمد عبدالهادي شعيره، مراجعة د.طه حسين، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، ص٢٦٤. كذلك السوس، نائف والطروانه، خلف: مسكوكات العالمين القديم والإسلامي، البنك العربي، الأردن ١٩٩١م، ص١٦.

[6] - كونتنو: ذاته.

من المرجح أن ممالك اليمن القديمة عرفت النقود وتعاملت بها منذُ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، إلاّ أنها بداية استخدمت العملة الأثينية في تداولاتها التجارية[1]، وقد يكون سبب ذلك هو أن النقد الأثيني كان هو النقد؛ التي تتعامل به شعوب الشرق القديم في هذا الوقت، ولمّا كانت ممالك اليمن القديمة منخرطة في التجارة الدولية مع تلك الشعوب؛ فإنه من الطبيعي والمنطقي أن تستخدمه-هي الأخرى- في نشاطها التجاري[2]، غير أنه لم يمر وقت طويل حتى باشرت الممالك ذاتها بسك العملة، إذ ما لبثت الممالك أن سكت النقود منذ بدايات القرن الرابع قبل الميلاد، وتبدو مملكة قتبان- حتى الآن- هي من كان لها شرف الريادة في هذا المجال، ثم تبعتها سبأ، فحضرموت حوالي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد[3]*.

وتظهر أقدم العملات التي أصدرتها الممالك تقليدًا واضحًا للعملة الأثينية بأسلوبها القديم- في مرحلة لاحقة ظهرت عملات سبئية تحاكي الأسلوب الجديد للعملة الأثينية- وفي القرن الأول قبل الميلاد تمّ سك عملة مقاربة للعملة الرومانية،غير أن الممالك فيما بعد أصدرت عملات ذات طابع محلي صرف[4]، حرص فيها الملوك على إظهار مقومات ممالكهم، بحيث عمدوا إلى كتابة أسمائهم، وألقابهم، وجهة السك وسلطته[5]، كما سجلوا عليها-أيضًا- أسماء الآلهة، ورموزها، وكل الكتابات كُتبت بالمسند، كما

---

[1] - سيدوف (وآخر): سك النقود...، ص١١٨.

[2] - يُعتقد أن (أثينا) بدأت سك العملة حوالي (٦١٥ ق.م)، يُنظر الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٩٨.

[3] - سيدوف (وآخر): المرجع السابق، ص١١٨- ١٢٠، كذلك يوسف، فرج الله أحمد: "مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام"، مجلة أدوماتو، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، العدد الخامس، الرياض يناير ٢٠٠١م، ص٧٨-٧٩، وص٨٣.

* - هناك من يعتقد أن مملكة معين سكت عملتها الخاصة، وكانت أكثر انتشار في الخارج، لاسيما في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية، على الرغم من أن كريستيان روبان، وسيدوف لايقران ذلك، يُنظر علي، جواد: المفصل...، الجزء الثاني، ص١١٢-١١٣، يوسف، فرج الله: المرجع ذاته، ص٨٢-٨٣.

[4] - سيدوف (وآخر): المرجع السابق، ص١١٨-١٢٠، كذلك يوسف، فرج الله: المرجع ذاته، ص٧٨-٧٩ وص٨٣.

[5] - غالبًا سلطة سك العملة هو القصر الملكي؛ إذ ظهر اسم (حرب) حرب على عملات قتبانية، وهو اسم قصر ملكي، كما ظهر اسم (شقر) شقير على عملات حضرموت، وهو اسم القصر الملكي في شبوة العاصمة. يُنظر سيدوف (وآخر): المرجع ذاته، ص١١٩-١٢٠، كذلك الحمد: الأحوال...، ص٢١.

بدت الوجوه المرسومة على تلك العملات عربية الملامح بعد أن كانت تحمل سمات الوجوه الأغريقية أو الرومانية[1].

في هذا الصدد، لم تغفل النقوش ذكر العملات التي سكتها ممالك اليمن القديمة، إذ تمّ رصد أربعين نقشًا ظهر فيها ذكر لأسماء النقود[2] - ينظر( جدول ٣)-.

## ٤-علاقات الممالك الخارجية وتوظيفها في إدارة النشاط التجاري:

ليست ثمة شك في أن التجارة – ربما وحدها- كانت البوابة التي عبرت من خلالها ممالك اليمن القديمة نحو إقامة علاقاتها الحضارية مع الشعوب الممالك الأخرى في الألف الأولى قبل الميلاد، غير أن اهتمام الممالك بتوطيد هذه العلاقات وإدراتها -بحد ذاته- كان له أثرًا بالغًا في ازدهار النشاط التجاري وتطوره.

في الواقع؛ لايتوقف دور الممالك ومساهمتها في خدمة النشاط التجاري على إنتاج أراضيها للعديد من المحاصيل التي كانت ترغب بها الشعوب الأخرى[3] فقط؛ بل الأكثر من ذلك -على مايبدو- هو حُسن ترويجها لتلك المحاصيل لدى تلك الشعوب، وتحملها مسئولية توزيعها وإيصالها إلى مناطقهم[4] مع إظهار الكفاءة في إدارة حركة

---

[1] - لاسيما في المسكوكات الحميرية التي تم سكها في العهد الميلادي، يُنظر سيدوف: سك النقود...، ص١٢٠، للمزيد من التفصيل حول النقود في ممالك اليمن القديم يُنظر المراجع التالية: سيدوف (وآخر):المرجع ذاته، ص١١٨-١٢٠، الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٩٧-١٠٨، كذلك يوسف، فرج الله: مسكوكات...، ص٧٩-٨٧، أيضًا ستيوارت:"عملات شبوة وعملات متحف عدن الوطني"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص١٦٠-١٦٦، كذلك بركات، أحمد قائد: "النقد"، الموسوعة اليمنية الطبعة الأولى، الجزء الثاني مؤسسة الجيف الثقافية، تنفيذ دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩٢م، ص٩٦٥، كذلك:

Dembski,G.:" The Coins of Arabia Felix", in Werner (ed), op-cit,p.125-128.

[2] - سيدوف (وآخر): المرجع ذاته،ص١١٩.

[3] - اللبان والمر والصبر على وجه التحديد.

[4] - الشبيه: أفول...، نسخة منقحة (غير منشورة)، ص٢٣، كذلك دي ميغريه، الساندرو: برائش (بئل) المعينية، طريات وترميم معبد نكراح، ترجمة مالك مالك، مراجعة خالد العنسي، البعثة الإيطالية للآثار في الجمهورية اليمنية، (YICAR PAPERS,1)، صنعاء ٢٠٠٤، ص٤، كذلك:

Strabo: The Geography of strabo ,English translation by Horace Leonard Jones, Harvard University Press, London, BK16, Vol VII, Ch.4,Sec.19,p.347.

التجارة؛ مما جعلها تحتفظ بعلاقات تجارية ودية مع مختلف المناطق طيلة القرون السابقة للميلاد؛ طالما وأن تلك الشعوب لاتجد مصدرًا آخرًا يزودها بما تحتاجه من تلك المحاصيل[1]*، ليس هذا فحسب؛ وإنما إدراك الممالك المبكر لأهمية موقعها المتوسط، الذي يربط بين مناطق العالم القديم بحريًا وبريًا، واستغلالها الجيد لهذا الموقع؛ بحيث احتفظت بعلاقات منفصلة- على مايبدو- مع كل منطقة على حدا؛ الأمر الذي ساعدها كثيرًا في أن تؤدي دورًا مهمًا وحيويًا في عبور التجارات بين الشرق والغرب[2]؛ فأصبحت موانئها تشكل محطات تجارية مهمة على خطوط التجارة البحرية، كما غدت عواصمها ومدنها، وكذا مستوطنها شمال شبه الجزيرة العربية مراكزًا تجارية وأسواقًا على ذات القدر من الأهمية على خطوط التجارة البرية.

بمقتضى ما تطلبته التجارة صاغت ممالك اليمن القديمة علاقاتها مع الهند وشمال شرق أفريقيا-بما فيه القرن الأفريقي-، ومع الممالك التي عاصرتها في العراق وسورية ومصر وعالم شمال البحر الأبيض[3]، إذ جاء في النقوش ما يؤكد ذلك، لاسيما مع مصر

---

[1] -أشارت بعض المصادر الكلاسيكية إلى ذلك بطرق مختلفة يُنظر على سبيل المثال: الشيبه: ترجمات...، (هيردوت) ص٢١ (ثيوفراستوس) ص٢٣-٢٤، (أجاثارخيدس) ص٣١-٣٣، (استرابون) ص٥١-٥٢، (بلينيوس/بليني) ص٦٥-٦٩.

* - قد لايكون ذلك هو السبب الوحيد الذي جعل ممالك اليمن القديمة تحتفظ بعلاقات ودية مع تلك الشعوب والممالك؛ إذ يمكن أن يضاف إليه سبب آخر وهو عامل الجغرافية، فالمسافة الكبيرة التي تفصل جنوب شبه الجزيرة العربية عن حضارات وممالك الشمال (العراق وسورية ومصر) جعل ممالكها بعيدة عن الاحتكاك الحربي مع تلك المناطق؛ كالذي يحدث بينها بحكم الجوار.

[2] - يُنظر "ضرورة التجارة الشرقية بالنسبة للغرب" لدى سحّاب: إيلاف...، ص٣٩-٤٢.

[3] -باستثناء ما عُرف لاحقًا باسم (الحبشة)-لاسيما شمالها-؛ إذ العلاقة معها تخطت حدود التعامل التجاري؛ بعد أن تدفق إليها المهاجرون من جنوب شبه الجزيرة العربية منذ مطلع الألف الأولى قبل الميلاد-على الأرجح- فما لبثت أن ظهرت تبعيتها المباشرة لمملكة سبأ في حدود القرن السادس قبل الميلاد، لمزيد من التفصيل يُنظر الدراسة المتميزة "إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور أكسوم"، في كتاب الشيبه: دراسات...، ص١٦٨-١٨٨، كذلك: Munro-Hay, S.C.H.:" Aksumite Overseas Interests", in Julian Reade (Ed), Kegen Paul International, London and New York, in Association with The British Museum, London, 1996, p.408.

وغزة وبعض مناطق سورية، وجزيرة (ديلوس) اليونانية[1]، كما أن اللقى الأثرية الكثيرة المستوردة؛ التي تم الكشف عنها في بعض موانئ الممالك ومدنها، المتمثلة بنماذج الفخار، والأوعية الزجاجية، والخرز، والعملات، وبعض التماثيل[2]، ناهيك عن التأثيرات الفنية الخارجية في مجال النحت وزخرفة البناء[3]، جميعها يمكن أن تلخص مدى العلاقة التي ربطت ممالك اليمن القديمة بتلك المناطق وكذا حجم النشاط التجاري الكبير الذي مارسته في إطار التجارة الدولية البحرية والبرية[4].

وفي هذا الصدد، لايمكن تجاوز ما ورد في كتابات الكلاسيكيين من إشارات؛ في إطار حديثهم عن الممالك في أزمنة متتابعة؛ بداية من هيرودوت وانتهاءً بكتاب الطواف؛ والتي تذكر نشاط الممالك التجاري مع غيرها من المناطق في ظل احتكارها لبعض المحاصيل، وطريقة إدارتها للموانئ التابعة لها، وما يرتبط بذلك من استيراد وتصدير[5].

---

[1] - ينظر على سبيل المثال النقوش: (RES 3427)(RES 2771)(RES2773) (RES2935) (RES3022) (Ja 931) (RES3570) (MAFRAY-Macin 13)

[2] - للمزيد حول هذه اللقى ينظر الجرو: دراسات...، ص٨٤-٨٦، سيف، الكسندر: "قنا، ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص١٩٤-١٩٥، الشعيبي: ميناء قنا...، ص١٥٧-١٦٥.

[3] - لمزيد من التفصيل حول تلك التأثيرات ينظر ادوان: النحت والرسوم...، ص٨٣-٨٤، كذلك فيل، أرنست: "ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص٨٥-٨٧، وينظر: التجارة بين...، ص١٨٩-١٩٢.

[4] - للمزيد حول علاقات ممالك اليمن القديمة الدولية ينظر: الجرو: دراسات في التاريخ...، ص٨٠-٨٧، الشعيبي، محمد: شبه الجزيرة...، ص١٢٧-٢١٥. الحمد: الأحوال...، ص٤٧٦-٤٩٧.

[5] - للترجمة لهذه الكتابات في كتاب الشبيه: ترجمات...، ص٢٠-١٠٢.

# الفصل الرابع

# التجارة وسقوط ممالك اليمن القديمة

## المبحث الأول: انتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة البرية

## المبحث الثاني:العلاقة بين الممالك وموقفها من الوضع الدولي

كما كان للتجارة دورًا مهمًا-ربما رئيسًا- في قيام ممالك اليمن القديمة، وكذلك دورًا لايقل أهمية في ثرائها وازدهارها لقرون عديدة في الألف الأخيرة السابقة للميلاد، يبدو-أيضًا- أن التجارة-بشكل أو بآخر- كانت محورًا؛ دارت حوله العوامل التي أودت بالممالك ذاتها إلى نهاياتها، ابتداءً من انتعاش التجارة البحرية على حساب التجارة البرية، مرورًا بالصراعات الداخلية، في ظل مشاريع متباينة حملها أطراف تلك الصراعات، وصولا إلى التدخل الخارجي؛ الذي هدف إلى فرض السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية[1]، ولمعرفة دور التجارة في مجريات الأحداث التي مرولت بالممالك نحو النهاية، ينبغي العرض للعامل الداخلي والخارجي- ولو بإيجاز- للوقوف أمام أهم أسباب سقوط الممالك؛ لاسيما التي كانت التجارة تقف وراءها[2] سيتم العرض لهما العوامل في مبحثين منفصلين على النحو التالي:

---

[1] هذان العاملان إلى ظهور الأسباب المباشرة، السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، وكذلك الدينية، المباشرة بسقوط كل مملكة من ممالك اليمن القديمة- زمن السقوط يختلف من مملكة إلى أخرى؛ لذا اختلفت الأسباب المباشرة في كل مملكة أيضًا-، ويبدو أن (مسألة التجارة) لم تكن بعيدة عن كل تلك العوامل والأسباب- سيأتي في السياق لاحقًا-.

[2] التركيز فقط على الأسباب التي تتداخل مع النشاط التجاري-مع اعتقاد الباحث-كما جاء في الهامش أن أسباب سقوط الممالك تتعدى ماهو متعلق بالتجارة.

## المبحث الأول: انتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة البرية

لئن كان انتعاش التجارة البحرية يُعد سببًا مهمًا لتراجع التجارة البرية؛ فإن هذا الانتعاش- بحد ذاته- يُعد نتيجة طبيعية -على مايبدو- لما شهدته مناطق الشرق القديم من أحداث؛ كانت التجارة -لاسيما الشرقية- أحد أهم أهدافها؛ ومن ثم فإن تجارة ممالك اليمن القديمة باعتبارها متحكمة بجزء مهم وكبير فيها- لم تكن بمنأى عن هذا الاستهداف.

فيما يلي توضيح لأهم الأسباب التي أدت إلى تراجع النشاط التجاري البري، وساعدت-في الوقت ذاته- على انتعاش النشاط التجاري البحري:

### ١- الصراعات الدولية من أجل السيطرة على طرق التجارة[1]:

تلك الصراعات التي دارت رحاها بين القوى الغربية (الأغريقية، اليونانية، والرومانية على التوالي) من جهة، وبين قوى من الشرق لاسيما الممالك التي ظهرت في إيران-الأخمينية، البارثية، ثم الساسانية التي سعت للسيطرة على العراق وسورية ومصر- من جهة أخرى.

على الرغم من أن السبب لدى الأطراف المتعاصرة لدخول تلك الصراعات يبدو-على الأرجح- متطابق وهو السيطرة على طرق التجارة الدولية البحرية والبرية، ومن ثم التحكم بالنشاط التجاري الدولي تحقيقًا لمصالحهم الاقتصادية[2]،إلا أن الأهداف التي سعى كل طرف للوصول إليها وتحقيقها، كانت متباينة إلى حدٍ ما على نحو ما يأتي:

---

[1] - بما أن هدف هذا العنوان في هذا المبحث هو الحديث عن تأثيرات الصراعات الدولية في الشرق على التجارة وطرقها؛ سيتم التركيز على أهم الأحداث المتعلقة بهذا الموضوع حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، مع الإحالة إلى المراجع المناسبة في المواضع التي تتطلب مزيدًا من التفصيل.

[2] - للمحاسب:إيلاف...، ص١٨-١٩.

- **أهداف القوى الغربية:**

في سعيها نحو التوسع باتجاه الشرق؛ هدفت القوى الغربية - اليونانية والرومانية- ضمن ما هدفت؛ السيطرة على الطرق التي تمر عبرها المحاصيل والسلع الشرقية المطلوبة بشدة لدى شعوبها[1]، إذ كانت هذه الطرق تشكل منافذ بحرية وبرية حيوية مهمة؛ تربط عالم البحر المتوسط بعالم المحيط الهندي، وهذه الطرق هي: طريق الخليج العربي؛ بما في ذلك موانئ الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية-يخرج منه الطريق البري الممتد حتى سورية عبر الفرات-، وكذلك طريق البخور القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية باتجاه غزة، بالإضافة إلى طريق البحر الأحمر(بحر القلزم)، الذي يتصل بجنوب فلسطين ومصر، وعليه يبدو أن خوضها تلك الصراعات كان يهدف -أساسًا- التحكم بتلك المنافذ، تحقيقًا لمصالحها.

- **أهداف قوى الشرق:**

أهداف المملكة التي تقوم في أرض إيران من دخولها تلك الصراعات تمثلت بمد سيطرتها إلى موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط[2]، لأن ذلك يمكنها التحكم بتجارات الشرق القادمة من الصين والهند وجنوب شبه الجزيرة العربية، وكذلك السعي للحصول على مناطق نفوذ في شمال البحر الأحمر[3]، إذ كانت دائمًا ما تتوجس خوفًا من سيطرة قوى الغرب على البحر الأحمر، فتفقد الكثير من مكاسب مرور التجارة الشرقية عبر أراضيها[4].

بدأت أولى مظاهر الصراع والمواجهة بين تلك القوى قبل قدوم الإسكندر المقدوني (٣٣٦-٣٢٣ ق.م) إلى الشرق بحوالي قرنين من الزمن، وذلك عندما خاضت

---

[1] المسعودي، أبو الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثاني، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦م، ص١٢٨، ١٢٩. كذلك السحاب: إيلاف...، ص٥٠.

[2] انظر: أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٥م، ص١٧.

[3] انظر: بعد المنافذ الأصول والأقارب لليونانيين والرومانيين نحو موانئ المحيط الهندي.

[4] السحاب: إيلاف...، ص٣٤.

أثينا-كبرى دويلات المدن الأغريقية- الحرب ضد الإمبراطورية الفارسية الأخمينية[1]، وعلى الرغم من أن دوافع تلك الحرب-في الأساس- السيطرة على تجارة البحر المتوسط[2]، إلا أن التجارة الشرقية- بحكم وصولها إلى موانئ البحر المتوسط الشرقية- كانت تشكل جزءًا مهمًا فيها.

في الواقع؛ أحداث تلك الصراعات التالية دائمًا- على الأرجح- ما أظهرت حقيقة مكانة سلع الشرق ومحاصيله عند المستهلكين في الغرب؛ فكلما اشتدّ الطلب عليها؛ رفع محتكروها-لاسيما العرب- أسعارها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ترتفع أسعارها أكثر عند مرورها-سلع الشرق- عبر أراضي الدولة المعادية؛ بفعل ما تفرضه من ضرائب ورسوم عليها، والمشكلة التي واجهها الرومانيون- بالذات- ومن قبلهم اليونانيون في سورية في هذا الخصوص؛ هي أنهم مع اضطرارهم شراء هذه السلع - بسبب الحاجة الملحة لها- كانوا يحققون الربح والقوة لعدوهم؛ المملكة التي تحكم في إيران، ليس هذا فحسب؛ بل أن هذه المملكة المعادية- كانت تتعمد في زمن الحرب

---

[1] - قامت الإمبراطورية الفارسية الأخمينية على يد مؤسسها (كورش) حوالي ٥٥٠ ق.م، بعد قضائه على الدولة الميدية في إيران، فامتدت حدودها بعد حوالي ربع قرن من قيامها لتشمل العراق وسورية ومصر، كما سيطرت على المدن الأيونية الأغريقية في آسيا الصغرى وبعض جزر بحر إيجة- مع تطلعها للسيطرة على المدن الأغريقية شمال البحر المتوسط ووصلت الإمبراطورية إلى أوج عزتها في زمن ملكها دارا( داريوس Darius) الأول (٥٣٠-٥٢١ ق.م) عندما تمكن من تنظيم الإمبراطورية من خلال تقسيمها إلى (٢٣) مقاطعة (ولاية)، وضع على كلّ منها حاكم؛ أطلق عليه (سترب Satrap) بمعنى حامي المملكة، إلا أن هذه المقاطعات خضعت للسيادة المركزية الشديدة، كما قام دارا الأول ببناء الطرق وتحسين ملكان قائما منها، ونظم البريد، وأصلح الضرائب، كما بنى أسطولا بحريًا ، اعتمد فيه على الفينيقيين-بناءً وإشرافًا-، وبذلك أصبح هذا الملك أقدر ملوك هذه الإمبراطورية. للمزيد من التفصيل ينظر حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة جورج حداد، عبدالكريم رافق، دار الثقافة، بيروت ب ت، ص٢٣٩-٢٤٢. كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص١٩-١٨.

[2] - تفجرت الحرب بينهما عندما أقدمت أثينا على تحريض المدن الأيونية في آسيا صغرى على الثورة ضد الفرس الأخمينيين؛ فقامت الثورة الأيونية عام ٤٩٩ ق.م، إلا أن الفرس تمكنوا من إخمادها، فوجهوا أنظارهم نحو المحرض الأول(أثينا)-يبدو أن ذلك كان يوافق طموحهم للتوسع نحو المناطق الأغريقية في جنوب أوروبا-وبعد محاولات عدة تمكن الجيش الفارسي(عام ٤٨٠ ق.م) من الوصول إلى أراضي الدويلات الأغريقية في اليونان، ثم دخلوا أثينا وأحرقوها، إلا أن ذلك-على مايبدو- استفز باقي المدن الأغريقية، فهبت لمساعدة الأثينيين-الذين كانوا قد أخلوا أثينا وفروا منها- فتمكن الأغريقيون المتحدون من هزيمة الفرس وتدمير أسطولهم في العام ذاته، وترتب على ذلك طرد الفرس من بلاد الأغريق. ينظر فرح : المرجع السابق، ص١٨-١٩.

[3] - السحاب:إيلاف...، ص٤٩.

يقاف تدفق هذه السلع عبر أراضيها، والأراضي المسيطرة عليها، وتحول دون وصولها إليهم[1]، ومن هنا؛ فإن أبرز أبعاد الصراعات بين قوى الغرب والشرق[2]، تمثلت بمحاولة تأمين السيطرة على أكبر جزء ممكن من طرق التجارة، والتسابق من أجل إيجاد موطئ قدم لها على منافذها؛ في سبيل تحقيق أهدافها من التجارة الشرقية.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل اتخذت الصراعات منحى آخر منذ وصول الإسكندر المقدوني إلى الشرق؛ لتكشف عن الأطماع الأجنبية بعيدة المدى التي خاضت القوى المتصارعة من أجلها كل تلك الصراعات، والمتمثلة بمحاولة السيطرة على كامل المنطقة، بما في ذلك الهند وجنوب شبه الجزيرة العربية[3].

فيما يلي من سطور متابعة لسير الصراعات الدولية؛ بغرض توضيح طبيعة الأطماع الأجنبية، ومدى تأثيرها على ممالك اليمن القديمة، وسيتم تناول ذلك على مرحلتين:

أ. الصراع الدولي ومحاولات اليونانيين تحقيق تطلعاتهم في الشرق:

قيض للعالم القديم أن يشهد صعود نجم الإسكندر المقدوني (الإسكندر الأكبر) بعد زمن وجيز من تربعه على عرش مقدونيا في ٣٣٦ ق.م، خلفًا لوالده فيليب؛ الذي اغتيل أثناء قيادته لحلف المدن اليونانية، وتجهيزه لحملة كان مقررًا لها أن تقوم بالزحف نحو الشرق لمحاربة الفرس[4].

بعد أن تمكن الإسكندر الأكبر من القضاء على تمرد المدن اليونانية بقيادة (طيبة)؛ التي هبت ثائرة بمجرد وفاة أبيه، وأطمأن على الأوضاع هناك، سارع إلى القيام بالحملة التي كان يتأهب لها فيليب والده، ضد الإمبراطورية الفارسية، وأول انتصاراته على الفرس حققها في غرب آسيا الصغرى قرب نهر صغير يدعى

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص٤٧-٤٨.

[2] كما تأثرت المناطق المحيطة بتلك الصراعات؛ لاسيما شبه الجزيرة العربية وطرقها البرية والبحرية.

[3] وكانت لظروف الصراعات ذاتها أثر دورًا مهمًا في فشل تلك الحملات؛ على الأقل حتى دخول الأحباش جنوب الجزيرة العربية كما سيأتي لاحقًا.

[4] تاريخ سورية، الجزء الأول، ص٢٥٣. كذلك فرج، الشرق الأدنى، ص٢٣-٢٥.

جرانيكوس (Granicos)[1]؛ ليسيطر بعدها على كل أقاليم أسيا الصغرى، وبمجرد عبور قواته ممرات (كيليكيا) التقى الإسكندر بالقوات الفارسية بقيادة الملك الفارسي دارا (داريوس Darius) الثالث؛ الذي قدم لملاقاته على رأس جيش كبير، فدارت بين الجيشين معركة كبيرة- تبدو حاسمة[2]- في سهل إيسوس (Issos)- طرطوس اليوم جنوب تركيا[3]-، انتصر فيها الإسكندر؛ ليتابع زحفه في أسيا؛ إلا أنه بدلا من ملاحقة الملك الفارسي نحو الشرق-كما كان متوقعًا- أمر قواته بالتوجه جنوبًا ليسيطر على كل مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط، مع إرساله لأحد قادته (بارمينيو) لإخضاع دمشق-مركز القيادة الفارسية في سورية[4]-، وعلى الرغم من أن تفكير الإسكندر قد اتجه نحو تأمين ظهر قواته؛ كتكتيك عسكري؛ غير أن أهمية مصر، باعتبارها أهم مصادر الغلال بالنسبة للمدن اليونانية؛ كان سببًا آخرًا-على مايبدو- دفعه للتوجه نحو الجنوب[5]، ولايستبعد-كذلك- أنه هدف الوصول إلى شمال البحر الأحمر؛ كونه أقرب منافذ الاتصال بعالم المحيط الهندي بالنسبة لليونانيين[6].

فتح الإسكندر مصر سلميًا عام ٣٣٢ ق.م، بعد أن سارع الوالي الفارسي بالاستسلام، وما أن فرغ من تنظيم أحوالها، وترتيب سيطرته عليها، غادرها متوجهًا نحو الشرق؛ ليخوض آخر معاركه ضد الإمبراطورية الفارسية الأخمينية؛ في شمال

---

[1] - فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٦.

[2] - تُعد معركة إيسوس حاسمة كون الإسكندر المقدوني بجيشه الصغير (٣٠ ألف إلى ٤٠ ألف) مقارنة بجيش دارا الثالث الكبير (حوالي ١٠٠ ألف) تمكن من تحقيق نصرًا كبيرًا، وألحاق الهزيمة بخصمه؛ الذي اضطر إلى الهروب تاركًا جيوشه، وحتى أسرته (والدته وزوجته وبناته)؛ فشكل هذا الانتصار للإسكندر نقطة الانطلاق للسيطرة على باقي المناطق، لما أصابها من رعب جراء انتشار خبر انتصاره هذا، أما النساء من أسرة الملكية الفارسية اللاتي وقعن في الأسر؛ فقد أكرمهن الإسكندر وعاملهن معاملة حسنة. يُذكر أن زوجة الملك الفارسي وافاها الأجل وهي في الأسر؛ فأمر الإسكندر بإقامة جنازة ملكية لها. يُنظر حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٢٥٣-٢٥٤. كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٦ و ص٣٤، هامش (٢).

[3] - غير طرطوس السورية اليوم، جنوب اللاذقية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

[4] - حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٢٥١.

[5] - فرح: المرجع السابق، ص٢٦.

[6] - حتي: المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٥١.

العراق، عندما ألتقى دارا الثالث وجيوشه وتمكن من هزيمته[1]، فدانت له بعدها كل المدن الفارسية معلنة سقوط هذه الإمبراطورية نهائيًا.

إذا كان الإسكندر الأكبر قد أنهى مرحلة من الصراع الدولي بين قوى الغرب والشرق؛ بقضائه على الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، فإنه- بعد ذلك- أفصح عن أطماعه الطموحة للسيطرة على منابع التجارة الشرقية[2]، وذلك من خلال الآتي:

**أ-١- محاولة الإسكندر السيطرة على الهند:**

بعد أن سيطر الإسكندر الأكبر على الأراضي الفارسية؛ اندفع جنوبًا باتجاه بلاد البنجاب؛ بهدف الوصول إلى الهند وذلك عام ٣٢٦ ق.م، لكن محولته الوصول إلى الهند وفرض السيطرة عليها بأت بالفشل، بعد أن توقف جنوده عند وادي السند في إقليم البنجاب؛ بسبب ما أدركهم من إعياء وملل لكثرة الحروب التي خاضوها، وطول المسافة التي قطعوها في هذه الحملة مما اضطر الإسكندر العودة بتلك الجيوش إلى مدينة بابل، لكنه قرر تقسيم قواته إلى قسمين في طريق العودة، قسم يعود بريًا تحت قيادته، والقسم الآخر يعود عن طريق البحر بقيادة أحد رجاله وهو (نيارخوس Nearchos)؛ إذ عهد إليه مهمة قيادة الأسطول الذي أعدّ لهذا الغرض، ويبدو أن هدف الإسكندر من هذه الخطوة هو اكتشاف الطريق البحري الذي يؤدي إلى الهند وعالم المحيط الهندي[3]، وهو ما يؤكد أطماع الإسكندر واليونانيين في التجارة الشرقية.

---

[1] فر الملك الفارسي بعد الهزيمة نحو الشرق، فقرر الإسكندر ملاحقته والقبض عليه لتأكيد انتصاره، غير أن رجال الملك الفارسي غدروا به، فطعنه أحدهم ثم تركوه وولوا الأدبار، وعندما عثر عليه جنود الإسكندر وهو في سكرات الموت في عربته الملكية التي تجرها الخيول، طلب منهم أن يشكروا الإسكندر للمعاملة الحسنة التي عامل بها أسرته، عندما وقعت في قبضته بعد معركة إيسوس، ينظر فرح: الشرق الأدنى...، ص٣٤.

[2] د. السيد: بلاد العرب في المصادر اليونانية القديمة [نصوص ودراسات]، الطبعة الأولى، ب ت، الإسكندرية ٢٠٠٤، ص٧٩.

[3] لمزيد من التفصيل ينظر حتي: تاريخ سورية، الجزء الأول، ص٣٥٧-٣٥٨. كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص٣٥-٣٦، يُعد اليونانيون من أشهر الأمم القديمة في الملاحة البحرية، ولهم فيها تاريخ عريق، أظهروا مقدرة فائقة في التجارة البحرية بعد منافستهم للفينقيين هناك؛ فلا عجب أن يهتم الإسكندر باستكشاف الخليج العربي؛ للتوسع بتجارة الهند.

## أ-٢- ترتيبات الإسكندر للحملة على شبه الجزيرة العربية:

تعددت الدوافع التي جعلت الإسكندر يصرف الجزء الأكبر من وقته في عامه الأخير في بابل في إعداد مخططات حملته على شبه الجزيرة العربية[1]، إلا أن الدافع الاقتصادي، ومن ورائه ثروات هذه المنطقة -لاسيما جنوبها[2]- كانت أهم هذه الدوافع[3]. بالإضافة إلى موقعها المهم بالنسبة للإمبراطورية التي شرع في إقامتها؛ إذ يتضح ذلك من خلال توجه تفكيره نحو إقامة مستوطنات يونانية دائمة على سواحلها[4]، في مختلف جهاتها، ويبدو هذا التفكير منطقيًا بالنظر إلى موقع شبه الجزيرة العربية وسواحلها: أولا: بالنسبة للحدود التي توسعت إليها إمبراطوريته؛ إذ سيكتمل له عقد السيطرة على كل المناطق التي تطلع إليها، وثانيًا - وأخيرًا- بالنسبة للإطلالة المباشرة للسواحل الجنوبية على عالم المحيط الهندي؛ فهذه السواحل ستتيح له التحكم بكل تجارة الشرق، وقد تكون منطلق لمزيد من التوسع في هذا الاتجاه.

في سبيل تنفيذ مخطط غزوه لبلاد العرب، بدأ الإسكندر بناء أسطول بحري ضخم في قبرص وفينيقيا- تمّ نقل أجزاء السفن برًا إلى بابل؛ إذ أمر ببناء ميناء كبير هناك-، وبموازاة ذلك؛ وفي إطار استعداداته لحملته الكبرى، أرسل الإسكندر أربع

---

[1] - لمعرفة التفاصيل عن مجمل دوافع الإسكندر، يُنظر علي، جواد: المفصل...، الجزء الثاني، ص٥-٦. كذلك جاد: بلاد العرب...، ص٨٠-١٠١.

[2] -المؤرخ والقائد العسكري اليوناني (أوريانوس Arrianus)- عاش في القرن الأول لميلادي-؛ ويُعد مؤرخ الإسكندر نظرًا لاعتماده على كتابات اثنين من أهم قادة الإسكندر ومرافقيه (بطليموس، وأريستوبولوس)، يشير إلى اهتمام الإسكندر بمنتجات ممالك اليمن القديمة والسلع التي كانت تتاجر بها؛ إذ يقول: " أن ثروات بلاد العرب حفزت الإسكندر للشروع بهذه الحملة بعد أن سمع عن الكاسيا في الواحات، والأشجار التي تنتج اللبان والمر والشجيرات التي تنتج القرفة، والحدائق التي ينمو فيها الطيب من تلقاء ذاته " يُنظر جاد: المرجع ذاته، ص٣٩-٤٠ و ص٤٨-٤٩.

[3] - جاد: المرجع ذاته، ص٩٧-٩٨. أيضا فرح: الشرق الأدنى...، ص٣٧.

[4] -يشير إلى ذلك المؤرخ ذاته (اريانوس)بالقول: " كذلك بلاد العرب كانت بلادًا واسعة، ساحلها (كما قيل) لايقل في طوله عن ساحل الهند، وهناك جزر كثيرة في مواجهته، وهناك موانئ في كل مكان ملائمة لرسو أسطوله (الإسكندر)، ولأن تكون مواقع لمستوطنات جديدة يمكن أن تصل إلى درجة عالية من الثروة والرخاء..." يُنظر جاد: بلاد العرب...، ص٩٩. كذلك يُنظر فرح: الشرق الأدنى...، ص٣٧.

بعثات بحرية استكشافية في العام ٣٢٣ ق.م، بهدف التعرف على سواحل شبه الجزيرة العربية، وجمع المعلومات عن موانئها والجزر المقابلة لها:

- البعثة الأولى بقيادة (أرخياس Archias)، خرجت من جنوب بابل، ووصلت حتى جزيرة تيلوس (البحرين).
- البعثة الثانية بقيادة (أندرو ثينيس Androthenes)، خرجت من جنوب بابل، ولم تتعدى جزيرة (أرادوس Arados).
- البعثة الثالثة بقيادة (هيرون Hieron)، خرجت من جنوب بابل، ونجحت بالدوران حول شبه لجزيرة العربية حتى وصلت ميناء (هيوبوليس Heroplis) في مصر.
- البعثة الرابعة بقيادة (أنا كسيكراتيس Anaxicrates)، خرجت من هيروبوليس في الوقت ذاته التي خرجت فيها البعثة الثالثة، ولم تتجاوز باب المندب[1].

جمعت تلك البعثات معلومات مهمة عن سواحل بلاد العرب وموانئها وجزرها؛ لتزداد معارف اليونانيين ثم الرومانيين حولها[2].

يبدو أن استعدادات الإسكندر الأكبر كانت كبيرة وضخمة لتنفيذ حملته على شبه الجزيرة العربية، لكن وفاته أنهى مشروع الحملة وقضى عليه نهائيًا، ومع ذلك يُعد الإسكندر أول الملوك اليونانيين الذين فكروا وحاولوا الوصول إلى موانئ المحيط الهندي.

بعد وفاة الإسكندر الأكبر؛ احتاج الأمر اثنين وعشرين عامًا حتى تتضح المعالم التي آلت إليها إمبراطوريته؛ فخلال تلك الأعوام خاض قادة الإسكندر صراعًا مريرًا طويلًا؛ إما الإنفراد بحكم الإمبراطورية، أو الاستقلال بحكم أكبر رقعة ممكنة فيها، وهذا الصراع بعد موقعة خاضها كل هؤلاء القادة؛ تعرف بموقعة (إيسوس) على

---

[1] الشرق الأدنى...، ص٣٦-٣٧. كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١١١.

[2] المرجع نفسه، ص١١١.

٣٠١ ق.م[1]، بحيث قامت الدولة السلوقية في سورية والعراق بقيادة سلوقس الأول (٣٠٢-٢٨٠ ق.م)[2] ودولة البطالمة في مصر بقيادة بطليموس الأول (٣٢٣-٢٨٤ ق.م)، أما عرش مقدونيا المتحكم بكل مناطق اليونان فقد ظل يشهد صراعات القادة من أجل السيطرة عليه؛ بعد أن انفصلت عنه المقاطعات الشرقية[3].

دخلت الدولتان (السلوقية والبطلمية) في صراع مرير ومستمر؛ مثّل وجه آخر للصراعات الدولية والأطماع الأجنبية في الشرق، لم تلبث أن قامت للفرس دولة أخرى- تحت وطأت هذا الصراع بين هتين الدولتين- هي الدولة البارثية؛ منذُ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد[4]؛ فبعد أن استعاد سلوقس الأول - أول ملوك الدولة السلوقية- المناطق الواقعة إلى الشرق؛ التي كانت قد تمردت بعد وفاة الإسكندر؛ بما فيها فارس، وبلاد السند؛ فإنه وجه جهوده لضمان الحصول على منتجات الشرق عن طريق الخليج العربي والطريق البري الصاعد من شرق شبه الجزيرة العربية، إذ عمل على بناء مدن جديدة؛ جعلها مراكز لإعادة توزيع البضائع أهمها: دورا-أوروبس (الصالحية اليوم)، وسلوقية (على نهر دجلة)، فأصبحت الأخيرة تستقبل المنتجات القادمة عن طريق البحر والبر-الخليج العربي وشرق بلاد العرب- وبعد تجميعها تقوم بإرسالها إلى دورا-أوروبس، ومن هناك تنطلق باتجاه مدن سورية المهمة-آنذاك-؛ كأنطاكيا ودمشق[5].

ربما كان سلوقس الأول قد ضمن بإجراءاته تلك الحصول على جزء -يبدو مهمًا- من التجارة الشرقية؛ لكنه -أبدًا- لم يفكر بتنفيذ مشروع الإسكندر تجاه شبه الجزيرة العربية، على الرغم من أنه ورث المنطقة التي كانت ستكون المنطلق لتحقيق هذا المشروع، وفيها تمّ إعداد كل التجهيزات اللازمة لذلك؛ بما فيها الأسطول الضخم في

---

[1] - فرح: الشرق الأدنى...،ص٥٠.

[2] - بدأ حكم سلوقس الأول بالعام ٣١٢ ق.م، كون هذا العام شهد استعادته لمركزه في بابل بعد أن زوده بطليموس الأول بقوة ساعدته على ذلك، ينظر فرح: المرجع ذاته، ص٤٨، ص١٢٣.

[3] -مزيدًا من التفصيل عن صراع قادة الإسكندر بعد وفاته ينظر فرح: المرجع ذاته، ص٤٣-٥١.

[4] - حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٢٦٢، كذلك فرح: المرجع ذاته، ص١٣٤.

[5] - حتي: المرجع ذاته، ص٢٩٨-٢٩٩، كذلك فرح:المرجع السابق، ص١٩٤-١٩٦.

بابل[1]، ليس سلوقس الأول فحسب؛ ولكن أحدًا من الملوك السلوقيين الذين حكموا من بعده لم يجرؤ على القيام بهذا المشروع[2].

في الواقع هؤلاء الملوك فقدوا حتى سيطرتهم على بعض الطرق البرية التي أمّنها سلوقس الأول؛ أثناء خوضهم الصراعات ضد البطالمة[3]، ثم الفرس البارثيين، باستثناء الملك أنطيوخس الثالث الكبير (٢٣٢-١٨٧ ق.م)؛ الذي استعاد أثناء حكمه المناطق الشرقية وحقق نجاحات عسكرية مهمة على البطالمة، وأخرجهم من سورية[4]، ثم أخذ يضع الخطط للقيام بحملة على شبه الجزيرة العربية بعد أن تنبه- على غرار الإسكندر الأكبر- لأهميتها في التجارة الدولية، ولأهمية السواحل المحيطة بها، غير أنه - فيما بعد- فطن إلى صعوبة السيطرة عليها، وإلى الآثار السلبية التي يمكن أن تنعكس على مملكته؛ إذا أقدم على تنفيذ مخططاته تلك؛ فظهره لازال مكشوفًا لأعدائه البطالمة في مصر، كما أن دخوله شبه الجزيرة العربية ومواجهته لسكانها وكياناتهم السياسية هناك لن تكون بالمسألة السهلة، وعليه أقلع أنطيوخس الثالث عن قيامه بهذه المغامرة، مفضّلا الالتفات للبطالمة والحيلولة دون عودتهم؛ حفاظًا على الممتلكات السلوقية في سورية[5].

أما ما كان من شأن ورثة الإسكندر الأكبر في مصر (البطالمة)؛ فيما يتعلق بتطلعاتهم وسعيهم لضمان الحصول على منتجات الشرق ومحاصيله؛ فقد استغلوا

---

[1]- يذكر أن الإسكندر الأكبر أقام حفل كبير في يونيو من عام ٣٢٣ ق.م على شرف قائده (نيارخوس)؛ الذي عهد إليه قيادة هذا الأسطول للاستيلاء على شبه الجزيرة العربية، وفي اليوم التالي أصيب الإسكندر بالحمى، وأسلم الروح في العاشر من يونيو ٣٢٣ ق.م، وكان عمره حينها ٣٣ عامًا. يُنظر فرح: المرجع ذاته، ص٣٧-٣٨.

[2]- علي، جواد: المفصل...، الجزء السابع، ص٢٦٨.

[3]- على الرغم من أن السياسة السلوقية كانت تهدف أولا إلى جذب بضائع شبه الجزيرة العربية والهند وأواسط آسيا إلى بلادها، للاستهلاك المحلي، وإعادة المتاجرة بهما مع الغرب ثانيًا، إلا أن البطالمة في مصر كانوا ينافسون السلوقيين في تجارة العبور؛ وكان ذلك أساس الصراع الحربي بينهما؛ يُنظر حتّي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٢٩٧.

[4]- لمزيد من التفصيل حول نجاحاته يُنظر: فرح الشرق الأدنى...، ص١٣٥-١٤٧.

[5]- حتّي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٢٦٤-٢٦٥.

إطلالة مصر على البحر الأحمر من الناحية الشرقية استغلالا ملحوظا[1]، إذ نشطت حركة سفنهم فيه؛ فتمكنوا من إقامة علاقات- على مايبدو- واسعة مع الموانئ الأفريقية -على وجه الخصوص-؛ فأسسوا مراكز تجارية مهمة، واستوطن عدد منهم فيها لدرجة أن التأثيرات اليونانية ظهرت على سكانها-فيما بعد- كما جاء في كتاب الطواف[2].

يبدو أن الخطوة التي قام بها بطليموس الثاني فيلا دلفوس (٢٨٤-٢٤٦ ق.م)، قد ساعدت على تواجد البطالمة المبكر في البحر الأحمر؛ إذ تمكن من إعادة شق القناة القديمة؛ التي تربط الفرع الشرقي لدلتا النيل (فرع دمياط) بالبحر الأحمر، وهو ما سهل حركة السفن وزيادة النشاط الملاحي، وبمرور الوقت أصبحت السيادة لهم في هذا البحر واحتكروا تجارته، لاسيما بعد أن سيروا سفن حراسة ضمن أسطولهم، وتمكنوا من القضاء على القرصنة-التي كانت قد برزت؛ كظاهرة أقلقت البطالمة في عهد بطليموس الثاني[3].

على الرغم من نشاط البطالمة الحثيث في البحر الأحمر، لكن-على الأرجح- لايبدو أنه أثر على نشاط التجارة البرية لممالك اليمن القديمة؛ على الأقل حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد[4].

## ب.الصراع الدولي ومحاولات الرومانيون تحقيق طموحاتهم في الشرق[5]:

تمكن الرومانيون من إسقاط الدولة السلوقية في العام ٦٤ق.م، عندما سيطر بومبي

---

[1] - الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١١١.

[2] -The Periplus: Secs.1-14, P.22-27.

[3] -الحوراني، جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة، وأوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب البكر، مراجعة د.يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، مؤسسة فرانكلين للطباعة (نيويورك)، ١٩٦٤م، ص٥٧. كذلك فرح الشرق الأدنى...، ص٥٧.

[4] -بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٢٩، كذلك الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١١١-١١٢، الحملة الرومانية نحو جنوب شبه الجزيرة العربية في ٢٤ ق.م، تدفع للأخذ بهذا الرأي؛ على أساس أن تجارة الممالك اليمنية القديمة البرية لازالت فاعلة، الأمر الذي دفع الرومانيين للقيام بهذه الحملة إلى جانب أهدافها الأخرى.

[5] -سيتم التركيز على أهم الأحداث التي تبرز طموحات الرومانيين في التجارة الشرقية، وسعيهم للسيطرة على طرقها حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد.

(بومبيوس) الكبير[1] على كل سورية، لتصبح منذئذ ولاية رومانية؛ مع الإبقاء على الحكام المحليين مقابل أخذ الجزية السنوية منهم، كما تمّ السماح لملك الأنباط الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م) الاحتفاظ بدمشق-إذ كانت تحت السيطرة النبطية- مقابل مبلغ كبير من المال[2].

واصل الرومانيون الصراع الدولي ضد الفرس البارثيين، بقيادة (كراسوس)[3]؛ إذ شن عدة حملات على المملكة البارثية؛ لكن الفشل أصاب حملته الأخيرة بالقرب من (حرّان)، وقتل هناك عام ٥٣ ق.م؛ في كمين نصب له ولرجاله؛ غير أن (كاشيوس) الذي خلفه في حكم سورية؛ تمكن من طرد البارثيين منها سنة ٥١ ق.م، إذ أدرك البارثيون صعوبة مواجهة الجيش الروماني؛ الذي استعدّ وانطلق من أنطاكيا، فآثروا الانسحاب من سورية على المجازفة بمواجهة هذا الجيش[4].

لم يمر وقت طويل حتى تفجرت الصراعات (الحرب الأهلية) بين الزعماء الرومانيين ويوليوس قيصر؛ فألقت بظلالها على الولايات الرومانية، بما فيها الشرقية (ولاية أسيا)، إلا أن يوليوس قيصر نجح في القضاء على بومبي الكبير عام ٤٨ ق.م[5]، ثم شرع بالاستئثار بكافة السلطات في الدولة؛ حتى ظهر وكأنه يسعى إلى إلغاء النظام

---

[1] من أبرز قادة روما السياسيين، تولى عدة مسئوليات منذ انتزاعه سلطة بروقنصل من مجلس الشيوخ في روما عام ٧٧ ق.م، ليصبح قائدًا للجيش في ولاية أسبانيا ثم حاكم عليها، وبسبب دوره في القضاء على ثورة العبيد؛ التي اندلعت جنوب إيطاليا عام ٧١ ق.م تمكن من فرض ترشيحه قنصلا لعام ٧٠ ق.م-إلى جانب كراسوس- على الرغم من عدم توفر الشروط القانونية لترشيحه، إلا أن أهم نجاحاته حققها في سورية؛ عندما تمكن من القضاء على الدولة السلوقية وجعلها ولاية رومانية، تمتد حدودها شرقا حتى نهر الفرات، للمزيد يُنظر: الصالحي، وائق إسماعيل: محاضرات في تاريخ الرومان، الطبعة الولى، دار الكتاب الجامعي، الحديدة ٢٠٠٨م، ص١١١-١١٢.

[2] حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٣٠٨-٣٠٩.

[3] أحد أعضاء الحكومية الثلاثية الأولى للإمبراطورية الرومانية؛ إلى جانب بومبي الكبير ويوليوس قيصر، وبعد أن تولى كراسوس قيصر بالقنصلية عام ٥٩ ق.م، وأثناء حكمه لولاية الغال أسند حكم ولاية أسيا لكراسوس؛ ليبدأ حملته ضد البارثيين، يُنظر الصالحي: محاضرات في...، ص١١٣-١١٥.

[4] المرجع السابق، ص٣١٠.

[5] إيلاف...، ص٥١، كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٤٨.

الجمهوري، وفي مفتتح العام ٤٤ ق.م حصل على السلطة الدكتاتورية لمدى الحياة، غير أنه اغتيل على يد أعدائه في الخامس عشر من آذار عام ٤٤ ق.م[1].

في ظل الخيبة التي مُنيَ بها قتلة الدكتاتور (قيصر) من جهة، والحذر واليقظة الشديد أبداهما أنصاره من جهة أخرى؛ ظهر حزبان رئيسان على ساحة روما هما: حزب الجمهوريين، وحزب مناصري السياسة القيصرية، انتهى الصراع بينهما في معركة فيليبي (Philipi) في اليونان؛ عام ٤٢ ق.م، وذلك بهزيمة الجمهوريين؛ لتتشكل الحكومة الثلاثية الثانية بالحكم[2]، والمكونة من (أنطونيوس)، (أكتافيوس)، (ليبيدوس)[3]، وسرعان ما تم تقسيم ولايات الإمبراطورية بين القائدين البارزين: (أنطونيوس) تولى الولايات الشرقية، و(أكتافيوس) تولى الولايات الغربية[4].

لم تلبث الإمبراطورية الرومانية أن شهدت منافسة جديدة؛ تطورت إلى عداء بين صديقي الحزب القيصري، والحكومة الثلاثية الثانية (أنطونيوس) و(أكتافيوس)؛ فتوترت العلاقة بينهما؛ بحيث لم تشفع معاهدة (برنديزي Brundisium)؛ التي عقدت بينهما عام ٤٠ ق.م في إصلاح الوضع، والتوفيق بينهما[5].

استغل البارثيون الصراعات الداخلية بين الزعماء الرومانيين؛ فهاجموا الممتلكات الرومانية في سورية، وتمكنوا من الوصول إلى فلسطين سنة ٤٠ ق.م، لكن الرومانيون شنوا سلسلة من الهجمات على البارثيين، لاسيما الهجوم الذي قاده (هيرودوس)[6]

---

[1] - الصالحي: محاضرات في...، ص١٢٢.كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٥٠.

[2] - الصالحي: المرجع ذاته، ص١٢٣.كذلك: فرح: المرجع ذاته، ص٢٥٢.

[3] - مارك (ماركوس) انطونيوس صديق بوبليوس قيصر، وابرز ضباط جيوشه، اكتافيوس ابن بوبليوس قيصر بالتبني، ليبيدوس أحد قواد الفرسان، التي ساندت قيصر في معظم إجراءاته. يُنظر: الصالحي: المرجع ذاته ص١٢٢. كذلك فرح: المرجع ذاته، ص٢٥٢.

[4] - ديورانت،ول: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الكتاب التاسع (الجزء الأول من المجلد الثالث) (الحضارة الرومانية)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٥م، ص١١٣. كذلك الصالحي: المرجع ذاته ص١٢٣، أيضا فرح: ذاته.

[5] - أصبح حاكم على المقاطعة اليهودية في سورية فيما بعد من قبل انطونيوس وبمباركة مجلس الشيوخ الروماني. يُنظر حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول،ص٣١١.

[6] - سخاو: إيلاف...، ص٥١.

الجمهوري، وفي مفتتح العام ٤٤ ق.م حصل على السلطة الدكتاتورية لمدى الحياة، غير انه اغتيل على يد أعدائه في الخامس عشر من آذار عام ٤٤ ق.م[1].

في ظل الخيبة التي مُني بها قتلة الدكتاتور (قيصر) من جهة، والحذر والبغضاء من ابداهما أنصاره من جهة أخرى؛ ظهر حزبان رئيسان على ساحة روما هما حزب الجمهوريين، وحزب مناصري السياسة القيصرية، انتهى الصراع بينهما في معركة فيليبي (Philipi) في اليونان؛ عام ٤٢ ق.م، وذلك بهزيمة الجمهوريين؛ لتشكل الحكومة الثلاثية الثانية بالحكم[2]، والمكونة من (أنطونيوس)، (أكتافيوس)، (ليبيدوس)، وسرعان ما تم تقسيم ولايات الإمبراطورية بين القائدين البارزين: (أنطونيوس) تولى الولايات الشرقية، و(أكتافيوس) تولى الولايات الغربية[3].

لم تلبث الإمبراطورية الرومانية أن شهدت منافسة جديدة؛ تطورت إلى عداء بين مديقي الحزب القيصري، والحكومة الثلاثية الثانية (أنطونيوس)و (أكتافيوس)؛ فتوترت العلاقة بينهما؛ بحيث لم تشفع معاهدة (برنديزي Brundisium)؛ التي عقدت بينهما عام ٤٠ ق.م في إصلاح الوضع، والتوفيق بينهما[4].

استغل البارثيون الصراعات الداخلية بين الزعماء الرومانيين؛ فهاجموا الممتلكات الرومانية في سورية، وتمكنوا من الوصول إلى فلسطين سنة ٤٠ ق.م، لكن الرومانيون شنوا سلسلة من الهجمات على البارثيين، لاسيما الهجوم الذي قاده (هيرودوس)؛

---

[1] - الصلاحي: محاضرات في...، ص١٢٢.كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٥٠.

[2] - الصلاحي: المرجع ذاته، ص١٢٣.كذلك: فرح: المرجع ذاته، ص٢٥٢.

[3] -مارك (ماركوس) أنطونيوس صديق يوليوس قيصر، وأبرز ضباط جيوشه، اكتافيوس ابن يوليوس قيصر بالتبني، ليبيدوس قائد قوات الفرسان؛ التي ساندت قيصر في معظم إجراءاته. ينظر: الصلاحي: المرجع ذاته، ص١٢٢. كذلك فرح: المرجع ذاته، ص٢٥٢.

[4] - ديورانت،ول: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الكتاب التاسع (الجزء الأول من المجلد الثالث) (الحضارة الرومانية)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٥م، ص٤١٣. كذلك الصلاحي: المرجع ذاته، ص١٢٣، أيضا فرح: ذاته.

[5] -خضوع حاكم على المقاطعة اليهودية في سورية فيما بعد من قبل أنطونيوس وبمباركة مجلس الشيوخ الروماني. ينظر حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول،ص٢١٦.

[6] - سقلب: إيلاف...، ص٥١.

والذي قضى على نفوذ البارثيين في فلسطين[1]، ثم أرسل أنطونيوس سلسلة حملات أخرى ضدهم أعوام (٣٦، ٣٥ ، ٣٤ ق.م)، وفي الأخيرة -فقط- تمكن من ضم أرمينيا[2].

أشتد الصراع بين الزعيمين (أنطونيوس) و(أكتافيوس) ولم يتم حسمه؛ إلا بعد المعركة البحرية الشهيرة (معركة أكتيوم) ربيع ٣١ ق.م، إذ انتصر (أكتافيوس)، وهرب (أنطونيوس) إلى مصر، وهناك انتحر؛ فانفرد أنطونيوس بحكم الإمبراطورية الرومانية؛ بعد أن استولى على كل الولايات الشرقية؛ بما فيها مصر؛ التي أصبحت منذ ذاك ولاية رومانية[3]*.

تمكن (أغسطس) من تعيين الحدود بين إمبراطوريته والمملكة البارثية، وكذا تأمينها، لتستقر له الأوضاع[4]؛فبدأ يوجّه أنظاره-في الشرق-نحو طرق التجارة الشرقية ومنافذها (البرية والبحرية)، وعلى الرغم من أن السفن الرومانية أصبحت ترتاد البحر الأحمر-على الأرجح بانتظام- نحو الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وموانئ الهند في سبيل الحصول على منتجاتها[5]، إلا أن أغسطس قرر إرسال حملته الشهيرة؛

---

[1] - الصالحي: محاضرات في...، ص١٢٥.

[2] - تزوج على إثرها (أنطونيوس) من (أكتافيا) شقيقة (أكتافيوس)، ينظر: فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٥٣.

[3] - ذلك بعد انتحار كليوباترا عام ٣٠ ق.م؛ ينظر الصالحي: محاضرات في...،ص١٢٧،كذلك فرح: المرجع ذاته، ص٢٥٦.

* - يذكر أنه في جلسة مجلس الشيوخ المنعقدة في ١٣ يناير ٢٧ ق.م أعلن أكتافيوس تنازله عن جميع السلطات بما فيها قيادة الجيوش-، غير أن المجلس قرر انتخابه بروقنصل لمدة عشر سنوات، وفي الجلسة المنعقدة بعد ثلاثة أيام (١٦ يناير ٢٧ ق.م)؛ أضفى عليه المجلس لقب (أوغسطس Augustus)- بمعنى المحترم، الموقر، المقدس، الجليل-، ومن ثم؛ فإن هذا اللقب أعطاه هالة من القداسة، وحباه بحماية الدين والآلهة؛ ثم لم يلبث أن منحه ذات المجلس لقب المواطن الأول(الزعيم Princeps)؛ ليبدأ عهد جديد للإمبراطورية الرومانية بقيادته، الجدير بالذكر أن الشهر الثامن للسنة الميلادية تم تغيير تسميته من (سكتيليس) إلى (أغسطس) تكريمًا له؛ ينظر ديورانت: قصة الحضارة، الكتاب التاسع ( الجزء الثاني من المجلد الثالث)، ص١٢. أيضاً: حتي: تاريخ العربية...، الجزء الأول، ص٣١١، كذلك الصالحي: محاضرات في...، ص١٢٧. كذلك فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٦٠.

[4] - فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٥٤.

[5] - عبدالعليم، مصطفى كمال: " تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني (الجزيرة العربية قبل الإسلام)، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٤م، ص٢٠٧-٢٠٨.

للسيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، ويبدو أن أهدافه من هذه الحملة قد تمثلت على نحو:

- إخضاع مداخل البحر الأحمر الجنوبي للسيطرة الرومانية كما هو حال شماله.
- الحصول على ثروات المنطقة ومنتجاتها[1].
- إحكام السيطرة على طرق التجارة البرية، وكذا والموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية.
- تأمين طرق التجارة مع الهند؛ بغرض تأمين استمرارية الوصول إلى مصادر التجارة الشرقية[2].

كلف أغسطس نائبه في مصر(إليوس جالوس Aelius Gallus) تجهيز الحملة وقيادتها؛ فباشر الأخير الإعداد لتلك الحملة في أغسطس ٢٤ ق.م؛ إذ جهز (١٣٠) سفينة، وحشد لها عشرة آلاف من الجنود الرومانيون، إلى جانب ألف جندي من الأنباط[3]، وخمسمائة من الجنود اليهود.

انطلقت الحملة من منطقة (كليوباتريس Cleopatris) القريبة من القناة القديمة التي تربط النيل بالبحر الأحمر، وبعد (١٤) يومًا وصلت إلى ميناء (لويكي كومي Leuke-Come) النبطي؛ وذلك بعد صعوبات ومتاعب كثيرة؛ خسر فيها الرومانيون العديد من سفنهم مع بعض من طواقمها، ومن هناك اتجهت الحملة نحو الجنوب؛ لكنها لم تتجاوز مدينة مأرب، التي حُوصرت لمدة ستة أيام، ليدرك الرومان أن حملتهم أصابها الفشل؛ فعادوا أدراجهم دون أن يحققوا الأهداف التي جردوا من أجلها هذه الحملة.

---

[1] - يذكر استرابو (مؤرخ الحملة) وهو يتحدث عن إرسال أغسطس لها؛ أن الحملة تهدف أيضا استكشاف (أثيوبيا)، كما يحدد ثروات سكان بلاد العرب وتجارتهم بالمواد العطرية ينظر:

Strabo: op-cit, BK 16,Ch4,Sec.22,P.353-355.

[2] - أرح: الشرق الأدنى...، ص٢٦٦ ،كمال الجرو: دراسات في التاريخ...، ص١١٢.

[3] - يرى بالفايه وجود ثوات الأنباط ضمن قوام الحملة الرومانية ؛ يُعد مظهرًا جديدًا لاحتكاك عرب الجنوب بعرب الشمال، وتحريضًا من دولة كبرى لأهل شبه الجزيرة العربية لضرب بعضهم ببعض، بالفايه: في العربية...، الجزء الأول، ص٢٢-٢٣.

يحمّل المؤرخ استرابون- الذي كان صديقًا شخصيًا لقائد الحملة (إليوس جالوس)- الوزير النبطي (سيلايوس Syllaeus) (صالح) مسئولية فشل الحملة؛ فهو يتهمه بتعمد تضليلها، ويستطرد موضحًا أن الرومانيين حين اكتشفوا خداعه، اتهموه بالخيانة لهم، وهي تهمة أدين بها- إلى جانب تهم أخرى- في روما؛ فتمّ قطع رأسه[1].

يبدو أن الأنباط؛ وملكهم – في هذا الوقت- عبادة الثالث (٢٨-٩ ق.م) كانوا على علاقة جيدة بالرومانيين، بدليل أن الملك سمح لوزيره سيللايوس (صالح)[2] بأن يكون المرشد والدليل لجيوش الحملة، كما قدم لها ١٠٠٠ جندي-كما جاء أعلاه-، بالإضافة إلى أنه سمح لتلك الجيوش أن تستخدم ميناء المملكة، وأن تجتاز أراضيها أثناء توجهها نحو الجنوب.

مهما كانت حقيقة أسباب فشل الحملة الرومانية[3]؛المهم أن فشلها- بحد ذاته- منع كارثة مبكرة؛ ربما كانت ستحل على ممالك اليمن القديمة، كما أن الخسائر الكبيرة التي ترتبت جراء هذا الفشل، جعلت أغسطس يتراجع نهائيًا عن فكرة غزو هذه المنطقة مرة أخرى[4]، إذ نصح من يخلفه في حكم الإمبراطورية الرومانية في وصية تمّت قراءتها بعد وفاته في مجلس الشيوخ علنًا؛ بأن عليهم الإبقاء على حدود الإمبراطورية كما هي؛ بحيث لاتتعدى صحراء العرب، وصحراء أفريقيا جنوبًا[5]، ومع ذلك ظلت مسألة

---

[1] كل ذلك، وتفاصيل أكثر وردت في كتابات استرابون، يُنظر Strabo: op-cit, BK 16,Ch4,Ses.s.22-24,P.253-263.

[2] إن كان صحيحًا أن هذا الوزير قد قام بكل تلك الخدع، وإنه مكر الرومانيين-بمباركة الملك أويدونها- قبله -على حد- قد فطن لخطورة دخول الرومانيين إلى شبه الجزيرة العربية-لاسيما جنوبها- وما سيترتب على ذلك من فقدان مكانها للكثير من ثرواتهم ومقومات حياتهم- العمل في التجارة على وجه الخصوص- وأنه بعمله هذا؛ قدم خدمة جليلة لممالك اليمن القديمة.

[3] لمعرفة بعض الآراء حول أسباب فشل الحملة يُنظر علي، جواد: المفصّل...، الجزء الثاني، ص٤٣-٥٨. أيضًا الشوبة: أسماك...، ص٢٢.كذلك الجرو: التاريخ السياسي...، ص١٩٩-٢٠١.

[4] سارتون، جورج: "علم الجغرافيا في القرنين الأخيرين، كراتيس وسترابون" ترجمة مصطفى عبدالحميد وآخر، في كتاب تاريخ العلم، الجزء السادس، ترجمة لفيف من علماء الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، إشراف قسطنطين زريق (وآخرون)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١م، ص٣٩.مع أن هناك من يرى بأن أغسطس شهد حملة رومانية أخرى على جنوب شبه الجزيرة العربية؛ بقيادة (جايوس قيصر)- حفيد أغسطس- لكنها كانت حملة سريعة، وهدفت إلقاء نظرة على بلاد العرب، يُنظر الفرح: الشرق الأدنى...،ص ...، سحاب: إيلاف...، ص٥٥-٥٦.

[5] إيلاف...، ص٥٦.

إيجاد نفوذ روماني في موانئ المحيط الهندي طموحًا يراود هذا الإمبراطور؛ سعى من أجل تحقيقه، إذ عمل على تدعيم أسطوله في البحر الأحمر وتقويته؛ ساعده في ذلك أن الرومان- بعد هذه الحملة- أصبح لهم موطئ قدم في ميناء (لويكي كومي) النبطي؛ مما يعني سيادتهم على شمال البحر الأحمر؛ فازداد تركيزهم على الملاحة فيه، كما ازداد نشاطهم التجاري[1]؛ لاسيما بعد أن وجّهوا السفن القادمة من الموانئ الجنوبية إلى ميناء (ليوكو ليمن Louko Limon) المصري؛ مع نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي؛ فصارت السفن تفرغ حمولاتها هناك؛ بدلا من ميناء (لويكي كومي)، ثم تُنقل بريًا إلى الإسكندرية، وهذا الوضع -بالطبع- أثر على الطرق البرية بين مدن الأنباط وغزة؛ إذ أصيب الميناء النبطي بحالة من التراجع والضعف، انعكس تأثيرهما على مدن الأنباط على امتداد هذه الطرق[2].

من الواضح أن كل تلك الأحداث دفعت الرومانيين نحو تركيز جهودهم على الملاحة في البحر الأحمر في سبيل تحقيق غاياتهم؛ والمتمثلة بالوصول إلى مصادر التجارة الشرقية؛ فأدى ذلك إلى انتعاش التجارة البحرية بين مصر والهند في القرنين الأولين للعصر الميلادي[3].

## ٢-تعرّف الغربيين على أسرار الملاحة في المحيط الهندي:

ظل المحيط الهندي مستعصيًا على الملاحين الغربيين مدة طويلة من الزمن، إذ كانت السفن القادمة من البحر الأحمر لاتتعدى ميناء عدن[4]؛ فتفرغ حملتها هناك، وتأخذ مبتغاها من سلع وبضائع الشرق؛ لتعود أدراجها دون أن تتجاوزه، ويبدو أن ملاحي جنوب شبه الجزيرة العربية وتجارهم احتكروا التعامل مع الموانئ المطلة على المحيط

---

1 - يُنظر: توحيد اليمن...، ص١٤٧-١٤٨.

2 - يُنظر: المرجع السابق، ص٦١.

3 - يُذكر أن ميناء قنا؛ كميناء على الطريق بين مصر والهند؛ كان في قمة ازدهاره في هذين القرنين، يُنظر الشعيبي: ميناء قنا...، ص٦٧-٦٨. ولمزيد من التفصيل حول انتعاش الملاحة في البحر الأحمر في هذين القرنين يُنظر الشداح، أحمد طعمة يوسف: انتعاش الملاحة في البحر الأحمر في القرنين الأول والثاني الميلاديين، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف د.اسمهان سعيد الجرو، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن.

4 -The Periplus: Op-cit, Sec. 26, p.31.

الهندي؛ لاسيما الموانئ الهندية[1]؛ فالسفن القادمة من هذه الموانئ؛ إذا اختارت التوجه نحو جنوب شبه الجزيرة العربية-لاشرقها- تكون محطتا رسوها إما ميناء (قنا) أو ميناء (عدن)، ومن هذين الميناءين يتم نقل البضائع إما عن طريق البر، أو بحريًا بواسطة السفن التي تصل هذين الميناءين[2].

احتفظ الملاحون العرب والهنود بأسرار الملاحة في المحيط الهندي؛ بما في ذلك الطرق البحرية ومسالكها، واتجاهات الرياح الموسمية (صيفًا وشتاءً) ومواقيتها، ويبدو أنهم لم يفشوها لغيرهم من الشعوب[3]؛ مثلهم في ذلك مثل الفينيقيين؛ الذين احتفظوا بأسرار ملاحة البحر الأبيض، ولم يدركها الإغريق إلا فيما بعد[4].

يمكن للمرء أن يفترض قيام محاولات عديدة بغرض تحقيق الرحلة -عبر البحر- بين مصر والهند، منذُ نجاح بعثة الإسكندر الأكبر الثالثة في الدوران حول شبه الجزيرة العربية؛ التي انطلقت من بابل، ووصلت إلى مصر عبر البحر الأحمر[5]؛ فقد جاء في الوثائق المصرية البطلمية ما يشير إلى نجاح التاجر اليوناني (إيودوكسوس Aeodoccus) في الوصول إلى الهند؛ في زمن بطليموس الثاني (٢٨٤-٢٤٦ ق.م)، كما تذكر أن بطليموس الثاني ذاته أرسل بعثات بحرية عبر البحر الأحمر، أهمها تلك التي قادها (أريستون Ariston) بهدف استكشاف شواطئ بلاد العرب[6]، غير ان رحلات السفن من مصر إلى الهند لم يكتب لها النجاح والاستمرارية والانتظام؛ إلا بعد

---

[1]- شهاب: أضواء...، ص١٨٨.

[2]- بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٤، كذلك الشيبة: أفول...، النسخة المنقحة (غير المنشورة)، ص٢٤.

[3] حتي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص١٠٤.

[4] فرح: الشرق الأدنى...، ص٣٦.

[5]- جاء إلى الإسكندرية من مدينة (كيز يكوس) على بحر مرمرة، وفي رحلته إلى الهند استعان بأحد الهنود ليكون مرشدًا له ومن هناك جلب العديد من السلع الثمينة؛ كالطيوب والتوابل والأحجار الكريمة، إلا أن بطليموس الثاني استولى على هذه السلع بمجرد عودته إلى مصر، فعاد مرة ثانية إلى الهند، وجلب منها شحنة أخرى تحوي تلك الهنة من السلع، غير أن السلطة الملكية في مصر استولت عليها أيضًا، يُنظر عبدالعليم: "تجارة الجزيرة العربية..."، ص٢٠٥، يبدو أن المرشد الهندي قاد التاجر اليوناني إلى الهند دون أن يطلعه على مسالك المحيط الهندي وأسراره، أو أن التاجر-ذاته- يجهل في أمور الملاحة -إن لم تكن قصة الرحلة ملفقة-وإلا كيف يُفسر أن الرحلة في الإبحار من مصر إلى الهند قد حدث بعد هذه الرحلة بحوالي أكثر من قرن ونصف-كما سيأتي لاحقًا-.

[6] فرح: الشرق الأدنى...، ص٥٦.

أن تمكن الملاح اليوناني (هيبالوس Hippalus) من التعرّف على أسرار الملاحة في المحيط الهندي؛ فقد جاء في كتاب الطواف أنه عرف مواقع الموانئ، وحالة الجو والبحر، وأنه اكتشف سر الرياح الجنوبية الغربية التي استخدمها في عرض المحيط ليصل إلى الهند مباشرة[1]، ويبدو أن ذلك قد حدث في زمن بطليموس الثامن (سوتير الثاني) (١١٦-٨٠ ق.م)[2].

بعد هذا الكشف؛ الذي تحقق للأمم الغربية (اليونانيون والرومانيون)، أصبحت الرحلات البحرية منتظمة من مصر إلى الهند، وهو ما أدى إلى تنشيط الملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومع دخول العهد الميلادي ازداد النشاط التجاري البحري؛ وتراجع النشاط التجاري على الطرق البرية[3]، وفي هذا الصدد يبدو أن التطور الكبير في صناعة السفن؛ من حيث الحجم والأشرعة، وزيادة عدد المجاديف في السفينة من العوامل المهمة التي ساعدت في نهضة الملاحة والتجارة البحرية[4].

---

1- The Periplus: Op-cit, Sec. 57, p.45.

2- الدبية: الولاء... الصفحة المشار إليها (غير المنشورة)، ص٢١.

3- عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٣٢١، أيضاً بالذيب: في التجارية...، الجزء الثاني، ص٥٩، أيضاً روبان: الممالك التجارية...، ص١٨٠، كذلك سيدوف: كتا...، ص١٩٣، كذلك الجرد: موجز...، ص٢٠٣.

4- الهاشمي: "التجارة القوافل..." ص٢١-٢٥، ولمزيد من التفاصيل حول صناعة السفن في هذا الوقت يُنظر الشماع: تنظيم الملاحة...، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الفصل الخامس كله.

## المبحث الثاني: العلاقة بين الممالك وموقفها من الوضع الدولي بعد الإسكندر الأكبر.

### ١-وضع الممالك في القرون الثلاثة السابقة للميلاد.

لايبدو أن هنالك شك حول ما يذهب إليه العديد من علماء التاريخ والمؤرخين[١]؛ من أن الأحداث الخارجية والصراعات الدولية على مسرح الشرق القديم؛ وما حملته من مشاريع وأطماع؛ بما فيها السعي الحثيث للسيطرة على التاجرة الشرقية؛ قد أثرت أيما تأثير على ممالك اليمن القديمة، إذ انه بنتيجة تلك الأحداث سيطرت قوى الغرب (اليونانيون، ثم الرومانيون) على كامل المنطقة الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى مصر[٢]،كما أفضت محاولات البطالمة والرومانيين الدؤوبة من أجل الوصول إلى مصادر التجارة الشرقية إلى سيطرتهم على الملاحة في البحر الأحمر؛ وتمكنهم من التعامل مع الموانئ الرابضة على ضفته الإفريقية، فانفتحت أمامهم نافذة للإطلال على عالم المحيط الهندي، وتحققت لسفنهم إمكانية الإبحار من مصر إلى الهند، وبالمحصلة انتعشت التجارة البحرية وتراجعت التجارة على الطرق البرية، وهو الأمر الذي انعكس سلبيًا على ممالك اليمن القديمة[٣]؛ لاسيما على أوضاعها السياسية والاقتصادية، وتردّت أحوالها؛ لتدخل في دوامة من الصراعات والحروب-غير المبررة أحيانًا- أدّت في النهاية إلى سقوطها الواحدة تلو الأخرى.

بيد أن الحقيقة قد تجانب بعضٍ من صوابها؛ إذا تمّ اعتبار أطماع القوى الأجنبية وصراعاتها، ومانتج عنها من تطورات على الصعيد الدولي هي وحدها-فحسب- المسؤولة عما آلت إليه أوضاع الممالك من تراجع وسوء، ذلك لأن الممالك ذاتها- على مايبدو- تتحمل جزءًا مهمًا من المسئولية؛ إذ وقرت الظروف الملائمة والأرضية

---

١-على سبيل المثال: عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٣٢١-٣٢٢، كذلك الشيبة: دراسات...، ص١٧-٢٣. أيضًا، رودان:" الممالك المحاربة..."، ص١٨٠-١٨١، كذلك الجرو: موجز...، ص٢٠٢-٢٠٦، بالإضافة إلى الشعيبي: مواد الدا...، ص٧٠، وكذلك النفيف: مملكة قتبان...، ص٣١

٢-مثل ذلك خطرًا حقيقيًا على المدى البعيد ليس فقط على تجارة ممالك اليمن القديمة؛ بل وعلى التجارة البرية الصاعدة من الموانئ الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ومثلها تجارة الأنباط

٣-بغض النظر عن انتعاش حضرموت الاقتصادي المؤقت، والفائدة التي جنتها حمير (الصاعدة)؛ بحكم سيطرتها على الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية.

الخصبة؛ التي سمحت لتبعات الأحداث الدولية والأطماع الأجنبية تلك؛ أن تؤثر على أوضاعها الداخلية؛ إلى درجة أصبحت معها غير قادرة على مجابهتها، أو إيجاد الحلول لأزماتها، وفي السطور التالية ما يمكن أن يعين على توضيح ذلك:

أ. منذ أن وطأت أقدام الإسكندر الأكبر وقواته أراضي الشرق، وقيامه بإسقاط الممالك، والسيطرة على مناطق واسعة؛ تشكل مجتمعة قوسًا يحيط بشبه الجزيرة العربية؛ يمتد من مصر غربًا، ويمر بمناطق سورية والعراق وبلاد فارس شمالاً، حتى يصل بلاد السند شرقًا[1]، منذئذ وممالك اليمن القديمة لم تُعر المستجدات الخارجية بالاً، بل ولم تستشعر الخطر؛ الذي صار يدنو منها ويحدق بمصالحها التجارية[2].

ب. لم تكترث الممالك - على ما يبدو أيضًا- للصراع الدولي الدائر إلى الشمال منها منذ أن اندلع بعد وفاة الإسكندر الأكبر، على الرغم من أن مناطق ذلك الصراع كانت تشكل أهم الأسواق التي يتم فيها تصريف تجارتها، كما أنها لم تحدد موقفًا واضحًا منها[3]؛ بل على العكس يبدو أنها اتكأت على أريكة احتياج الشعوب الأخرى - بما فيها أطراف الصراع الدولي- للسلع والبضائع التي تتاجر بها قوافلها- اللبان والمر والتوابل على وجه التحديد-، مكتفية بجني أرباحها الآنية، دون القيام بأية

---

[1] استغرق الإسكندر الأكبر ما يناهز (١١ عامًا)، مابين (٣٣٤-٣٢٣ ق.م)، ليتم سيطرته على تلك المناطق حتى وافاه الأجل، قبل أن يقضي عامه الأخير في بابل؛ ينظر فرح: الشرق الأدنى...، ص٢٥ و ص٣٨.

[2] -يجب أن نقدر مدة بصر الإسكندر الأكبر طويلاً، فماهو المصير الذي كان سينتظر ممالك اليمن القديمة؟! في ظل الاستحداثات الضخمة، التي شرع في تنفيذها؛ وهو يخطط لغزو شبه الجزيرة العربية من البر والبحر، علمًا بأن الإمبراطورية الفارسية الأخمينية لم تستطع التصدي في وجه الإسكندر ورجاله؛ وهي تسيطر على أراضي واسعة، تمتد من بلاد السند حتى شرق أسيا الصغرى، وامتلك من الإمكانيات ما يفوق إمكانيات ممالك اليمن القديمة مجتمعة.

[3] -ليس المقصود هنا أن تمثل الممالك طرفًا في الصراع الدولي؛ بل أن تجعل الأطراف المتصارعة تشعر بقوة وجودها، وأنها أرقب الأوضاع عن كثب.

خطوات من شأنها أن تحمي تلك التجارة مستقبلا[1]؛ لاسيما بعد أن أحكمت القوى الأجنبية سيطرتها على الطرق البرية في الشمال، وبدأت ترنو إلى أطرافها الأخرى في الجنوب[2].

ج. لم تسعَ الممالك إلى التوسع شملا؛ لإيجاد موطئ قدم لها هناك؛ بحيث تكون قريبة من المناطق التي تصل إليها قوافلها، وبالمقابل لم تعزز تواجدها في مستوطنات الشمال؛ من خلال إقامة المنشآت التي من شأنها أن تجعل منها مناطق جذب تجاري دائم؛ لايمكن تجاوزه[3].

د. أهملت الممالك توطيد علاقاتها مع الكيانات المحلية التي تتحكم بمركز التجارة وموانئ شرق شبه الجزيرة العربية؛ إذ أن خطوة مثل هذه كان يمكنها أن تخلف نظامًا تجاريًا موحدًا؛ يدير أنشطة التجارة[4] في كل شبه الجزيرة العربية-مع وجود مستوطنات الشمال-، ويتحكم بأهم مداخل التجارة الشرقية التي كانت قد وصلت إليها القوى الأجنبية.

---

[1] لم تستعد الممالك-منذ وقت مبكر- لمواجهة الظروف الجديدة، والمتغيرات الدولية؛ إذ أن اقتراب القوى الغربية من المنطقة، جعل شعوبها تدرك حقيقة سلع الشرق ومصادرها ومناطقها-بعد قرون ظلت فيها الممالك توهم العالم الخارجي بقدسية إنتاج محاصيل (البخور) وخطورته، وانها مصادر معظم سلع الشرق؛ لذلك حينها كانت الفرض ذاتها على التجارة العالمية- فبعد معرفة الحقيقة؛ كان على الممالك أن تجد ما يضمن بقاء دورها أساسيًا على مستوى التجارة الدولية؛ كالسعي لفرض عُملتها (نقودها) في التعاملات التجارية الدولية على سبيل المثال.

[2] - عندما بدأت ترسل البعثات البحرية لإستشكاف جنوب شبه الجزيرة العربية وسواحله؛ منذ زمن الإسكندر الأكبر، وخلفائه.

[3] - على غرار الإسكندر والسلوقيين، الذين شرعوا ببناء المدن التجارية، وربطها بالطرق المناسبة التي تضمن وصول التجارات إليها، ينظر حتي: تاريخ سورية...، ص٢٩٧-٣٠٠.

[4] - طور الممالك آلية إدارتها للتجارة في شبه الجزيرة العربية، وظلت على ذات الآلية التي استعملتها منذ الازدهار، بل راحت تشن الحروب ضد بعضها البعض بهدف السيطرة على التجارة؛ إذ لم يعد الهدف من شن الحرب إعادة التوازن للمصالح التجارية بين الممالك؛ بل من أجل السيطرة على تجارة الآخر.

هـ- لم تسرع الممالك بمحاولة مبكرة- منذ وصول القوى الغربية إلى الشرق- لفرض السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبي، وإثبات ذاتها؛ كقوة لايمكن تخطيطها، أو غمط حقها في التجارة الدولية، إذ أن فقدانها لجزء كبير من التجارة البرية[1]؛ كان يمكن تعويضه عن طريق الاشتراك الفعلي في تسيير أنشطة التجارة البحرية بين مصر والهند[2]، وليس الاكتفاء بالدور الذي قامت به بعض موانئها- قنا وموشج (موزع) على سبيل المثال[3]-.

و. لايبدو أن الممالك قد تنبهت للقوة الصاعدة على البر المقابل لسواحلها الجنوبية الغربية (مملكة أكسوم)، ولم تعمل على إذكاء تواجدها المبكر هناك؛ بما يضمن الولاء لها من قبل سكان هذه المنطقة؛ أو على الأقل اتقاء شرهم؛ وهو ماحدث لاحقًا[4].

من خلال ما جاء في الفقرات أعلاه يبدو أن ممالك اليمن القديمة وقتذاك- الثلاثة القرون الأخيرة السابقة للميلاد؛ زمن الصراعات الدولية على مسرح الشرق القديم-؛ بدلا من أن تتفاعل مع الأحداث الدولية، وترتب الأوضاع فيما بينها؛ بحيث توجه جهودها، وتسخر طاقاتها لمواجهة المستجدات الخارجية؛ بما يضمن لأساسها

---

[1] - جراء انتعاش التجارة البحرية في القرنين الأول والثاني الميلاديين.

[2] -ليس هناك ثمة نقوش او نصوص أخرى تدل على أن الممالك شاركت في التجارة البحرية في زمن انتعاشها، كما أن عدم تفكيرها إحكام السيطرة على هذا الجزء الحيوي تاريخيًا – الذي يُعد بوابة مهمة بين الشرق والغرب- جعلها تفقد الكثير من المكاسب؛ التي كانت من الممكن أن تستمر قرونًا لاحقة، ليس هذا فحسب؛ بل انه ترك فراغًا في المنطقة؛ ساهم بصعود نجم مملكة أكسوم؛ بحيث وجد الأكسوميون ذلك الفراغ فرصة جيدة للانطلاق؛ بداية من التواصل البحري التجاري مع البطالمة؛ إذ كانت سفنهم ترسو في أهم موانئ الحبشة (ميناء عدوليس)؛ ثم علاقة حسن الجوار التي أقاموها مع الرومانيين – ورثت البطالمة في مصر-، وبعد أن أصبحت لهم إمبراطورية مترامية الأطراف؛ صاروا مسيطرين على جزء كبير من تجارة البحر الأحمر، (وذلك بالطبع ما كان يفترض على الممالك ان تسعى لتحقيقه)؛ ينظر الشبيبة، عبدالله حسن: محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي ، صنعاء ٢٠٠٦م، ص٨٩-١٠٣.

[3] - المكاسب من هذين الميناءين استفادت منها حضرموت وحمير فقط، مما سمح لهما بانتعاش مؤقت، بينما المشاركة الفعلية بالتجارة البحرية كانت مكاسبها ستكون أكبر، وستدوم زمن أطول.

[4] -دخولهم إلى الساحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية (تهامة)، في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد، ينظر: الشبيبة، محاضرات، ص٢٠٣، وص١١٠. ثم الاحتلال الحبشي لليمن في القرن السادس الميلادي، ينظر المؤلف والكتاب ذاتيهما، ص١٩٠ وما بعدها.

الاقتصادي المشترك (التجارة) التقدم والديمومة على المستوى الدولي، اتجهت الممالك نحو مايشبه الانغلاق على ذاتها، ودخلت مرحلة من الاضطرابات والحروب-لاسيما منذ القرن الثاني قبل الميلاد-، غير ان أهداف تلك الحروب- على الأرجح- قد تغيّرت؛ مقارنة مع أهداف الحروب التي كانت تنشب في القرون السابقة[1]، بحيث أصبحت الممالك تطمع بعضها ببعض[2]، وتستهدف السيطرة على الآخر ؛ بل ضربه وتدميره، وليس أدل على ذلك مما حدث لمملكة معين؛ ففي ظل احتدام الصراع بين مملكتي قتبان وسبأ؛ اتجهت قتبان نحو محاولة تضييق الخناق على سبأ؛ من خلال عقد حلف مع معين للإطباق عليها- على ما يبدو- من الشمال والجنوب، بهدف تدميرها، غير أن مملكة سبأ - على الأرجح- كانت أكثر تماسكا منهما[3]؛ ولم تفوّت فرصة انشغال قتبان بمحاولة تسوية مشاكلها الداخلية؛ التي استجدت مع ظهور قبائل حمير؛ كقوة صاعدة على الساحة السياسية، فانقضّت على معين، وقضت عليها نهائيًا في القرن الأول قبل الميلاد[4].

---

1- أقامت ممالك اليمن القديمة-كما تقدم- في قرون ازدهارها وحدة اقتصادية فيما بينها؛ أساسها النشاط التجاري المشترك، صاغتها الممالك ذاتها؛ فضمنت - على ما يبدو- من خلالها كل مملكة الحصول على نصيبها من عائدات التجارة؛ بحيث إذا حدث خلل في توازن مصالح النشاط التجاري؛ بسبب إحدى الممالك؛ تندلع الحرب لإعادة الأمور إلى نصابها، حملات كر إيل وتر وحليفيه ( حضرموت وقتبان)، أنموذجًا، يُنظر بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٢-٢٣.

2- ربما لم تكن المسألة مجرد مصادفة؛ اشتداد الصراع الدولي على أراضي الشرق؛ الذي تحركه الأطماع الأجنبية، في الوقت ذاته تزداد الصراعات والحروب بين ممالك اليمن القديمة، وبالمحرك ذاته (الأطماع) مع اختلاف الأهداف؛ فالوضع الخارجي انعكس على الوضع الداخلي- حتى مع قلة اهتمام الممالك بما يدور في الخارج-، ويحسب على الممالك اختيارها الانكفاء داخليًا، وتوجيه أنظارها تجاه بعضها البعض، بدلا من تركيز اهتمامها نحو مواجهة الأخطار الخارجية؛ فلم تعد الجغرافية وبُعد المسافة سببًا كافيًا للاطمئنان.

3- بسبب تعرض قتبان لضربات القبائل الحميرية الطموحة منذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، ويُرجح أن معين ومن الجوف بدأت تتعرض لهجمات البدو (الأعراب) يُنظر روبان: "الممالك المحاربة"، ص١٨٠.

4- روبان: ذاته، كذلك الشبيبة: دراسات...، ص٢٠. أيضًا الجرو: موجز...، ص٢٠٦، يجد الباحث في حادثة سقوط مملكة معين سببًا جديدًا؛ يدعم فكرة تحميل الممالك جزءًا من مسئولية تردي أوضاعها، ثم سقوطها؛ ألا وهي الحروب- غير المبررة إلا بأطماع السيطرة- تقضي على مملكة معين؛ التي كانت تؤدي دورًا مهمًا في التجارة الخارجية، وربما لايكون صحيحًا القول بأن تراجع التجارة البرية كان سببًا أضعف معين وأدى إلى سقوطها؛ إذ كان النشاط التجارة البحرية في القرن الأول الميلادي، -أي بعد اكثر من نصف قرن على انتهاء دور معين- مما يعني ان التجارة البرية كانت لازالت مستمرة حتى نهاية القرن الأول قبل الميلادي؛ يُنظر بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٢٩.

توالت الأحداث الداخلية المضطربة في ممالك اليمن القديمة في القرن ذاته؛ فقتبان عانت كثيرًا من استمرار الصراعات ضد (سبأ)، وتطلع جارتها الشرقية (حضرموت)؛ في ظل الضغط المتزايد عليها من قبل الحميريين؛ الذين تمكنوا من السيطرة على الأجزاء الساحلية مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد؛ لتفقد قتبان ما كانت تسيطر عليه من التجارة البحرية[1]، أما مدن الجوف التي آلت السيطرة عليها إلى السبئيين[2] فقد استوطنها الأعراب[3]، وسبأ ذاتها؛ مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد يبدو انه قد نال الوهن منها بعض الشيء؛ بحيث انتظرت قدوم الحملة الرومانية -٢٤ ق.م- إلا قعر دارها، وأغلب الظن أنها لم تبد المقاومة المفترضة؛ فمدن الجوف سقطت بسهولة[4]، وعلى الأرجح الأعراب القاطنون في تلك المدن هم من اشتبك مع الرومان[5]، حتى وصلت الحملة إلى مأرب ذاتها؛ التي تعرضت لحصار قصير مدته ستة أيام[6]، وبغض النظر عن أسباب فشل الحملة وإقفالها عائدة أدراجها؛ فإن أحداث الحملة-بحد ذاتها- تشير إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها مملكة سبأ- وكذلك الممالك الأخرى-، إذ لم تذكر النقوش أية مقاومة لها ضد الرومان، كم لم تشر المصادر إلى وصول نجدة إليها من الممالك الأخرى، ثم أن تجروء الأنباط- على وجه الخصوص- على الاشتراك في الحملة بحوالي (١٠٠٠) مقاتل[7] (١٠ % تقريبًا من إجمالي المشاركين فيها)، يوحي- دون ريب- بضعف الممالك-آنذاك-؛ بحيث يتطلع الأنباط- كما يتطلع الرومانيون- للوصول إلى أراضيها، وتحقيق أطماعهم هناك.

---

[1] - بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٣٥.

[2] - عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٢٢٢-٢٢٣، كلك الشوبة: دراسات...، ص٤٨، أيضًا الجرو: موجز...، ص١٤٥.

[3] - روبان: الممالك المحاربة...، ص٤٨٠.

[4] - يُنظر: بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٧٥-٧٦. مصدرها: Strabo: op-citm BK 16, Sec.24, p361.

[5] - إذ يذكر استرابون بأن الرومان تعرضوا لهجوم من قبل البرابرة (The barbariand) يُنظر: Ibid.

[6] - Ibid.

يبدو أن سبأ لم تُعد تستحلب الجيوش الرومانية انتصارًا؛ بدليل أنه لم يتم العثور على نقش-على الأقل حتى الآن- يتحدث عن هذا الحدث المهم؛ فقد جرت العادة أن يتم تسجيل نقوش؛ تخلد الانتصارات في الحروب.

[7] - Strabo: op-citm BK 16, Sec.24, p361.

إذًا؛ تلك هي الخلفية-ذات الأفق البعيد- التي تركبت عليها مشاهد حلقات سقوط ممالك اليمن القديمة؛ فإذا كانت الصراعات الدولية والأطماع الأجنبية، وما نتج عنها من انتعاش للتجارة البحرية، وتراجع التجارة البرية- على طريق اللبان- على وجه الخصوص-؛ قد شكلت عاملا سيئًا؛ أضرّ بالممالك[1]؛ فإن الممالك-ذاتها- بإعطاء ظهرها للأخطار الخارجية، وتخليها عن مشروع وحدتها التجارية- أحد أهم أسباب ازدهارها- لصالح أطماعها الانفرادية؛ تكون قد شكلت عاملا أكثر سوءًا، وأكثر ضررًا، وبسبب هذين العاملين- الخارجي والداخلي- تكون بداية النهاية لممالك اليمن القديمة قد ظهرت مبكرًا، وما تلاها من أحداث تُعد أسبابًا ترتبت عن هذين العاملين، أتت إلى سقوطها النهائي.

## ٢- وضع الممالك في العهد الميلادي:

شهد جنوب شبه الجزيرة العربية؛ بكياناته السياسية التي ظلت تؤدي أدوارها بعد ميلاد المسيح؛ مجموعة من الظواهر والأحداث التي عكست طبيعة الوضع الداخلي، والتطورات المستجدّة على الصعيد الخارجي، بيد أن العديد منها كان ظهوره متأثرًا- بشكل أو بآخر- بمتغيرات النشاط التجاري؛ لعلّ أهمها:

### أ. تبدّل دور الأعراب من المدني إلى العسكري:

أول ذكر للأعراب[2] في نقوش ممالك اليمن القديمة- حتى الآن- جاء في نقش سبئي يعود للقرن الأول قبل الميلاد[3]، بيد أنه منذُ القرن الأول الميلادي أخذت النقوش

---

[1]- في الواقع؛ وفاة الإسكندر الأكبر، ودخول قادة جيوشه في صراع مرير ضد بعضهم البعض لاقتسام إمبراطوريته، وكذلك دخول السلوقيين في الحرب ضد البارثيين، ثم ظهور الرومان وولوجهم دائرة الصراع؛ يعطي آخر الصراع الدولي على أرض الشرق طيلة حوالي الثلاثة قرون السابقة للميلاد، كان قد خدم تجارة ممالك اليمن القديمة؛ إذ أن انشغال أطراف الصراع الدولي بمقاتلة بعضهم البعض، أدى إلى تأخير الأسباب التي ظهرت من طريق العامل الخارجي، والتي كان أثرها سيئًا على التجارة البرية، لذلك استمرت معظم التجارة بالسلع الشرقية بأيدي العرب حتى تأثرت الطرق البرية، بانتعاش الطرق البحرية.

[2]- الأعراب هم أهل البادية، ينظر الشيبة: دراسات...، ص٢٦، وهم البدو المشتغلون بتربية (الإبل) الجمال، ينظر عبدالله، يوسف: أوراق...، ص٢٥٧، ص٢٥٩، ولمزيد من التفصيل حول التعريف ينظر الاشبط، علي الرحمن: الأعراب في تاريخ اليمن القديم، دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م وحتى القرن ٦ م، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٣٢-٥٢.

[3]- (CIH 79)، السطران (٩) (١٠)، وتمّ فيه وصفهم بالرعاة البدو؛ ينظر الاشبط: المرجع ذاته، ص٥٤.

تبرز أدوارهم، وتوضح مدى تأثيرهم في مجريات الأمور-لاسيما على الصعيد السياسي والعسكري[1].

في الواقع أن ذكر الأعراب في النقوش منذ القرن الأول قبل الميلاد؛ قد لايعني - البتة- أنه لم يكن لهم وجود من قبل، بمعنى آخر؛ ذكرهم في النقوش ليس دليلا على بداية الظهور؛ بقدر ما يمكن أن يكون دليلا على أن تبدّلا طرأ في أدوارهم ونشاطهم بفعل تبدّل الظروف التي أحاطت بواقع معيشتهم؛ إذ يبدو أن الازدهار التجاري لممالك اليمن القديمة في الألف الأولى قبل الميلاد جعلت الأعراب يندمجون في النسق الاجتماعي/ الاقتصادي العام؛ لاسيما بعد أن وفر لهم النشاط التجاري بعض المهن والحرف؛ التي شكلت لهم موارد اقتصادية؛ أفادوا منها؛ وأصبحت أساس معايشهم؛ وتتمثل بالعمل كجمالة، مرشدين للقوافل، كذلك قيامهم بتوفير بعض من متطلبات القوافل على الطريق، وتأمين الحراسة والأمن لها أثناء مرورها في الأراضي التي يقيمون عليها، ناهيك عن عملهم الأساس؛ رعي الإبل وتوفيرها بكميات كافية؛ تغطي احتياجات انعقاد قوافل التجارة، ومن ثم فإن الأعراب حينها كانوا منصهرفين في نسيج المجتمعات الحضرية، ويتبادلوا المنافع معها[2]؛ بسبب ما وفرته التجارة لهم من موارد معيشة- تبدو- ثابتة ومستقرة؛ بقدر استقرار التجارة على الطرق البرية في شبه الجزيرة العربية، غير أن طوارئ الأحداث ومستجداتها؛ التي ظهرت بفعل العاملين (الداخلي والخارجي)، المؤثرة على أوضاع الممالك السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ القرن الأول قبل الميلاد- كما جاء أعلاه-، أثرت أيضًا على الأعراب ذاتهم - ربما بصفة خاصة-؛ لاسيما بعد أن تضررت التجارة على الطرق البرية منذ مطلع الميلاد؛ التي كانت حياتهم الاقتصادية معتمدة عليها بدرجة كبيرة، إذ فقدوا حينها العديد من مواردهم؛ بفعل تراجع أهمية المهن والحرف- وربما توقف بعضها- التي

---

[1] - حول تطور أدوارهم وتأثيراتهم السياسية والاقتصادية منذ القرن الأول حتى السادس الميلاديين؛ ينظر الأشبط: المرجع ذاته، ص٥٧-٨٠.

[2] -على أساس أن الحياة البدوية المعادية للحياة الحضرية في شبه الجزيرة العربية تكمل كلا منهما الأخرى، بفعل التواصل المستمر بينهما، ينظر عبدالله يوسف: أوراق...، ص٢٦٠-٢٦١، كذلك بروتون: العربية السعيدة...،

كانوا يمتهنوها على تلك الطرق، وهو - على مايبدو- ما دفعهم إلى البحث عن موارد بديلة؛ يعوضون بها ما فقدوه جراء انكماش التجارة البرية؛ فكانت النتيجة ظهور مورد اقتصاديًا آخر؛ هو (الغزو)[1]؛ بحيث تعمدوا الإغارة على المناطق الحضرية؛ لاسيما في الأراضي التابعة لمملكة سبأ، وبمرور الوقت طرأ تطورًا على دورهم القتالي هذا الغزو؛ عندما بدأت بعض الممالك تستخدمهم في حروبها بعضها ضد بعض، ثم مالبثوا أن أصبحوا جزءًا من الجيش النظامي (خميس)[2].

إذًا بتأثير الازدهار التجاري؛ كان دور الأعراب حول ممالك اليمن القديمة دورًا مدنيًا؛ من خلال مساهمتهم في النشاط التجاري لهذه الممالك[3]، بينما عندما تراجعت التجارة البرية - منذ القرن الأول قبل الميلاد-، وفقد الأعراب مصالحهم فيها؛ لجاءوا للغزو على المناطق الحضرية؛ كخيار آخر من أجل البقاء؛ فاعتمدوه موردًا اقتصاديًا لهم، وتحول دورهم إلى دور قتالي، ثم ما لبثت الممالك ذاتها- وهي تحاول معالجة مشاكلها مع الأعراب- أن ثبتت هذا الدور؛ عندما أشركتهم في الحروب؛ حتى صاروا- فيما بعد- يشكلوا جزءًا مهمًا من جيوشها.

---

[1] -ربما يكون موردًا جديدًا بالنسبة للأعراب الذين عاشوا من في البوادي القريبة لممالك اليمن القديمة، كونهم كانوا مخرطين سابقا في رعي الإبل، والاشتغال بالمهن المرتبطة بقوافل التجارة.

[2] - يُنظر: الأشبط: الأعراب...، ص٨٢-٨٣. (في الخاتمة).

[3] -عدم ذكر الأعراب في النقوش التي تعود إلى الزمن السابق للقرن الأول قبل الميلاد ربما له مايبرره، إذ كان دورهم -حينذاك- مرتبطًا بالتجارة، ومن ثم فقد حدث نوع من التمازج بينهم وبين الحضر؛ فلم يتم تمييزهم في النقوش، كما أن بعض القبائل (الشعوب)- لاسيما في الجوف-؛ كقبيلة (أمير) ينقسم سكانها ما بين الحضر والبدو، والأعراب المشتغلين برعي الجمال، والمنخرطين بالتجارة بالتالي يرد ذكر القبيلة في سياق واحد، ينظر الشبية: دراسات...، ص٥٩. كذلك الأشبط: الأعراب...، ص٥٥، ، كما أنه لم يتم الكشف عن نقوش تتعلق بالأنشطة التجارية لممالك اليمن القديمة- حتى الآن-باستثناء بعض النقوش المعينية منها: (RES 2771) (RES 2773)(RES 2930)(RES3022)، كذلك نقش قانون قتبان التجاري (RES 4337 A,B,C)، تشير عليها النقوش التي تم العثور عليها في مصر وجزيرة (ديلوس) اليونانية : (RES 3427) (RES res ) (RES 3952)، نقش التاجر الحضرمي في الجزيرة ذاتها (RES3952)، أما ورود ذكرهم في النقوش منذ القرن الأول قبل الميلاد؛ فهو بسبب تغيّر دورهم إلى الدور الحربي، ولما كانت الممالك -وحكامها- حريصة على تسجيل انتصاراتها الحربية؛ فقد صارت تذكرهم في نقوشها كلما خاضت الحرب ضدهم، أو عندما يشتركون معها في القتال ضد غيرها.

## ب- الصراعات والحروب بين الممالك[1]:

تشن جنوب شبه الجزيرة العربية العهد الميلادي بوجود أربع كيانات سياسية، موزعة على أقاليمه المختلفة، مملكة حضرموت التي تسيطر على الجزء الجنوبي الشرقي حتى ساكلن (ظفار اليوم) وتتحكم؛ بأهم الموانئ هناك (قنا)و (سمهرم)، والكيان الريداني (الحميري)؛ الذي نما وامتد ليشمل الجزء الجنوبي الغربي بما فيه من سواحل، ومملكة سبأ إلى الشمال منهما، تمتد حتى مدن الجوف؛ التي دخلت تحت سيطرتها-كما تقدم-، يضاف إليهم مملكة قتبان؛ التي أصبحت تحكم -فقط- المناطق المحيطة بأوديتها على حواف رملة السبعتين[2]، بعد أن فقدت أراضي نفوذها لصالح الحميريين والسبائيين[3].

في الواقع كان يمكن لهذا التمركز أن يعيد شيء من التوازن في مجال النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة؛ طالما وأنه لازال جزءًا مهمًا من التجارة الشرقية بأيديها- اللبان والمر بالتحديد- حتى وإن كان البطالمة قد تمكنوا من تكثيف إرسال سفنهم إلى موانئ شبه الجزيرة العربية الجنوبية بصفة دائمة، منذُ أن انتعشت التجارة البحرية مع مطلع الميلاد[4]، وبالفعل يبدو أنه كانت هناك محاولة لأحياء ما يشبه التفاهمات القديمة في إدارة النشاط التجاري البري[5]، على الأقل هذا ما يُفهم من إحدى النقوش المكتشفة[6]؛ الذي يشرح سبب اندلاع الحرب بين حضرموت وسبأ؛ في زمن ملكيهما يدع إل الحضرمي، وكرب إل بين السبئي مع نهاية القرن الأول الميلادي؛ إذ يشير إلى أن الحرب اندلعت بعد فشل مفاوضات طويلة بين الجانبين، وعلى الأرجح أن

---

1- ليس الهدف هنا استعراض الحروب والصراعات بتفاصيلها، وإنما معرفة تأثير التجارة عليها.

2- بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٣٧.

3- كان يمكن للممالك -حينها- أن تستخدم ورقة احتياج العديد من مناطق العالم القديم للبخور، وفرض تداوله عبر الطرق البرية فقط -طالما انه محصول محلي-، غير أن الأطماع التي شحنت الممالك بعضها ضد بعض حالت دون ذلك.

4- يبدو أن ذلك هو ما أبقى مملكة قتبان؛ رغم خسارتها لجزء كبير من أراضيها لصالح الكيان الريداني-كما جاء أعلاه-، لأهمية حاصلتها تدفع في التجارة البرية، يُنظر بافقيه: توحيد اليمن...، ص٤٣٧.

5- نلنن (Jn 643).

6- بافقيه: توحيد اليمن...، ص٤٣٧.

تلك المفاوضات كانت تدور حول المصالح التجارية بين الجانبين[1]، وفي هذا الصدد لايستبعد أن مملكة حضرموت؛ التي شهدت منذُ القرن الأول الميلادي انتعاشًا اقتصاديًا ملحوظًا، في ظل تحكمها بمناطق إنتاج اللبان (سأكلن)[2]، وازدهار موانئها-لاسيما ميناءي سمهرم وقنا[3]- ربما وجدت ذاتها في موقف يمكنها معه أن تتخلص من التحكم السبئي بالمنفذ الشمالي لطريق التجارة البري، أو تقلل من التكاليف التي تدفعها لسبأ؛ لعبور التجارة عبر أراضيها[4] باتجاه أسواق تصريفها في الشمال؛ على أية حال لم تلبث الممالك أن دخلت في صراعات وحروب بعضها ضد بعض[5]، وكانت من السوء بحيث أتت إلى سقوطها الواحدة بعد الأخرى، بداية بقتبان[6]، ومرورًا بإلحاق سبأ بالكيان الحميري، في زمن الملك ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعش، وصولا إلى نجاح الملك شمر يهرعش-بعد أن انفرد بالحكم- في ضم حضرموت؛ ليتخذ لقب "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت"؛ منذُ أواخر القرن الثالث الميلادي[7]، على الرغم من أن خضوع حضرموت النهائي كان في أواسط القرن الرابع الميلادي؛ في عهد خلفائه[8].

## ج. التدخل الأجنبي:

يكاد الأمر يكون بحكم المؤكد من أن أهم أهداف التدخل الأجنبي في جنوب شبه الجزيرة العربية هو التجارة والأنشطة المرتبطة بها، ولاينطبق ذلك على الاحتلال

---

1- يُنظر بافقيه: : توحيد اليمن...، ص٢٣٨.

2- روبان: الممالك المحاربة...، ص٢٨١.

3- روبان: ذاته، كذلك الشعيبي: ميناء قنا...، ص٦٧-٦٨.

4- بافقيه: المرجع السابق، ص٢٣٨

5- الشبيه: أفول...، النسخة المنقحة، ص٢٤، المؤلف ذاته: دراسات...، ص٢٣. كذلك الجرو: موجز...، ص٢٦١.

6- عرضت العاصمة (تمنع) مع نهاية القرن الأول الميلادي لحريق اجتاحها؛ لايُعرف المتسبب به حتى الآن، ثم نقل العاصمة إلى (ذي غيلم) (هجر بن حميد اليوم)، ثم كان السقوط النهائي في الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي، يُنظر: الشبيه: دراسات...، ص٤٤، كذلك الجرو: موجز...، ص١٤٧-١٤٨، أيضًا عريش: رؤى...، مجلة حوليات العدد الثالث، ص٧٠-٧١.

7- بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٨٤-٢٨٥، كذلك الشبيه دراسات...، ص٢٨.

8- بافقيه: في العربية السعيدة...، الجزء الأول، ص٨٧-٨٨، كذلك الشبيه: دراسات...، ص٢٨، وص٥٢، أيضًا الجرو: موجز...، ص٢٣٥، وص٢٣٨. كذلك عريش: "معطيات..."، مجلة حوليات، العدد الثاني، ص١٤.

الحبشي ثم الفارسي للمنطقة في القرن السادس الميلادي فحسب، وإنما ينطبق أيضاً على الحضور الحبشي منذ القرن الثاني الميلادي؛ في المناطق الغربية لشبه الجزيرة العربية؛ الممتدة من ينبع شمالاً حتى بلاد السراة (المهرة) (سهرتن)-السبئية لذلك في وادي مور جنوباً[1].

أول ظهور للأحباش في المنطقة جاء عن طريق اشتراكهم في الحلف الثلاثي (سبأ وحضرموت والحبشة)[2]، الموجّه ضد الكيان الحميري، ويبدو أن أهدافهم فيه - الأحباش- كانت القضاء على منافسة الحميريين لهم في التجارة البحرية؛ لكي يحكموا السيطرة على الأنشطة التجارية في جنوب البحر الأحمر والقرن الأفريقي - وبلاد الزنج[3]، بالإضافة إلى مد نفوذهم في جنوب شبه الجزيرة العربية[4]؛ بسبب موقعه المتميز؛ وسط التجارة الدولية البرية والبحرية.

بنتيجة هذا الحلف، وما آلت إليه الأمور بعد الحرب الذي خاضها ضد الحميريين؛ أصبح للأحباش نفوذاً فعلياً على الشريط الساحلي الممتد من تهامة[5] حتى عدن[6]، وكذا بعض مما يليه من مناطق؛ كنجران وإقليم المعافر[7]، فلم يكف الأحباش- من حينها- تدخلهم في مجريات الأمور؛ بل أصبحوا طرفاً مؤثراً في الصراع الدائر بين الممالك؛ ومن ثم كان على حمير وكذا سبأ مواجهة هذا التدخل الأجنبي، حتى تمّ حسم الصراع بين سبأ وحمير مع نهاية القرن الثالث الميلادي[8]، فلم يتم ذكر الأحباش على عهد شمر

---

[1] - الشيه: محاضرات...، ص١٠٣، وص١١١.

[2] - عقد الحلف إبي زمن الملك السبأي (ظهران نهامان)، والملك الحضرمي (يدع اب غيلان)، وملك الحبشة (جدرت) (جدورت) ، ينظر نقش (CIH308)، كذلك بالقيه: توحيد اليمن...، ص٢٥٩، أيضاً الشيه: محاضرات...، ص١١٠، كذلك الجرو: موجز...، ص٢٤٠.

[3] - بالقيه: المرجع نفسه، ص٢٦٤.

[4] - الجرو: المرجع السابق، ص٢٤٠.

[5] - بالقيه: المرجع السابق، ص٢٦٤.

[6] - الشيه: محاضرات...، ص١١٢، كذلك الجرو: المرجع السابق، ص٢٤٠.

[7] - بالقيه: المرجع السابق، ص٢٦٦، كذلك الجرو: المرجع السابق.

[8] - بالقيه: المرجع نفسه، ص٢٨٤.

يهرعش[1]، إذ ربما كان قيام الدولة المركزية سببًا لنهاية الجولة الأولى لتدخل الأحباش المباشر في جنوب شبه الجزيرة؛ وأغلب الظن أن ذلك استمر طيلة القرنين الرابع والخامس الميلاديين[2].

في الربع الأول من القرن السادس الميلادي كان للتدخل الأجنبي الحبشي في اليمن جولة أخيرة من خلال حملتين: أولى عام (٥١٨م)، وأخيرة عام (٥٢٥م)[3]،سقطت بعدهما الدولة المركزية ، وأفل نجمها، غير أن تدخلا أجنبيًا آخر حلّ محل الأحباش في اليمن، تمثل بالتدخل الفارسي؛ الذي جاء تحت ذريعة تقديم المساعدة لتخليص المنطقة من الحكم الحبشي[4]، إلا أن المنطقة مالبثت أن وقعت تحت السيادة الفارسية زمنًا امتدّ منذ الربع الأخير من القرن السادس الميلادي؛ حتى دخلت اليمن تحت لواء الإسلام[5].

إذا كان التدخل الأجنبي الحبشي في جولته الأولى في القرنين الثاني والثالث الميلاديين قد تسبب- في بداية الأمر- بإضعاف حمير والإضرار بمصالحها، وربما تأخير حسمها للصراع على السيادة[6]، ثم أدى إلى تأجيج الحروب بين الممالك؛ التي كانت محصلتها-في نهاية الأمر- سقوط حضرموت وضم سبأ إلى حمير؛ على طريق قيام دولة مركزية وما صاحب كل ذلك من هدر للطاقات والإمكانيات المادية والبشرية؛ بعد أن سخّرتها الممالك لمجهوداتها الحربية، فإن التدخل الحبشي الأخير وكذا التدخل الفارسي في القرن السادس الميلادي، لم يتسبب بسقوط الدولة المركزية فحسب؛- وهي الوارثة للممالك اليمن القديمة- بل -أيضًا- تسبب بسقوط اليمن؛ لأول مرة في تاريخها تحت نير الاحتلال الأجنبي.

---

[1] الشيبة: المرجع السابق، ١١٤، وهو يرى بأن نفوذهم استمر في البلاد لاحقًا.

[2] الجرو: المرجع ذاته، ص٢٤٣. قد يكون تدخلهم المباشر قد انتهى خلال هذين القرنين، غير أن تدخلا غير مباشر ظهر للأحباش من خلال الصراع الديني؛ الذي دارت رحاه بين المسيحيين واليهود.

[3] سقف: إيلاف...، ص١٣٠، كذلك الجرو: المرجع ذاته، ص٢٧٩.

[4] الجرو: المرجع ذاته، ص١٤٥.

[5] موجل...، ص٣٢٢.

[6] توحيد اليمن...، ص٢٦٤-٢٦٥.

بعيدًا عن تفاصيل التدخل الحبشي الأخير، وكذلك التدخل الفارسي[1]؛ فإنه من الملاحظ أن دوافعهما لم تخرج عن إطار الأطماع الأجنبية في التجارة الشرقية والطرق المؤدية إليها[2]، بيد أن نجاح التدخل الأجنبي في تحقيق أهدافه؛ -باعتباره جزءًا من (العامل الخارجي) الذي أدى إلى سقوط ممالك اليمن القديمة وحضارتها-؛ لم يكن له أن يتحقق مالم تكن الظروف الداخلية كعامل داخلي- قد هيأت له أسباب النجاح لعل أهمها:

١- كل التدخلات الأجنبية تمت عن طريق استدعاء طرف داخلي للطرف الخارجي؛ فسبباً كانت السبب في التواجد الحبشي الأول-القرن الثاني الميلادي- عندما دعت الأحباش للاشتراك في الحلف الثلاثي ضد حمير[3]، كما أن التدخل الأخير للأحباش-الربع الأول من القرن السادس الميلادي- كان بسبب تنكيل الملك ذو نواس بمسيحي شعبه؛ الأمر الذي دفع بعضهم للتوجه إلى نجاشي الحبشة مع إنجيلهم المحروق أكثره؛ للاستنجاد به[4]؛ فكانت الحملة الحبشية الأولى، ولايختلف الأمر بالنسبة للحملة الحبشية الأخيرة؛ إذ وسّع ذو نواس اضطهاده المسيحيين، واشتد في قتلهم؛ لاسيما في معاقلهم: ظفار، والمخا، وكذا نجران؛ حيث وقعت طامته الكبرى بالمسيحيين، وهي الحادثة المعروفة في التاريخ بحادثة (وقعة) الأخدود[5]؛ كإحدى أسوء حوادث الاضطهاد الديني، وأخيرًا ما كان من أمر قدوم الفرس؛ إذ كان بسبب لجوء سيف بن ذي يزن-قائد الثورة على الأحباش- للخارج؛ لطلب المساندة الدولية؛ بهدف

---

[1] -ينظر التفاصيل سحاب: إيلاف...، ص١١٨-١٥٠، كذلك: الجرو: موجز...، ص٢٧٩-٣٢٢.

[2] -للمزيد حول هذه الأطماع ينظر: سحاب: المرجع ذاته، ص١١٨-١٢٠، كذلك الجرو: المرجع ذاته، ص٢٦٥-٢٦٨.

[3] - للذبيه: محاضرات...، ص١٠٩؛ كذلك: الجرو: موجز...، ص٢٢١.

[4] - العسكري، أبو هلا الحسن بن عبدالله: الأوائل، الجزء الأول، تحقيق محمد المصري، ووليد قصاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٥م، ص٢٨-٢٩؛ كذلك الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثاني، دار الكتب المصرية، القاهرة ب.ت، ص١٠٨، أيضًا سحاب: إيلاف...، ص١٣١، كذلك الجرو: المرجع ذاته، ص٢٧٩.

[5] -سحاب: إيلاف...، ص١٣٣. جاء ذكرها في القرآن الكريم، سورة البروج، الآية (٤).

التخلص من التواجد الحبشي، إلى أن وصل إلى كسرى الفرس[1]؛ فكانت تلك فرصة على طبق من ذهب؛ استغلها الفرس وحققوا تطلعهم في التواجد على سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية والمدخل الجنوبي للبحر الأحمر[2].

٢- في التدخل الحبشي الأول، لم يكن من مصلحة سبأ أن تعمل على إضعاف الكيان الحميري؛ إذ كانت النتيجة أن تنامت قوة الدولة الحبشية وفرضت سيطرتها على البحر الأحمر زمنًا ليس بقصير، وترتب على ذلك تراجع لتجارة سبأ -على وجه الخصوص- في الداخل.

٣- جاء التدخل الحبشي الأخير في وقت كانت الأوضاع الداخلية متردية، وذلك لعدة أسباب:

أ. الصراع الديني بين أنصار اليهودية وأنصار المسيحية.

ب. ضعف سيطرة الدولة على كل المناطق؛ بعد أن أتجه الأقيال والأذواء إلى تكوين مراكز قوى مستقلة عن السلطة المركزية[3]، بدليل أن ذو نواس لم يستطع أن يوحد كلمتهم لمواجهة الأحباش[4].

ج. لايبدو أن الدولة المركزية -ربما منذُ قيامها- قد عملت على بناء قوات بحرية؛ على الرغم من الحاجة المفترضة لها؛ بسبب النشاط التجاري البحري[5].

---

[1] -على الرغم من طموح تلك القوى، واستعدادها الدائم للتدخل في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ إلا أنه لم يكن على أطراف الداخل أن تعمل على جلبها إلى المنطقة؛ مهما كانت الأسباب التي دفعتهما إلى ذلك؛ فقد كانت النتائج وخيمة، وطالت الكل، الجدير ذكره في هذا المقام أن الأخطاء لازالت تتكرر تاريخيًا؛ إذ أن التاريخ المعاصر يحكي ويلات الاستقواء بالخارج، وما يجره على المنطقة العربية من أزمات وخسائر مادية وبشرية؛ لاسيما وأن الصراع بين قوى الغرب والشرق لازال قائمًا، كما أن أطماعهما في المنطقة مستمرة؛ وإن تغيرت مضامينها وموادها، فبدلا من التجارة الشرقية، أصبح النفط أهم أهداف الصراع، كما أن التواجد جنوب البحر الأحمر يضمن لهم سلامة تجارتهم البحرية العالمية، وما الصراع بين إيران والغرب اليوم إلا خير دليل.

[2] -بافقيه: توحيد اليمن...، ص٢٦٥

[3] -الشيبة: أقول...، النسخة المنقحة، ص٥٤، كذلك الجرو: موجز...، ص٢٦٩.

[4] -الشيبة: ذاته، كذلك سحاب: إيلاف...، ص١٣١، أيضًا الجرو: ذاته، ص٢٨٧.

[5] -الشيبة: ذاته.

د. يبدو أن افتراض سوء الأحوال الاقتصادية للدولة المركزية قبيل التدخل الحبشي الأخير أمرًا مقبولا، بسبب التمزق الذي أصاب الدولة والصراعات الدينية، وإهمال التجارة ومشروعات الري.

وبعد، لئن كانت التجارة سببًا رئيسًا في قيام ممالك اليمن القديمة، ومصدرًا أكيدًا لثرائها وازدهارها، وإطباق شهرتها الآفاق، فقد كان فقدانها-التفريط بها-؛ العامل المهم الذي عجّل انهيار الممالك وسقوطها.

## الخاتمة:

لقد أخذت الدراسة على عاتقها البحث في أثر التجارة على ممالك اليمن القديمة في كل مراحل تطورها؛ منذُ النشأة حتى السقوط وما تخللهما من عهودِ قوةٍ وازدهار؛ فقد توصلت إلى النتائج التالية:

- تُعد البيئة الجغرافية لجنوب شبه الجزيرة العربية من العوامل المهمة التي ساعدت على قيام النشاط التجاري وتطوره في هذه المنطقة؛ وذلك بسبب توفيرها الظروف الطبيعية الملائمة واللازمة لظهوره ونموه؛ كتباين طبيعة الأرض، وتنوع المناخ، والموقع المتميز بين حضارات العالم القديم؛ وسط خطوط التجارة الدولية البحرية والبرية.
- من الصعوبة بمكان الوقوف على حدث معين، أو تاريخ محدد يؤدي إلى معرفة النشأة الأولى للتجارة من حيث الزمان والمكان، غير أن التجارة نشاط إنساني قديم؛ ظهرت بوادره في مناطق شمال بلاد الرافدين، ومنطقة زاجروس، وسورية، والأناضول منذُ العصر الحجري الوسيط (١٧-٨ ألف ق.م)، وكانت المواد الخام هي أهم ماتداولها الإنسان في إطار هذا النشاط آنذاك، وأهمها: السبج (الأبسيديان)، والصوان، والأصداف، واستعملها في صنع أدواته وألآته.
- ظهرت التجارة قبل ظهور الزراعة؛ لذلك يمكن وضع تحقيب من مرحلتين (حقبتين)؛ مرت بهما التجارة في عصور قبل التاريخ:

**١- مرحلة التجارة قبل الزراعة؛** ويمكن اقتراح تسميتها "مرحلة التجارة الجبلية"؛ كونها مرحلة اقتصرت التجارة فيها على جلب المواد الخام (الحجرية والصدفية) من المناطق الغنية بها؛ إلى المناطق التي تنعدم فيها، كما انها مرحلة خالية من العلاقات التجارية القائمة على التبادل بين المناطق.

٢- مرحلة التجارة بعد الزراعة؛ فيها ظهرت العلاقات التجارية المعتمدة على تبادل المواد والسلع بين المناطق؛ لاسيما بعد أن دخلت مواد جديدة في إطار التبادل التجاري؛ كالمحاصيل الزراعية، والمنتجات الحرفية.

- شهد جنوب شبه الجزيرة العربية ثقافات العصور الحجرية؛ مثلما شهدتها مناطق الهلال الخصيب؛ غير أن العديد من أوجه الاختلاف ظهر بينهما؛ فيما يتعلق بتطورات الأحداث الحضارية في تلك العصور، لعلّ أهمهما:

١- اختلاف التسلسل الزمني لتلك العصور بين المنطقتين.

٢- أسبقية ظهور الزراعة والتدجين وصناعة الفخار في منطقة الهلال الخصيب؛ عن ظهورها في جنوب شبه الجزيرة العربية.

٣- يتميز جنوب شبه الجزيرة العربية عن الهلال الخصيب في أنه عرف تدجين الحيوان قبل ممارسة سكانه للزراعة، بينما سبقت الزراعة في الشرق القديم تدجين السكان للحيوان.

- ظروف نشأة التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية، تكاد تكون ذاتها ظروف نشأتها في منطقة الهلال الخصيب؛ غير أن بوادرها ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ العصر الحجري الحديث (٦-٤ ألف ق.م)، وكانت مواد التجارة التي تداولها السكان في مرحلة التجارة قبل الزراعة في هذه المنطقة هي : السبج (الأبسيديان)، أحجار الأستيتايت، الكلورايت، الجرانيت، والحجر الرملي، كذلك الأصداف، وحلزونيات كونز/ كونوز، بالإضافة إلى الصوان الكوارتز، وصنعوا منها أحجار الرحى ومعدات الطحن، النصال وأدوات التشظية، والخرز وأدوات الزينة.
- نمت التجارة الداخلية وتطورت في مرحلة ما بعد الزراعة (عصر البرونز)؛ بسبب دخول بعض المحاصيل الزراعية، والمنتجات الحرفية-لاسيما الفخارية- ضمن قوام المواد المتداولة في التجارة، وكذلك بسبب قيام مستوطنات المرتفعات الشرقية؛ ثم المستوطنات الكبرى في المرتفعات الوسطى في مواضع تفصلها مسافات متنامية بعضها عن بعض ، وكذا

مواضع مفصلية؛ تسمح لها أن تؤدي دور الوسيط في عمليات التبادل بين المناطق.

- ظهرت بوادر التجارة الخارجية بين سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية والبر المقابل لها في أفريقيا منذ العصر الحجري الحديث، وكان محورها خام الأبسيديان؛ الذي يجلب من منطقة في شرق أفريقيا، بيد أن محور العلاقة بين الجانبين توسع في العصر البرونزي؛ لاسيما بعد قيام مستوطنات ثقافة صبر -على الساحل الغربي من سيحي حتى موقع صبر بالقرب من عدن-؛ إذ أزداد حجم التبادل التجاري؛ لتظهر معه مظاهر تواصل ثقافي بعيد المدى ربطت بينهما.
- ثورة تجارية شهدها جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية عصر البرونز (١٢٠٠ ق.م)، تمثلت بقيام التجارة البرية المنطلقة نحو المناطق في الشمال، بعد أن توفرت لقيامها كل الظروف الذاتية والموضوعية.
- شكلت ثقافات عصور قبل التاريخ الجذور الحضارية التي نشأت عليها ممالك اليمن القديمة؛ فكانت نشأتها محلية؛ على الرغم من أن فكرة قيامها ربما جاءت من الخارج.
- بالاعتماد على مجموعة من الشواهد الثقافية والسياسية والاقتصادية؛ فإنه من المرجّح أن ممالك اليمن القديمة قامت مع نهاية عصر البرونز في جنوب شبه الجزيرة العربية وبداية العصر التاريخي.
- شكلت التجارة أساسًا مهمًا- وربما رئيسًا- في قيام ممالك اليمن القديمة؛ التي كان قيامها-بالضرورة- استجابة منطقية للتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي توالت بفعل ثورة التجارة، ومواكبة طبيعية للتأثيرات الخارجية؛ كون المنطقة أصبحت تتعامل مع مناطق عرفت قيام الممالك منذُ زمن بعيد.
- ظهور ممالك اليمن القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ منح المنطقة هوية جديدة؛ إذ أصبحت تُعرف-منذ ذاك- بأسماء ممالكها، كما تطورت فيها أشكال العلاقات التي نظمت حياة سكانها في العصور السابقة.

- أدى تكامل النشاط التجاري بين الممالك إلى قيام وحدة اقتصادية أساسها التجارة.
- أثرت التجارة على طبيعة العلاقات التي سادت بين الممالك في زمن ازدهارها في الألف الأول قبل الميلاد؛ إذ كانت سببًا مهمًا لسيادة السلام بينها، كما كانت سببًا لايقل أهمية في خوضها غمار الحروب والصراعات بعضها ضد بعض.
- ساهم النشاط التجاري في زيادة ثروات الممالك؛ فانعكس ذلك إيجابيًا على كل أنشطتها الاقتصادية؛ بما فيها الزراعة وأنظمة الري، كما أدى إلى ظهور العديد من المهن والأنشطة؛ التي ارتبطت بالتجارة ذاته.
- تأثير التجارة على الوضع الاجتماعي يتجلى في ظهور نوع من الاندماج الاجتماعي بين سكان الممالك، وتعايش قائم على المصالح، يجسدان- ما يُعرف اليوم- بمفهوم القبول بالآخر.
- ربما كان لوحدة النشاط التجاري بين الممالك تأثيرها على وحدة الفكر الديني؛ التي ظهرت بين ممالك اليمن القديمة.
- تجسد دور الممالك في تقدم النشاط التجاري وازدهاره في الألف الأول قبل الميلاد؛ في إصدارها القوانين المنظمة للنشاط التجاري في أسواق مدنها؛ التي اهتمت ببنائها وتشييد المنشآت الضرورية لتفعليها، ناهيك عن قيامها بتعبيد الطرق وشق الممرات، وسك العملة.
- أدركت الممالك أهمية موقعها المتوسط؛ الذي يربط مناطق العالم القديم، فاتجهت نحو إقامة علاقتها بشكل منفصل مع كل منطقة على حدا، الأمر الذي ساعدها في أن تؤدي دورًا مهمًا وحيويًا في عبور التجارات بين الشرق والغرب.
- تُعد التجارة محورًا مهمًا، دارت حولها العوامل التي أدت إلى سقوط ممالك اليمن القديمة وأفول حضارتها.

- أثرت الصراعات الدولية بين قوى الشرق والغرب-بما حملته من أطماع- على ممالك اليمن القديمة، فقد كان ضمن أهم أهدافها السيطرة على الطرق التي تمر عبرها التجارة الشرقية، ولم تلبث إن توجت بانتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة على الطرق البرية؛ فكان ذلك العامل الخارجي؛ الذي ترتبت عليه بعض أسباب سقوط الممالك.
- أثر العامل الداخلي في سقوط ممالك اليمن القديمة أكثر وقعًا من العامل الخارجي؛ بحيث تتحمل الممالك ذاتها الجزء الأكبر من المسئولية؛ في ظهور أسباب الانهيار والأفول.

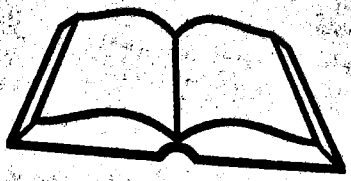

# المصادر والمراجع

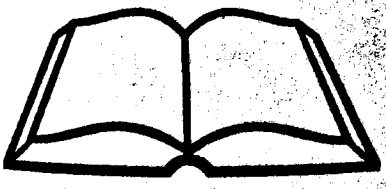

## المصادر و المراجع:


- **إدريس، جمال الدين محمد:**

"دور العلاقات التاريخية بين العربية الجنوبية الغربية (اليمن) والقرن الإفريقي، أدلة أثرية "، مجلة أقسام التاريخ والآثار- جامعة عدن، العدد (١٤-١٥)،عدن يوليو ٢٠٠٧.

"قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى"، مجلة حولية الآداب ، كلية الأداب، جامعة عدن، العدد الرابع، عدن يوليو ٢٠٠٧.

- **الارياني، مطهر علي:**

نقوش مسندية وتعليقات، الطبعة الثانية، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء ١٩٩٠م، تعليق رقم (٦).

- **الاشبط، علي عبدالرحمن:**

الأعراب في تاريخ اليمن القديم، دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م وحتى القرن ٦ م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **آلتزيني، أليساندرا:**

"النفوذ القتباني"، في الكتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ : ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **الأنصاري، عبدالرحمن الطيب:**

بيحان (ملتقى الحضارات)، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور (٢)، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠٢م.

- **بيتز، كريستوفر (وآخر):**

"جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسين)، الاكتشافات الأثرية الأخيرة"، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، ترجمة د.ياسين محمود الخالصي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠١م.

- **بيستزنان، ماري-لويز:**

"الإنسان الأول في جزيرة العرب "، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **[illegible] محمد:**

[illegible] معجم عربي حديث، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت ١٩٩٢م.

- **[illegible] محمد عبدالقادر:**

[illegible] من القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥م.

- توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ترجمة د.محمد علي زيد، الطبعة الأولى، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٧م.
- في العربية السعيدة،مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٧م.

• باوير، ج.م ولوندن،أ
- تاريخ اليمن القديم، جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة حمدان، الطبعة الأولى، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن ١٩٨٤م.

• برستد، جيمس هنري:
- تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، سلسلة الألف كتاب الثاني (٢٦٨)، ترجمة حسين كمال، مراجعة محمد حسنين الغمراوي، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م.

• بركات، أحمد قائد:
- "النقد"، الموسوعة اليمنية الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مؤسسة العفيف الثقافية، تنفيذ دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩٢م.

• بروتون، جان فرانسوا:
- " شبوة: الموقع والمدينة " في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة علي عقيل، جان فرانسوا بريتون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م.
- "شبوة والحواضر اليمنية القديمة، من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلادي" في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة.
-"العربية السعيدة في عصر ملكة سبأ" في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٢م.
- " علم آثار بلا نقاش" ، حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثاني، صنعاء ٢٠٠٣م.
-" معابد معين والجوف (اليمن): جوانب المسألة "، حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثالث، صنعاء ٢٠٠٦م.

• برون، فرانسوا:
- " نشر وصيرورة أبجدية جنوب الجزيرة العربية"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **برونو، أولي:**

- "واحة مأرب"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **البستاني،الشيخ عبدالله:**

- الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، مكتبة لبنان،بيروت ١٩٩٠م.

- **بلفقية، عيدروس علوي:**

- جغرافية الجمهورية اليمنية، سلسلة الكتاب الجامعي (٣)، الطبعة الأولى، جامعة عدن، عدن ١٩٩٧م.

- **بيرن، جاكلين:**

- "الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزه علي عقيل، جان فرانسوا بريتون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م .

- **بيستون، أ. ف. ل (وأخرون):**

- المعجم السبئي، مكتبة لبنان ودار نشريات بيترز لوفان الجديدة، بيروت ١٩٨٢.

- **تشايلد، جوردون:**

- تقدم الإنسانية، ترجمة د.محمد السيد غلاب، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم (٢٤٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م.

- **جاد، السيد:**

- بلاد العرب في المصادر اليونانية القديمة [نصوص ودراسات]، الطبعة الأولى، ب ت، الإسكندرية ٢٠٠٨م.

- **جاتل، بيير:**

- "السيطرة على الري"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **الجبلي، أحمد:**

- "الحضارة اليمنية القديمة، عن أساسها وعوامل تطورها الرئيسية"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، العدد (٢٥) السنة الرابعة، صنعاء أغسطس/سبتمبر ١٩٩٦.

- **دامون، روبرت لافون:**

- التاريخ، سلسلة قضايا الساعة (٣)، ترجمة نادية القباني، مراجعة رضا إبراهيم، مؤسسة الأهرام، القاهرة

- جرلاخ، إريس:
- ٢٥ عامًا حفريات وأبحاث في اليمن ١٩٧٨-٢٠٠٣م، الجزء (١)، المعهد الألماني، قسم الشرق، مكتب صنعاء، صنعاء ٢٠٠٣م.
- الجرو، أسمهان سعيد:
- موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن (إربد) ١٩٩٦.
دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٢٠٠٣م
- " نماذج من مبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة "، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية (جامعة عدن) ، العدد (٢٤)، نوفمبر ٢٠٠٦م.
- جودة، حسين جودة:
- شبه الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥.
- جولد شتاين، توماس:
- "الجذور القديمة" في كتاب المقدمات التاريخية في العلم الحديث، سلسلة عالم المعرفة (٢٩٦)، ترجمة أحمد حسان عبدالواحد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ٢٠٠٣م.
- جونز، مارتن:
- نبش الماضي (ترجمة لكتاب علم الآثار والبحث عن الدنا القديم)، ترجمة د.أحمد مستجير، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٤م.
- حتي، فيليب:
- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، دار الثقافة، بيروت ب ت.
- الحلواني، سعد بدير:
- تاريخ التاريخ، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، الطبعة الثانية، جامعة الملك خالد، أبها (السعودية) ١٩٩٩م.
- الحمد، جواد مطر:
- الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية في اليمن القديم، الطبعة الأولى، جامعة عدن (عدن)، ودار الثقافة العربية (الشارقة) ٢٠٠٢.
- حمدان، جمال:
- شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، دار الهلال، القاهرة (ب ت).
- الحوراني، جورج فضلو:

العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة، وأوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، مراجعة د.يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، مؤسسة فرانكلين للطباعة (نيويورك)، ١٩٦٤م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:**

مقدمة ابن خلدون، تقديم وتحقيق إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م.

- **الحوري، إبراهيم:**

الهمداني، صفة جزيرة العرب، سلسلة نوابغ الجغرافية العربية في القرون الوسطى (٢)، طبعة أولى، دار الشرق، بيروت ١٩٩٣م.

- **الدراز، أحمد محمد عبدالحليم:**

مصر وفلسطين فيما بين القرنيين الحادي عشر والثامن ق.م، سلسلة تاريخ المصريين (٢٣٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م.

- **الدباغ، برهان الدين:**

جزيرة العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٩م.

- **الدوان، ريمي:**

الفخار والرسوم في قصر شبوة الملكي، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة علي عقيل، جان فرانسوا بريتون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م.

- **الدوري، عبدالعزيز:**

التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت سبتمبر ١٩٨٤م.

- **دي ماريو، فرانشيسكو:**

"الصناعات الحجرية للعصر البرونزي"، في كتاب دي مجريت: في كتاب حضارة العصر البرونزي في سلطنة عمان الطيال والحدا، (أول تقرير عام)، ترجمة عثمان خليفة ومالك ابره، المعهد الإيطالي لدراسات الشرق الأوسط والأقصى، مركز الحفريات والدراسات الأثارية، اسميو، روما ١٩٩٠م.

- **دي مجريت، ألساندرو:**

"البرونز في المرتفعات"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- "الخاتمة"، في كتاب حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحداء (أول تقرير عام)، ترجمة عثمان خليفة ومالك ابره، المعهد الإيطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى، مركز الحفريات والدراسات الأثارية، اسميو، روما ١٩٩٠م.
- "يثل" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.
- برافش (يثل) المعينية، حفريات وترميم معبد نكراح، ترجمة مالك مالك، مراجعة خالد الخسي، البعثة الإيطالية للآثار في الجمهورية اليمنية، (YICAR PAPERS,1)، صنعاء ٢٠٠٤.

- ديورانت،ويل:
- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الكتاب التاسع (الجزء الأول من المجلد الثالث) (الحضارة الرومانية)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٥م.

- النفيف، عبدالله حسين العزي:
- مملكة قتبان من القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، دراسة تاريخية من خلال النقوش، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف أ.د.عبدالله حسن الشيبة، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء ٢٠٠٧م.

- رايس، إ. إ:
- البحر والتاريخ، تحديات الطبيعة واستجابات البشر، سلسلة عالم المعرفة (٣١٤) ترجمة د. عطف أحمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت إبريل ٢٠٠٥م.

- رويان، كريستيان جوليان:
- " التسلسل التاريخي ومشكلاته"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.
- " الممالك المحازية "، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.
- " ثروة معين" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- سارتون، جورج:
- "علم الجغرافيا في القرنين الأخيرين، كراتيس وسترابون" ترجمة مصطفى عبدالحميد العبادي، في كتاب تاريخ العلم، الجزء السادس، ترجمة نخبة من علماء الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، إشراف قسطنطين زريق (وآخرون)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١م.

- **ساكز، هاري:**

- عظمة بابل،موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة،ترجمة د.عامر سليمان،جامعة الموصل ١٩٧٩م.

- **ستيوارت:**

- "عملات شبوة وعملات متحف عدن الوطني"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة علي عقيل، جان فرانسوا بريتون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م.

- **سحّاب، فكتور:**

- إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، الطبعة الأولى، كمبيو نشر والمركز الثقافي العربي، بيروت مايو ١٩٩٢م.

- **السروري، نبيل عبدالوهاب:**

- الحياة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال نقوش محرم بلقيس، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (٦)، صنعاء ٢٠٠٤م.

**سئيبه، جاك:** " القصر الملكي بشبوة (الهندسة المعمارية، وتقنية البناء، وتصور شكل المبنى)"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة علي عَقيل، جان فرانسوا بريتون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م.

- **سيدوف، ألكسندر و دافيد، بربارا:**

- "سك النقود والمسكوكات"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- "قنا، ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **الشامي، صلاح الدين علي:**

- الواقع الاقتصادي العربي قبل الإسلام، سلسلة الكتب الجغرافية (٦٣)، منشأة المعارف، الإسكندرية مايو ١٩٨٣م.

- **الشعيبي، خالد صالح:**

- ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، إشراف د.أحمد بن أحمد باطايع، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠٠٧م.

- **الصلاح، أحمد طعمة يوسف:**

- تجار الملاحة في البحر الأحمر في القرنين الأول والثاني الميلاديين، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف د.اسمهان سعيد الجرو، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن.

- **شنيرلمان،ف:**
- "بدايات الزراعة والرعي" ضمن كتاب الجديد حول الشرق القديم،ترجمة د.جابر أبي جابر،وخيري الضمان، دار التقدم، موسكو ١٩٨٨م.
- **شهاب، حسن صالح:**
- أضواء على تاريخ اليمن البحري، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت ١٩٨١م
- **الشيبة، عبدالله حسن:**
- أفول الحضارة اليمنية (ملاحظات أولية)، مجلة بحوث جامعة تعز، العدد الثاني، تعز ١٩٩٨.
- أفول الحضارة اليمنية (ملاحظات أولية)، نسخة منقحة (غير منشورة).
- دراسات في تاريخ اليمن القديم، الطبعة الأولى، مكتبة الوعي الثوري للطباعة والنشر والتوزيع، تعز ١٩٩٩م.
- " كرب إيل وتر الكبير أول موحد لليمن"، في كتاب الندوة العلمية الموسومة اليمن وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ (١٢-١٤ فبراير ٢٠٠١م)، الطبعة الأولى.
- محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي ، صنعاء ٢٠٠٦م.
- ترجمات يمانية، القسم الأول (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، الطبعة الأولى، منشورات دار الكتاب الجامعي، صنعاء ٢٠٠٨م.
- **صالح، عبدالعزيز:**
- " تاريخ العصور القديمة (الفرعونية) حتى نهاية الدولة القديمة"، ضمن كتاب رمضان، عبدالعظيم: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، سلسلة تاريخ المصريين (١٠٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م.
- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:**
- تاريخ الرُسل والملوك، الجزء الثاني، دار الكتب المصرية، القاهرة ب ت.
- **عبدالعليم، مصطفى كمال:**
- " تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني (الجزيرة العربية قبل الإسلام)، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٤م.
- **عبدالغني، محمد السيد:**
- شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٩٩.
- **عبدالله، يوسف محمد:**
- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠.

"مدخل" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي،مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي(باريس)، ودار الأهالي (دمشق)١٩٩٩.

- عبدالله،فيصل ومرعي،عيد:

المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق،دمشق،٢٠٠٠/٢٠٠١م.

- العتيبي، محمد بن سلطان:

التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، الطبعة الأولى، وكالة وزارة التعليم للآثار والمتاحف، الرياض ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- عربش، منير:

"عالم الآلهة في مملكة قتبان اليمنية قبل الإسلام"، في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الأول، صنعاء ٢٠٠٢.

"رؤى جديدة لكتاب تاريخ مملكة قتبان من خلال الآثار والنقوش"، في حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، العدد الثالث،صنعاء ٢٠٠٦.

- عربش، منير و أودوان، ريمي:

اكتشافات أثرية جديدة في محافظة الجوف، عملية إنقاذ فرنسية- يمنية مشتركة في موقع السوداء (نشلن قبلي) معبد المدينة ١، تقرير أولي، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٤م.

- عربش، منير و شيتيكات، جيريمي:

مجموعة القطع الأثرية من محافظة الجوف في المتحف الوطني بصنعاء، الجزء الأول، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٦.

- عردوكي،بدر الدين:

"التعليق الذي يسبق الفصل الثالث الموسوم (بلاد العرب السعيدة)"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ : ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- الهمداني، أبو هلا الحسن بن عبدالله:

الإكليل، الجزء الأول، تحقيق محمد المصري، ووليد قصاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق

- محمود طه:

صفة الجزيرة العربية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٨٨.

- علي، جواد:
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الأجزاء الأول،السابع، الثامن، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين (بيروت) ومكتبة النهضة (بغداد)، ١٩٧٦م.
- علي، رمضان عبده:
- تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، الجزء الثالث (دول الخليج العربي- شبه الجزيرة العربية- اليمن)، الطبعة الأولى، دار نهضة الشرق للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م.
- العلي، صالح أحمد:
- محاضرات في تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨م..
- العمري، هادي صالح:
- طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.
- العودي، حمود:
- المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي-دراسة عن المجتمع اليمني-، الطبعة الثانية، سبتمبر ١٩٨٩م.(ب د ن).
- غارسيا، ميشيل آلان ورشاد، مديحة:
- "فن ماقبل التاريخ"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.
- غلانزمان، وليام:
- "أوام (محرم بلقيس كما يسمى اليوم)، معبد المقه الكبير"،في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.
- غولايف،فاليري:
- المدن الأولى، ترجمة طارق معصراني،دار التقدم،موسكو ١٩٨٩م.
- أبو الغيث، عبدالله:
- العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، الجزء الأول، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.
- فاغان، براين:
- الصيف الطويل، دور المناخ في تغيير الحضارة، ترجمة د.مصطفى فهمي، سلسلة عالم المعرفة (٣٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت يوليو ٢٠٠٧م.

- " تاريخ العربية الجنوبية وآثارها "، ترجمة رضا جواد الهاشمي، مجلة التراث، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المجلد الثاني، العدد الثاني، عدن مايو ١٩٧٨.

- **فخري، أحمد:**

- دراسات في تاريخ الشرق القديم، مختارات من الوثائق التاريخية، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، الجزء الأول (مصر العراق)، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٩٠م.

- **فرانكفليا، فرانشيسكو:**

- "مصادر الأوبسيديان في اليمن القديم"، في كتاب دي مجريت: في كتاب حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدا، (أول تقرير عام)، ترجمة عثمان خليفة ومالك ابره، المعهد الإيطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى، مركز الحفريات والدراسات الأثارية، اسميو، روما ١٩٩٠م.

- **فرح، أبو اليسر:**

- الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٥م

- **فوكت، بوركهارت:**

- "حضارات مجهولة سادت على خليج عدن: منذ حقبة الركام الصدفي في العصر الحجري حتى ظهور مدينة صبر في العصر البرونزي المتأخر٢٥ عامًا حفريات وأبحاث في اليمن ١٩٧٨-٢٠٠٣م، الجزء (١)، المعهد الألماني، قسم الشرق ،مكتب صنعاء، صنعاء ٢٠٠٣م..

- " صبر مدينة من الألف الثاني خلف منطقة عدن"، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **فوكت، بوركهارد وسيدوف ألكسندر:**

- "ثقافة صبر على الشاطئ اليمني" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **فيديللي، فرانشيسكو ج:**

- "مجاميع البقايا الحيوانية للعصر البرونزي من اليمن الشمالي"، في كتاب حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدا، (أول تقرير عام)، ترجمة عثمان خليفة ومالك ابره، المعهد الإيطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى، مركز الحفريات والدراسات الأثارية، اسميو، روما ١٩٩٠م.

- **كركوتير، جان:**

- مصر القديمة، سلسلة كتاب الفكر (١٧)، ترجمة ماهر جويجاتي، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م.

- **الفيروز آبادي، مجد الدين محمد:**

ـ القاموس المحيط، تحقيق مكتبة التراث، الطبعة الثانية،مؤسسة الرسالة،بيروت ١٩٨٧.

**فيل، أ رنست:**

ـ "ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي"، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة علي عقيل، جان فرانسوا بريتون، الطبعة الأولى، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٩٦م.

- **قاسم، عبده قاسم:**

ـ في تطور الفكر التاريخي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٤م.

- **القسوس، نائف والطروانه، خلف:**

ـ مسكوكات العالمين القديم والإسلامي، البنك العربي، الأردن ١٩٩١م.

- **كاسيرر، أرنست:**

ـ في المعرفة التاريخية، سلسلة الألف كتاب الثاني (٢٦٥)، الطبعة الثانية، ترجمة د.أحمد حمدي محمود، مراجعة علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧.

- **كمبردج، فليب:**

ـ "موقع أثري من عصر البرونز في عدن الصغرى"، ترجمة د.جمال الدين محمد إدريس، مجلة التواصل، نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة عدن، العدد (١٨)، عدن يوليو ٢٠٠٧م .

- **كونتنو، جورج:**

ـ الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة، مراجعة د.طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م

- **كيرلانسكي، مارك:**

- تاريخ الملح في العالم، سلسلة عالم المعرفة (٣٢٠)، ترجمة أحمد حسن مغربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت أكتوبر ٢٠٠٥م.

- **لنتون، رالف:**

ـ شجرة الحضارة، الجزء الأول، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ب ت.

- **لوندن، أ.ج:**

ـ دولة مكربي سبأ (الحكم الكاهن السبئي)، ترجمة د.قائد طربوش، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٤م.

- **لوندين، أو بتروفسكي:**

"نقوش حضرموت الداخل"، في كتاب حضرموت القديمة والمعاصرة، الأبحاث الميدانية لعام ١٩٨٧م، المركز اليمني للأبحاث والثقافة والآثار والمتاحف وأكاديمية العلوم السوفيتية، سيئون ١٩٨٧م.

- **لويت، كليرلا:**

الأدب المصري القديم، سلسلة كتاب الفكر (١٦)، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة د.طاهر عبدالحكيم، الطبعة الأولى، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م

- **ليشتنبرج، روجيه و دوانان، فرانسواز:**

المومياات المصرية من الموت إلى الخلود، ترجمة ماهر حويجاتي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م.

- **ماركولونفو، بونز:**

"أنظمة الري في براقش" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.

- **مجمع اللغة العربية:**

المعجم الوجيز،القاهرة ١٩٨٩م.

- **محمود، عرفة محمود:**

العرب قبل الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة مارس ٢٠٠٢.

- **محيرز، عبدالله أحمد:**

تاريخ عدن، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن١٩٨٧.

- **محيسن، سلطان:**

عصور ماقبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩٠- ١٩٩١م.

- **مرعي، عيد:**

التاريخ القديم، الطبعة الثانية،منشورات جامعة دمشق،دمشق ١٩٩٩/٢٠٠٠م.

- **مطهر الإرياني، محمد:**

النقوش الخشبية القديمة: مصدر هام لدراسة التاريخ الحضاري لليمن القديم"، في حوليات يمانية ، العدد الأول، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، صنعاء ٢٠٠٣م.

- المسعودي، أبو الحسن:
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثاني، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦م.
- ناشر، هشام عبد العزيز:
- التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠٠٣.
- النعيم، نورة عبدالله العلي:
- الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، الطبعة الأولى، دار الشواف لنشر والتوزيع، الرياض ١٩٩٢م.
- التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ٢٠٠٠م.
- نيبس، نوربرت:
- " كرب إل وتر، أول موحد لليمن"، في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرنوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق)،١٩٩٩.
- نيقولا، زيادة:
- " دليل البحر الأرثيري، تجارة الجزيرة العربية "، في كتاب تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٤.
- الهاتف، لطف علي ناصر:
- الموارد المائية وأثرها في زراعة اليمن قبل الإسلام، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف د.عبدالقادر الشيخلي، قدمت إلى كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ٢٠٠٣م.
- الهاشمي، رضا جواد :
- " تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم " في كتاب تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، بغداد ١٩٨٤م.
- هتي، أحمد أرحيم:
- تاريخ الشرق القديم (١)سورية، الطبعة الثانية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٩٩٩.
- الهمداني،الحسن بن احمد بن يعقوب:
- الأكليل، الجزء الثامن، تحقيق محمد بن علي بن الحسن الأكوع،مكتبة الكاتب العربي، الرياض، دمشق،١٩٧٩م.

- **هودوي، سيردوس:**

- موسوعة العملة (العملة في الحضارة الأغريقية)، ترجمة ملاذ حفار، ومأمون عابدين، الطبعة الثانية، دار المعرفة، دمشق ١٩٩٣م.

- **ويلكنسن، ت.ج (وأخران):**

- " آثار المرتفعات اليمنية (تسلسل زمني تمهيدي) "، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ترجمة د.ياسين محمود الخالصي، صنعاء ٢٠٠١.

- **يفتش،ب. جريز:**

- الأبحاث الكاملة للبعثة اليمنية السوفيتية لعام ١٩٨٨م، في كتاب نتائج أعمال البعثة لعام ١٩٨٨م، الجزء (١)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، أكاديمية العلوم السوفيتية، البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، اليمن/سيئون ١٩٨٨م.

- **يوسف، فرج الله أحمد:**

- "مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام"، مجلة أدوماتو، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، العدد الخامس، الرياض يناير ٢٠٠٢م.

## المصادر والمراجع الأجنبية:


• Bowen, R.L:

-" Ancient Trade Routes in South Arabia ", in Bowen, R.L. and Albrigt, F.P.: Archaeological Discoveries, (AFSM), Baltimore 1958.

• Brunner,Ueli:

-" Geography and Human Settlements in Ancient Southern Arabia ", in Arabian archaeology and epigraph,by P.J.Schmidt A/S. Vojcns,Vol.8, Denmark 2, November 1997.

• De Maigret A.:

-"The Yemeni Bronze Age,"in Daum W.(ed): Yemen,3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix, Pinguin Verlag Innsbruck, Umschau-Verlag, Frankfurt/ Main, 1988.

• Edens, CH:

- "Before Sheba" in Simpson S.J.: Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, The British Museum Press, Sponsored by (BARCLAYS).

• Edens,Christopher:

- Exploring Agriculture in The Highlands of Yemen, in Sabaean Studies Book, edited by: Amida M.Sholan, Sabina Antonini, Mounir Arbach, Uni. Of Sana,(YICAR) in Sana, (FCASS) in Sana, Napoli 2005.

• Fedele F.G.:

- "North Yemen: The Noelithc" in Daum W.(ed): Yemen,3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix, Pinguin Verlag Innsbruck, Umschau-Verlag, Frankfurt/ Main, 1988.

• Groom, Nigel :

- Frankincense and Myrrh, astudy of the trade, Longman, London and New Work, Librairie du Leban, 1981.

-" Trade, Incense, and Perfume", in Gunter, Ann C.(ed): CARAVAN KINGDOMS, YEMEN AND THE ANCIENT INCENSE TRADE,the Freer

Gallery of Art and Arthur M. Sackler Gallery, Smithsonian Institution, Washington D.C.. June 25-September 11.2005.

-"The Frankincense Region", Proceedings of the Tenth Seminar for Arabian Studies, held at East Center, Cambridge, London July 1975.

• **Inizan, Marie-Louise and Francaviglia, Vincenzo M.:**

- "Les périples de l'obsidienne à travers la mer Rouge" in Journal des Africanistes 72 (2) 2002..

• **Jones, Lioyd Liewellyn:"**

- The Queen of Sheba in Western Popoular culture 1850-2000", in Simpson, St John (ed): QUEEN OF SHEBA, Treasures from Ancient Yemen, The British Museum, London 2002.

• **Munro-Hay, S.C.H.:**

- " Aksumite Overseas Interests", in Julian Reade (Ed), Kegen Paul International, London and New York, in Association with The British Museum, London, 1996.

• **Pennacchietti, Fabrizio A.:**

- "Legends of The Queen of Sheba", in Simpson, St John (ed): QUEEN OF SHEBA, Treasures from Ancient Yemen, The British Museum, London 2002.

• **Pliny:**

- Natural History,H. Rackham(Tr), Loeb Classical Library, London,1969,BK 12.

• **Robin,Christion:**

"Saba and The Sabaeans" in ST.John Simpson (Ed),Queen of Sheba.Treasures from Ancient Yemen.The British Museum Press.London2002, P.57-58.

• **Strabo:**

- The Geography of strabo ,English translation by Horace Leonard Joones, Harvard University Press, London, BK16, Vol VII,

• **Van Beek,Gus W.:**

- " Ancient Frankincenes Producing Areas",In Bowen R.L.and Albright F.P.(ed) Archaeological Discoveries,Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1958.

Vogt,Burkhard:

Bronze Age Maritime Trade in The Indian Ocean: Harapan Traits on The Oman Peninsula, in Julian Reade (ed): The Indian Ocean in Antiquity,Kengan Paul International (London and New York), In association With The British Museum (London), 1996, p.127.

The Periplus of The Erytrean Sea: Translated and Annotated by Schloff, W. H., Distributed by Munshiram Manoharlaal Publishers Pvt.Ltd, Second Edition, New Delhi 1974.

# الجداول والخرائط

## جدول (١) السلع المحلية

| الرقم | السلعة | مكان الإنتاج | الاستخدام |
|---|---|---|---|
| ١ | اللبان (Frankincense) | ساكان (ظفار عمان اليوم) | - يحرق كبخور في المناسبات الدينية والجنائزية والدنيوية.<br>- علاج للبلغم.<br>-منه ما يعالك مثل (كُندُر). |
| ٢- | المر (Myrrh) | مناطق متفرقة في جنوب شبه الجزيرة العربية | - في الطقوس الدينية.<br>- مادة أساسية ضمن مواد عملية التحنيط.<br>- في علاج بعض الأمراض؛ كالسعال ولسع العقرب وديدان الأمعاء.<br>- يدخل في صناعة العطور. |
| ٣- | الصبر (Aloe) | مناطق متفرقة؛ أشهرها جزيرة سقطرى | - يستخدم في علاج بعض الأمراض المعوية والجلدية. |
| ٤- | الذهب (Gold) | تهامة، ومواضع قرب مأرب | - حلي أو يدخل في صناعتها.<br>- صناعة النقود.<br>- صناعة الأواني وتزيين الآثاث. |
| ٥- | الفضة (Sélver) | -الرضراض (شمال مأرب).<br>- جبال تهامة. | - حلي أو يدخل في صناعتها.<br>- صناعة النقود.<br>- صناعة الأواني وتزيين الآثاث |
| ٦- | الأحجار الكريمة<br>أ. العقيق<br><br>ب. الجزع | مُقرا (مقرى) بالقرب من صنعاء، جبل ألهان شمال أنس، شبام، شهارة، وقساس، والشحر.<br><br>ظفار، شبام، ظهر، وعذيقة في خولان، وكذا نقيم، ووادي المعشار وجبال أنس | - حلي أو تدخل في صناعتها<br>-يعمل منها الفصوص والأختام لاسيما الجزع. |
| ٧- | قصب الذريرة (Rceds) | | - في الطقوس الدينية.<br>-يعمل منه نوع من الطيب. |
| ٨- | الزباد (Civet) | جزيرة سقطرى | -يعمل منه نوع من الطيب.<br>-يدخل في صناعة العطور. |
| ٩- | العنبر | سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية أهمها ساحل الشحر | - نوع طيب.<br>- يدخل في صناعة العطور.<br>-لتقوية عمل القلب. |
| ١٠- | اللاذن | | -يدخل في صناعة العطور.<br>-يحرق كبخور. |
| ١١- | الضرو والكمكم | | -يحرق كبخور.<br>- نوع طيب |
| ١٢- | العطور<br>أ. لارايموم (Larimum)<br>ب.غالية | عدن | -للتطيب وإنكاء الرائحة. |
| ١٣- | دم الأخوين (الغدم) | جزيرة سقطرى | -علاج الجروح وتطهير الجلد.<br>-وقف نزيف الدم.<br>-معقم للثة والأسنان.<br>-تكوين الأواني الفخارية. |
| ١٤- | العسل | وادي دهر، يثوف في وادي جردان، وادي دوعن، وادي حمد. | -غذاء ودواء<br>يُنظر: القرآن الكريم سورة النحل، الايتان ٦٨، ٦٩. |
| ١٥- | الملح:<br>أ.الصخري<br>ب.البحري | شبوة ومأرب<br>عدن، وسواحل تهامة. | -غذاء ودواء للإنسان والدواب. |

جدول (٢) السلع الأجنبية:

| الرقم | السلعة | الجهة المصدرة | الاستخدام | الملاحظة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | الفلفل الأسود والأبيض | -بلاد المليبار على الساحل الغربي للهند.<br>-موزردي في جنوب غرب الهند.<br>-باتيلا جنوب الهند. | - تتبيل الطعام<br>-يدخل النوع الأبيض في صناعة بعض الأدوية. | تستخدم في منطق شمال البحر المتوسط منذ القرن الرابع قبل الميلاد. |
| ٢- | القرفة | -الهند.<br>-سيلان<br>-الصومال وربما الحبشة | -تتبيل الطعام<br>-صناعة الطيوب<br>-تستخدم كدواء | |
| ٣- | الزنجبيل | -الهند<br>-شرق أفريقيا | -تتبيل الطعام<br>-شراب.<br>-دواء | |
| ٤- | القرنفل | الهند | -تتبيل الطعام<br>- علاج أو يدخل في صنع بعض العقاقير الطبية. | |
| ٥- | المسك | -الهند.<br>-بلاد التبت.<br>-فارس.<br>-سيلان | -نوع طيب<br>-يدخل في تركيب أفخر أنواع العطور<br>-يستعمل طبيًا. | |
| ٦- | العود | - الهند.<br>-شرق آسيا | -يحرق كبخور.<br>-يدخل في صناعة العطور.<br>-يدخل في صناعة بعض الأدوية.<br>-معطر للفم.<br>-يستخرج من بعض أنواعه دهان معطر للجسم. | |
| ٧- | العاج | -شرق أفريقيا<br>-الهند | -صناعة أدوات الزينة.<br>-صناعة الأمشاط.<br>-صناعة علب المجوهرات.<br>-صناعة الأبواق.<br>-صناعة الأثاث. | |
| ٨- | الحرير | -الهند.<br>-سيلان | صناعة أفخر أنواع المنسوجات والملابس | الصين هي منطقة إنتاجه الرئيسة. |
| ٩- | الأرز | سواحل الهند. | -غذاء. | |

جدول (٣) أسماء النقود وصفاتها الواردة في النقوش:

| الرقم | النقد | التصنيف | أمثلة النقوش الواردة فيها | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ورق (WRQ) | اسم نقد | (RES 3947) | عملة ذهبية |
| ٢ | قرف (QRF) | اسم نقد | (CIH 614) | |
| ٣ | بلط (بلطم) (BLT) | اسم نقد | (GL890) (CIH 376) | |
| ٤ | خبصت (خبصتم) | اسم نقد | (Ja 3854) | عملة مسكوكة من عدة معادن |
| ٥ | رضي-رضيم (RDY-M) | صفة للنقد | (CIH 380) | بمعنى نقد جيد |
| ٦ | نعمنصت (N'M-T) | صفة للنقد | (GL 1533) | بمعنى تام القيمة |
| ٧ | مصع-مصعم (MS'M) | صفة للنقد | (CIH 376) | بمعنى خالص، ناصع، جيد |

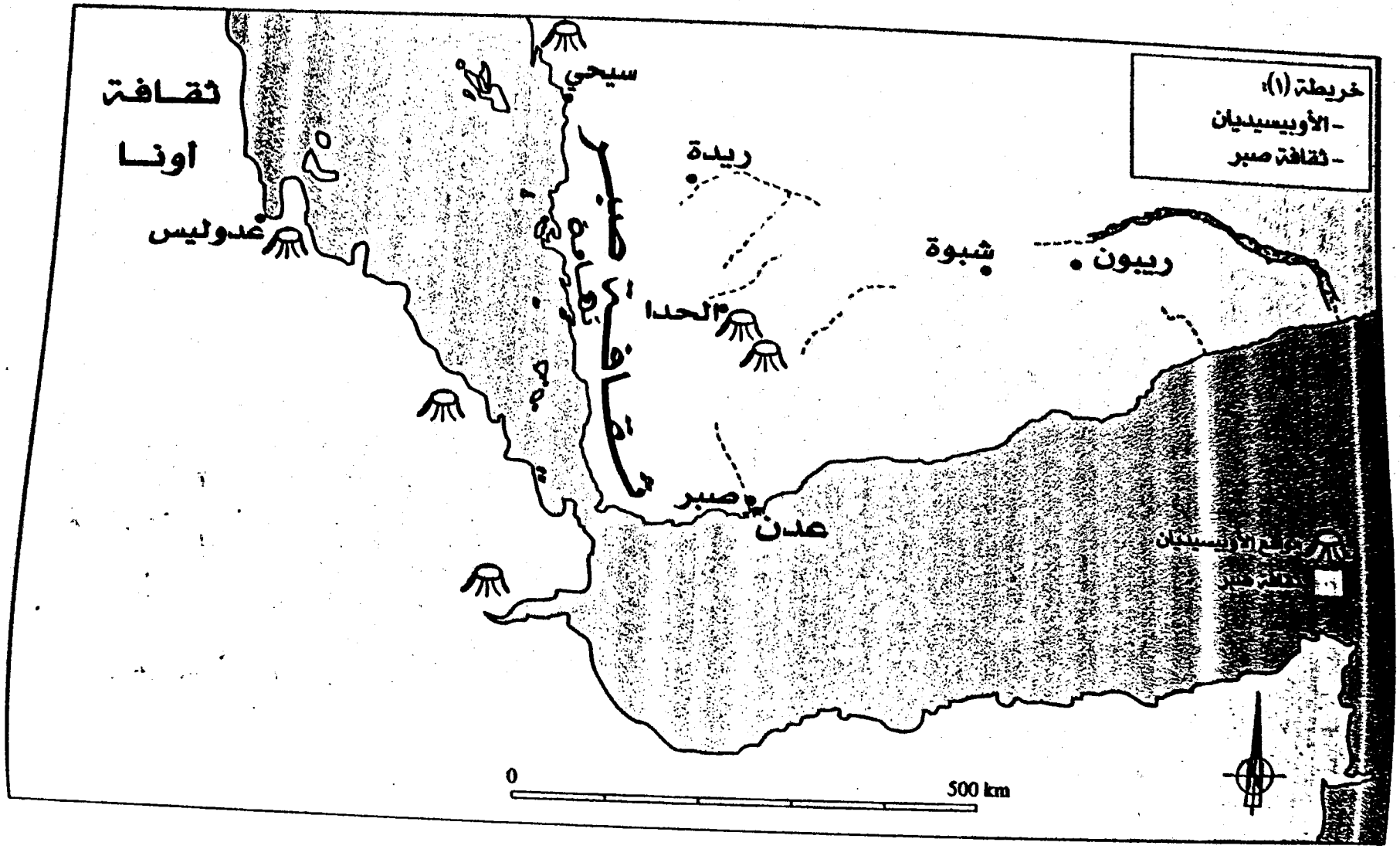
خريطة (١):
- الأوبيسيديان
- ثقافة صبر
ثقافة
أونا
سيحي
ريدة
عدوليس
شبوة
ريبون
الحدا
صبر
عدن
0
500 km

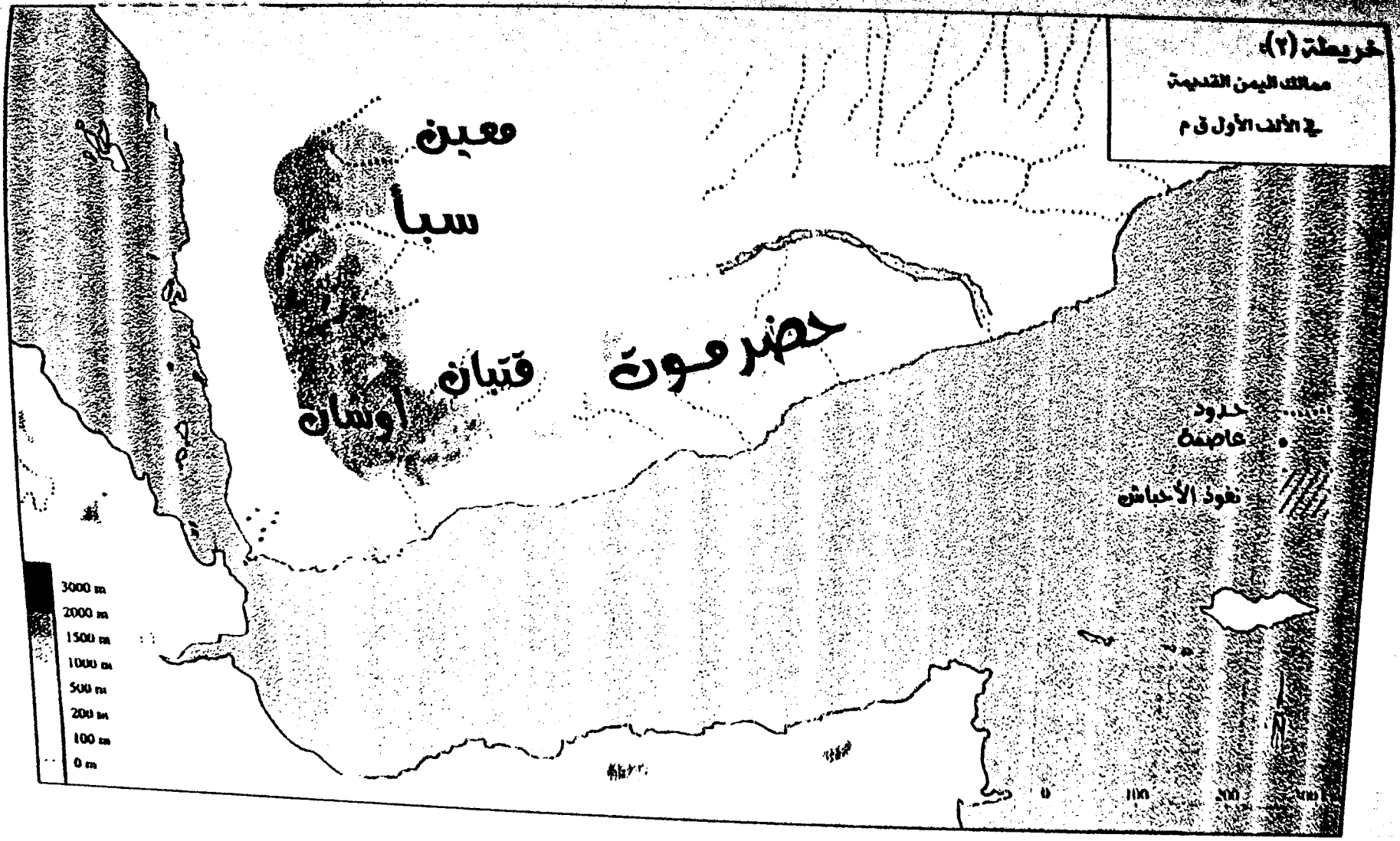
خريطة (٢)
ممالك اليمن القديمة
في الألف الأول ق م
معين
سبأ
حضرموت
قتبان
أوسان
حدود
عاصمة
نفوذ الأحباش
3000 m
2000 m
1500 m
1000 m
500 m
200 m
100 m
0 m
N
0
100
200
300 km

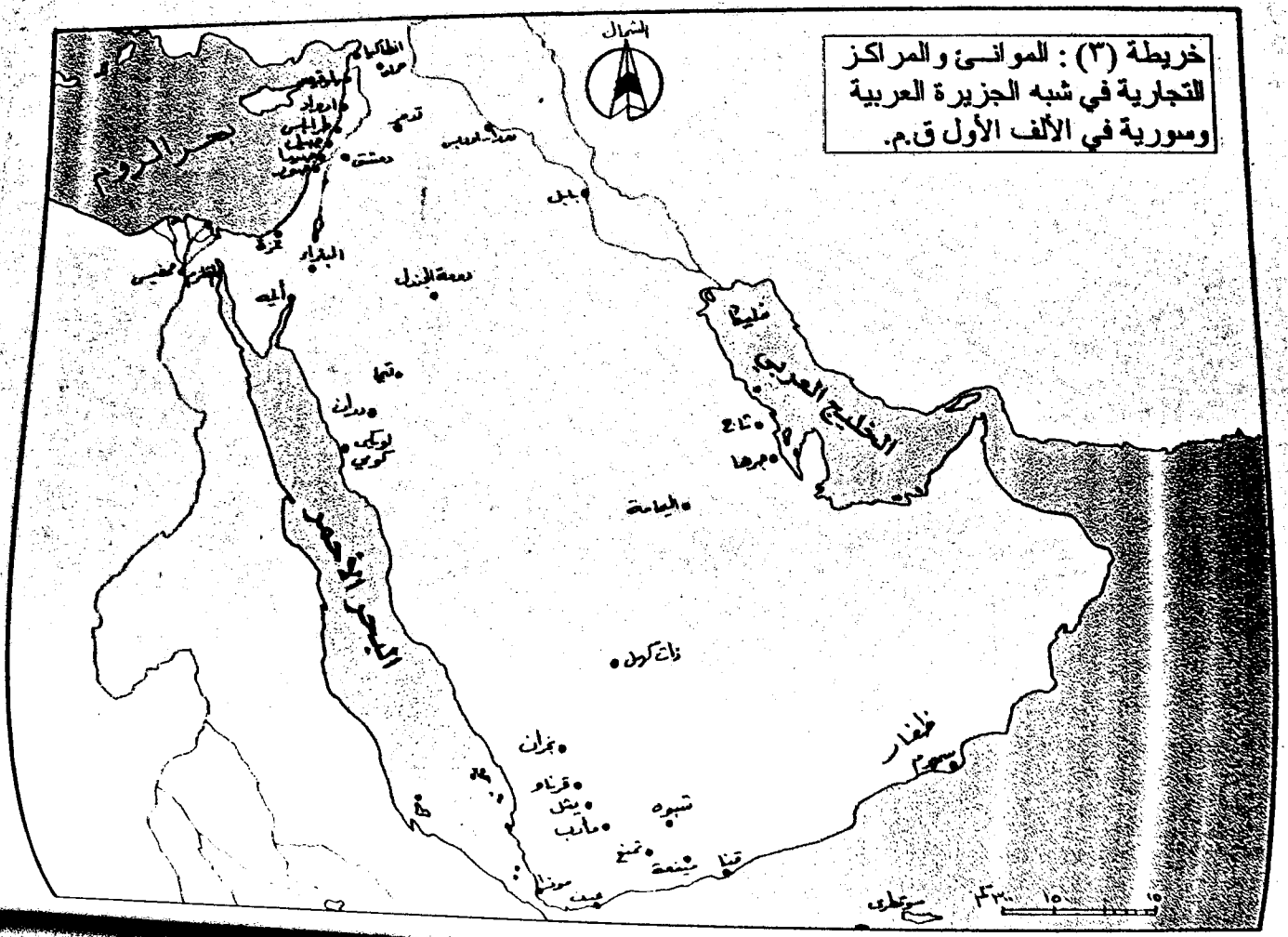
خريطة (٣) : الموانئ والمراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول ق.م.
الشمال
البحر الأحمر
الخليج العربي
ظفار
دمشق
تدمر
جبل
البتراء
دومة الجندل
تيماء
مدين
الربذة
العلا
ذات كهل
نجران
قرناء
يثل
مأرب
شبوه
تمنع
قنا
عدن
حضرموت
٣٠٠ ١٥٠ ٠ كم

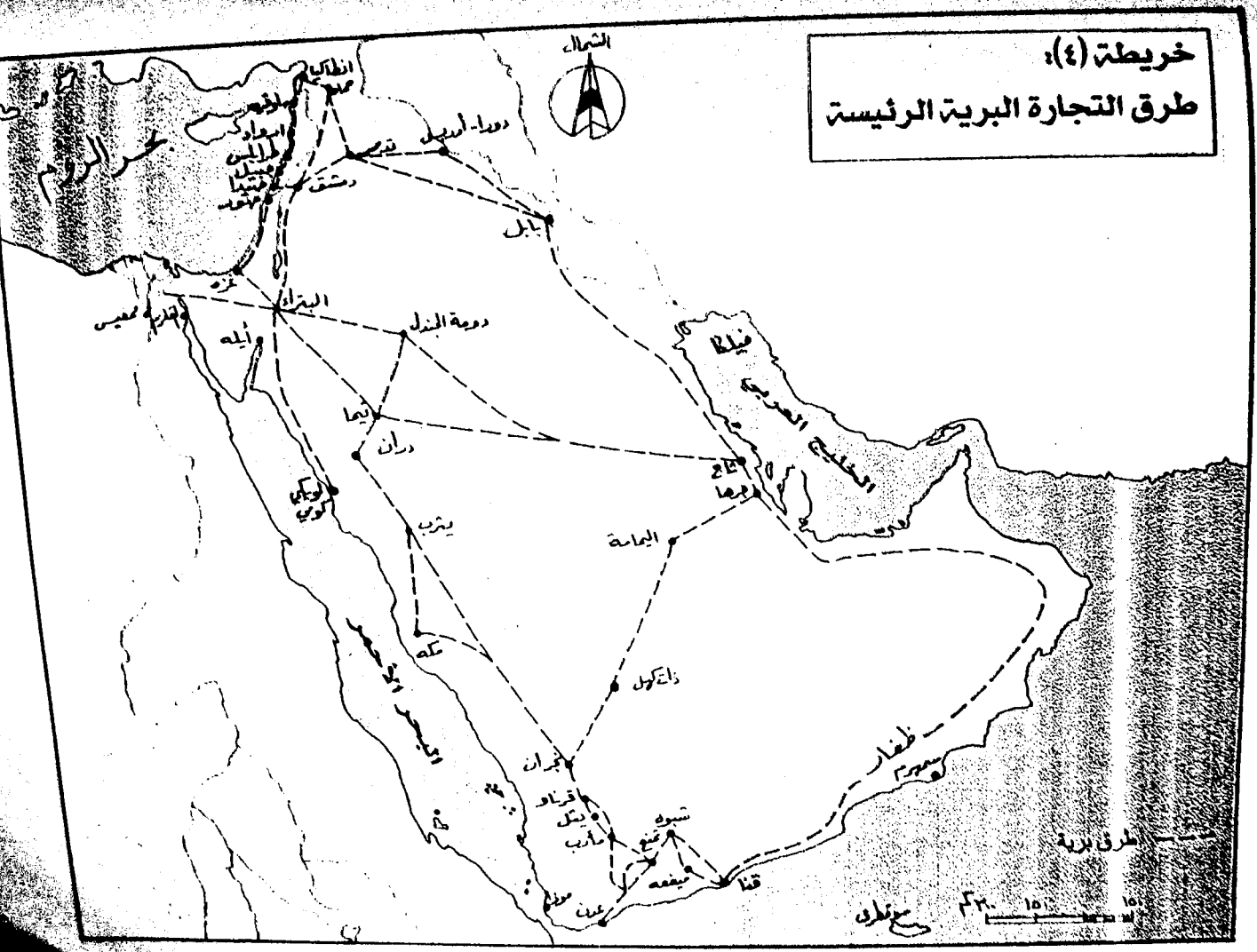
خريطة (٤):
طرق التجارة البرية الرئيسة
الشمال
البتراء
دومة الجندل
تيما
دادان
يثرب
تيماء
ذات كهل
نجران
قرناو
يثل
مأرب
شبوه
قنا
عدن
البحر الأحمر
الخليج العربي
اليمامة
ظفار
طرق برية
٣٠٠ ١٥٠ ٠ ١٥٠ كم

خريطة(٥):
المسالك البحرية حول شبه
الجزيرة العربية وفي البحر الأبيض
جزر القصدير
فارس
أوقيانا
فريطانيه
موطانيه
ليكيا
فينكا
بلد عادا
الهند
موطرا

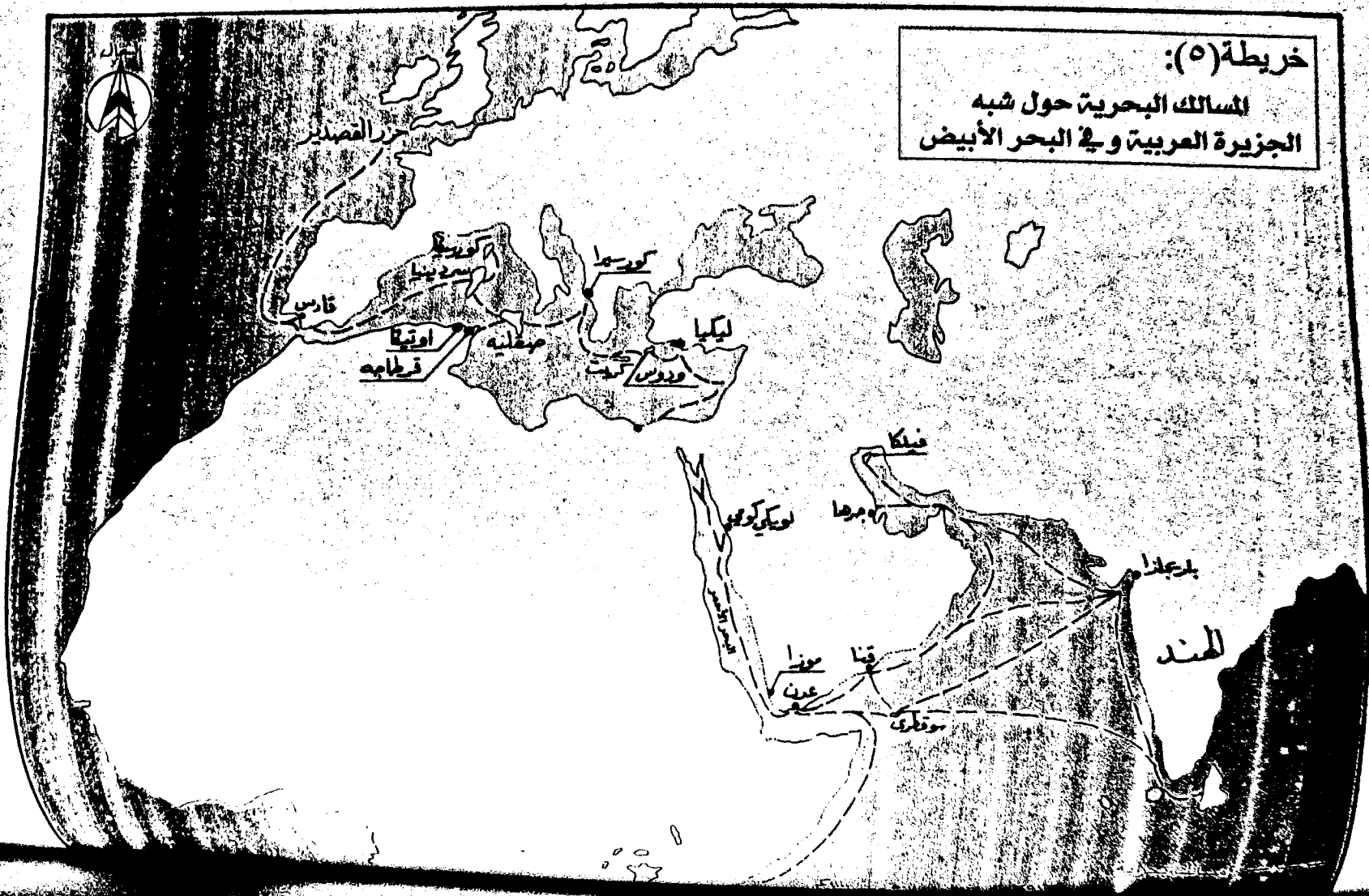
خريطة(٥):
المسالك البحرية حول شبه
الجزيرة العربية وفي البحر الأبيض
جزر القصدير
قارص
اوتيكا
قرطاجنه
صقلية
كريت
ليكيا
قبرص
فينيقا
بلاد العرب
الهند
قنا
عدن
موقطرى

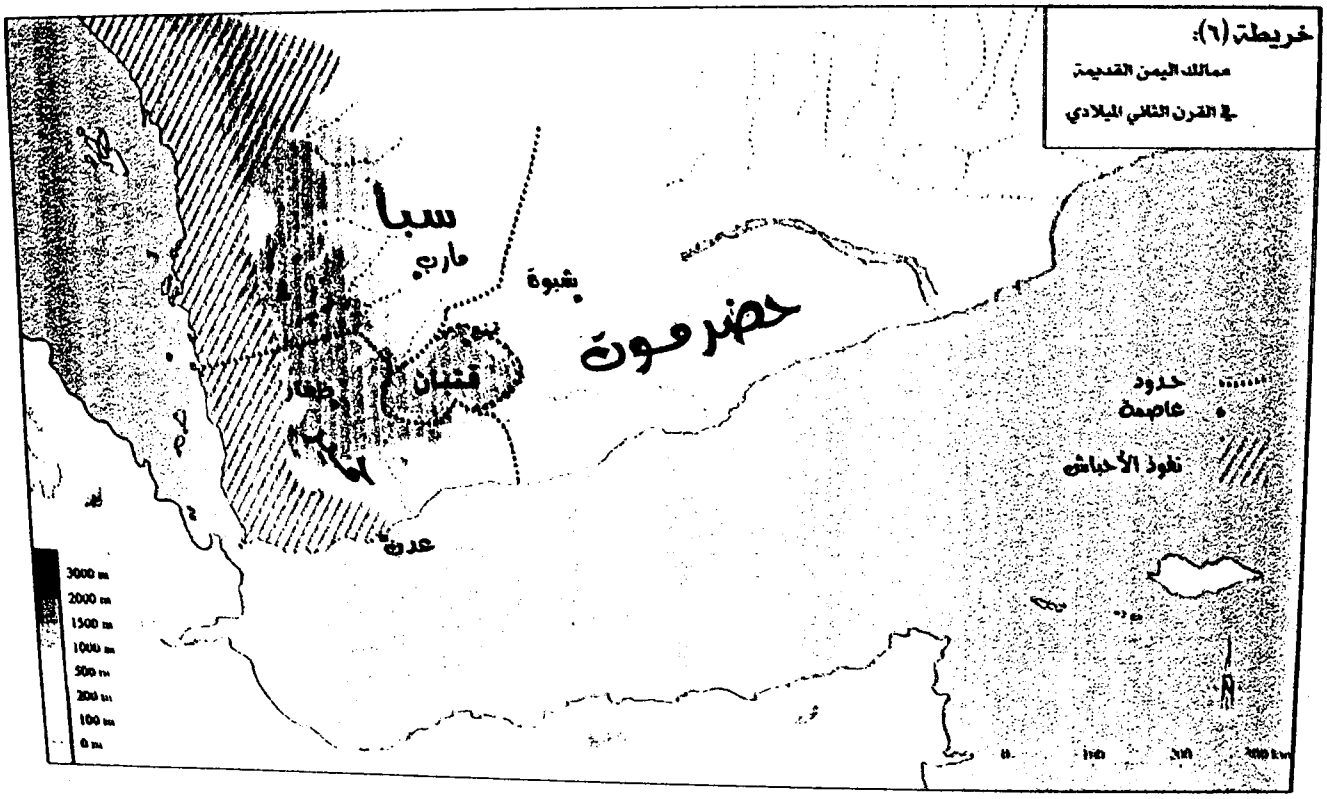
خريطة (٦):
ممالك اليمن القديمة
في القرن الثاني الميلادي
سبأ
مأرب
شبوة
حضرموت
قتبان
حدود
عاصمة
نفوذ الأحباش
عدن
3000 m
2000 m
1500 m
1000 m
500 m
200 m
100 m
0 m

## Abstract

This doctorate paper "**Trade and its Effects on the Development of Ancient Yemeni Kingdoms**" discusses the relationship between trade and the Yemeni Ancient Kingdoms.

It focuses on the concept that the trade was one of the main reasons for the appearance of the kingdoms. In addition, it was the main reason for the success and development of the kingdoms in the First Millennium B.C. and possibly the cause of the collapse of the kingdoms.

To simplify things, this paper was divided into an entrance and four chapters.

The Entrance: **Geography and its effects on the Yemeni Ancient Kingdoms Trade.**

First Chapter: **Appearance of the trade.**

Second Chapter: **The trade and appearance of the Yemeni Ancient Kingdoms.**

Third Chapter: **The trade and its effects on flourishing kingdoms.**

Fourth Chapter: **The trade and fall of the kingdoms.**

In conclusion the enormous impact of the trade affected the economy of the kingdoms by influencing all political, social, and religious aspects of the kingdoms.